روايات الهلال

لو جاء الغد

سيدني شيلدون

REWAYAT AL - HILAL
NO. – 447 MARCH



روايات الهلال

REWAYAT AL - HILAL

تصدر عن موسسه دار الهلال

العدد ٤٤٧ ـ مارس ١٩٨٦ ـ رجب ١٤٠٦

NO. 447 - MARCH 1986

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : مصطفى نبيل

سكرتير التحرير : موسى عيد

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر دولارا او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج م ع نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفي لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

اسعار البيع فى البلاد العربية للاعداد العادية من سلسلة روايات الهلال فئة ٧٥ قرشا للقارىء فى مصر

سوريا ١٨٠٠ ق . س . لبنان ١٨٠٠ ق . ل . الاردن ٥٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ١٦٠٠ فلسا . السعودية ٧ ريالات . تونس ١٥٠٠ مليما . الخليج ١٢٠٠ فلسا . الصومال ١٣٠ بنى . لاجوس ١٢٠ بنى . عدن ١٤٤ سنتا . لندن ١٥٠ سنتا . اثينا ٢٠٠ دراخمه . كندا ٥٠٠ سنت . البرازيل ٦٠٠ سنت . استراليا ٦٠٠ سنت . السودان ٢٥٠ ق . سودانى . المغرب ١٥٠٠ فرنكا . غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ١٠٠٠ فرنك . اليمن الشمالية ١٥ ريال . ايطاليا ٣٠٠٠ ليره

الادارة دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

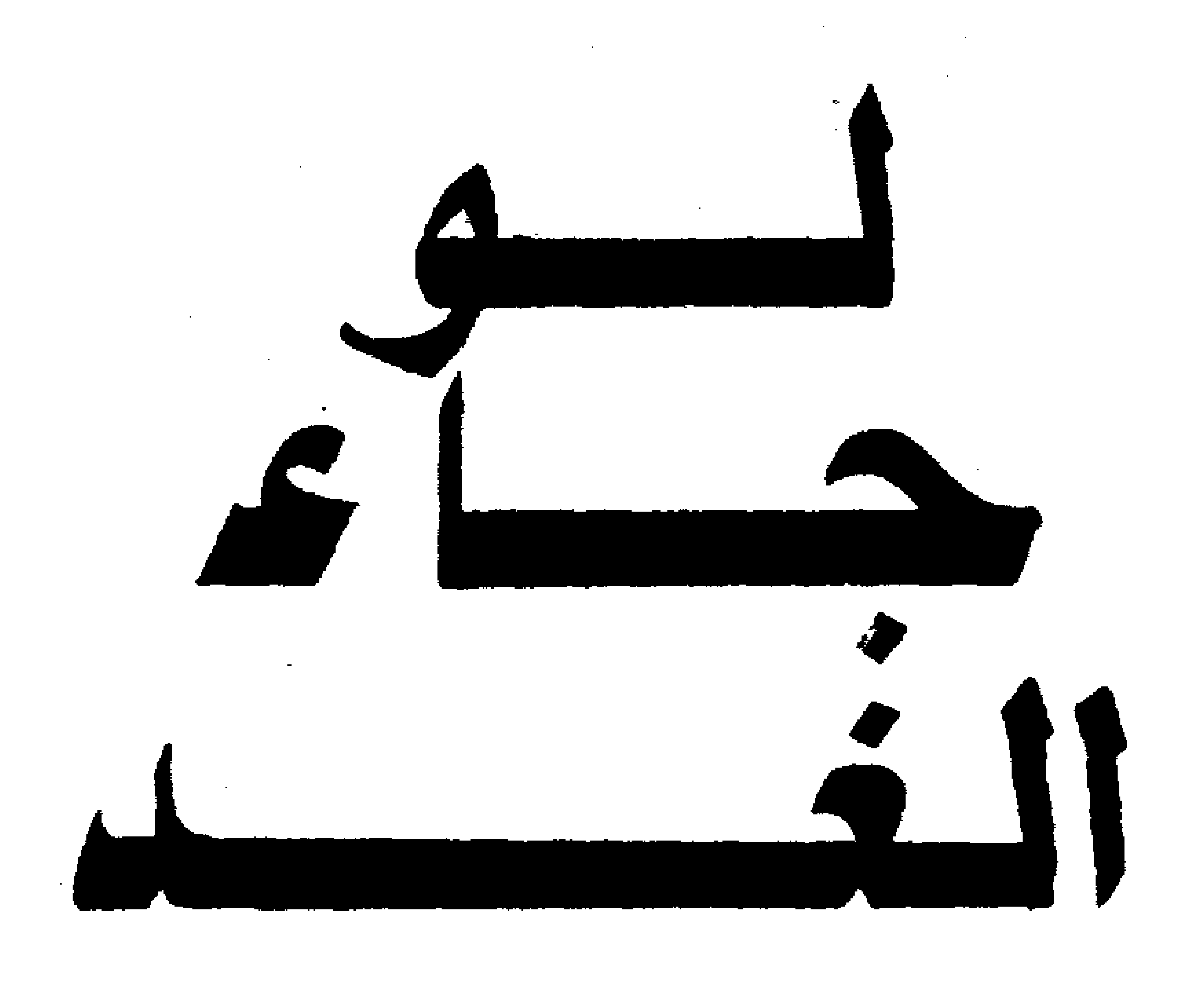
تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط



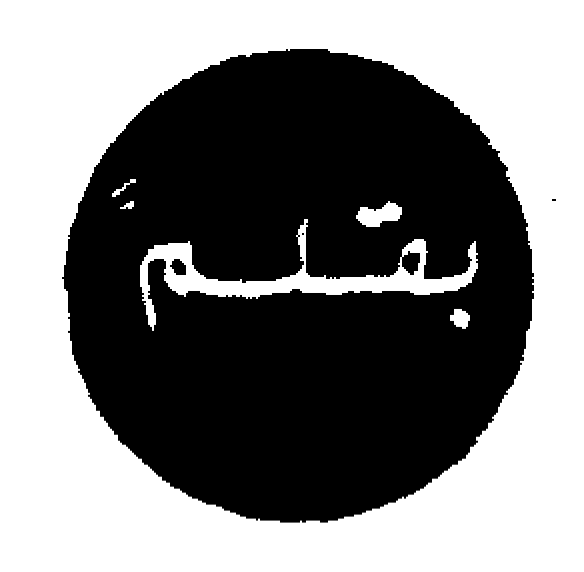
مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

الغلاف بريشة الفنانة

سميحة حسنين



IF TOMORROW COMES



سدنى شيلدون



محمود مسعود

دار الهلال

مقـــدمة

بقلم سيدنى شيلدون
ترجمة محمود مسعود

يعتبر الروائى الامريكى الكبير سيدنى شيلدون اقدر واشـــهر مؤلفى روايات الخفايا والجنائيات فى العصر الحديث ، حتى لقـد لقب بأستاذ الرواية الجنائية غير منازع وصـــارت مؤلفاته أروج الروايات وأكثرها مبيعا وذيوعا ، وترجم أكثرها الى اكثر من ثلاثين من أمهات اللغات العالمية . وفى هذه الرواية يقدم لنا المؤلف اذكى واجرأ بطلاته واقدرهن على تدبير المكائد ورسم الخطط المذهلة .. فتاة توافر لها جمال أخاذ وذكاء خارق واعصاب فولاذية مما يندر ان يجتمع فى اهاب فتاة واحدة . وبهـــذا السلاح تواجه ملوك الجريمة المنظمة من عتاة « ألمافيا » الذين استحكموا فى معاقلهم وبسطوا سلطانهم الباطش الرهيب على مدن بأسرها فى تحد سافر للقانون الذى يبدو عاجزا عن مواجهتهم والاقتصاص منهم وتخليص المجتمعات الآمنة من شرورهم وآثامهم وهم لايتورعون عن ســحق كل من يأبى الاذعان لمطامعهم ، ناهيك بمن يجرؤن على مناهضـــتهم والتصدى لهم . واسوأ من هذا كله شراؤهم للذمم وهيمنتهم على ضعاف النفوس من رجال الامن والقانون ليكونوا لهم مطايا يوجهونهم كآلات عمياء مطواعة استغلالا لنفوذهم فى تحقيق جرائمهم البشعة وامعانا فى تحدى القانون والنظام ... وبين براثن هذه الطغمـــة الفاسدة المفســدة تقع البطلة ضحية بريئة مظلومة وتواجه حـكما بالسجن لمدة خمسة عشر عاما عن جريمة ملفقة لم تقترفها ... ولكنها لا تلبث بما أوتيت من عزم وقوة وشـــجاعة أن تقهر عوامل اليأس والخذلان وتنبرى للانتقام من ظالميها القساة ولا سلاح لها سوى ذكائها الحاد وملاحتها الآسرة واعصابها البتارة استخلاصا لحريتها واقتصاصا من ملوك الجريمة واحدا تلو الآخر بأســاليب مبتكرة فذة تقصر عنها عقول ادهى الرجال .. فهل تنتهى محنتها عند هذا الحد وتعود اليها اسباب الطمأنينة لكى تذوق طعم الحب والسعادة من جديد وقد انتزعت منهما انتزاعا بما فرض عليها من تلك الارزاء الاليمة ؟ ..

لقد الفت البطلة نفسها تواجه مرة اخرى مجتمعا أوسع يضن عليها بما هو حقها فى الحياة الآمنة الوادعة ، فتضطر من جديد الى المكافحة والمناضلة ، وفى كفاحها هذا العاصف ضد عالم يتسيد فيه المنحرفون من ذوى الثراء الباذخ والالقاب العريضة والمناصب السامقة واضرابهم ممن اكتظت جيوبهم بالاموال وخوت نفوسهم من نوازع الاستقامة والشرف ـ تجد البطلة نفسها مسوقة الى مواجهة كل أولئك بأسلحة جديدة من ذخيرتها التى لا ينضب معينها الخصب كفا لاذاهم عنها وحيلولة دون استشراء انحرافهم وتقليما لاظافرهم الحادة الناشبة فى كيان المجتمع الاكبر .. وهكذا نراها تتقلب بين نيويورك ولندن وباريس وبروكسل ومدريد وامستردام وغيرها من المواطن العالمية ، فى مواجهات حامية عنيفة مع أبرع رجال البوليس المحلى والدولى « الانتربول » ممن اطلقهم خصومها الحسدد فى اثرها وهم أعجز مايكونون عن الاهتداء حتى الى حقيقة امرها ، الا محققا واحدا تفرد دون هؤلاء بالعبقرية يكتشف شخصيتها ولكنه يظل على الدوام يتعقبها فى داب كلب الصيد وقد نذر نفسه لاقتناصها مدفوعا بعوامل خفية يضمرها فى نفسه تفضح فى النهاية سره الدفين .. ثم يشاء القدر ان تتلاقى فى طريقها بذلك الذى يماثلها ذكاء وجراة وماضيا اليما معذبا مثل ماضيها .. فاذا توحدت وجهاتهما فى القيام بمشروعاتهما المتسمة بأشد الجراة والمغامرة فهل تتوحد مشاعرهما القلبية حتى تفوز البطلة فى النهاية بالحب الذى افتقدته طوال حياتها العاصفة ؟.. ذلك مانتركه للقارىء حتى لا نفسد عليه بهجة الاستمتاع بهذه الرائعة الجديدة التى صدرت لاول مرة منذ شهور قلائل والتى ننشر لاول مرة مترجمة الى العربية .

***

هذا ، وللمؤلف روايات اخرى مشهورة هى « الوجه العارى » ، و « غريب فى المرآة » ، و « خط الدم » ، و « الشطر الآخر لمنتصف الليل » ، و « غضب الملائكة » ، و « سيد اللعبة » .

والمؤلف يعيش فى لوس انجيلوس بالولايات المتحدة مع زوجته الممثلة جورجا كورترايت ، ولهما ابنة واحدة هى مارى التى اتجهت الى التاليف وفازت روايتها الاولى « ساحلم بالظلام » باحدى الجوائز الادبية المرموقة .

محمود مسعود

القسم الاول

الفصل الأول

نيو اورليانز

الخميس ۲۰ فبراير ـ الساعة ۱۱ مساء .

خلعت ملابسها ببطء ، واختـــارت رداء زاهي اللون وهي كالحالمة . ثم سرحت نظرها في غرفة النوم للمرة الاخيرة لكي تتأكد ان الغرفة المحببة اليها على مدار الثلاثين سنة الماضية كانت نظيفة ومرتبة ، ولم تلبث أن فتحت درج المنضدة المجاورة للفراش واخرجت منه المسدس محاذرة . كان المسدس اسود لامعا ، بارد اللمس بصورة مروعة . واخيرا وضعت المسدس قرب التليفون ، وادارت رقم ابنتها في مدينة فيلادلفيا . ولبثت برهة تستمع الى صـدى الرنين البعيد ، وعلى الاثر جاء صوت رخيم قائلا : آلو ! ..

ـ تريسى ! .. احببت أن اسمع صوتك ياحبيبتى ..

ـ يالها من مفاجأة لطيفة يا امى !..

ـ ارجو الا اكون ايقظتك من النوم ؟..

ـ كلا . كنت اقرأ ، استعدادا للنوم . كنت مع تشارلز في الخارج نتناول العشاء ، لكن الطقس شنيع جدا . الثلوج هنـا تسقط بغزارة . كيف حال الطقس عندكم ؟..

ناجت دوريس هويتني نفسها : يا الهى !.. اننـا نتكلم عن الطقس ، في حين هناك اشياء كثيرة أريد أن اخبرها بهـا ، ولا اقدر ! ..

ـ امى ؟.. هل انت على الخط ؟..

حدقت دوريس هويتني من النافذة ، وناجت نفسها بعـد أن ردت بأن المطر ينهمر : ياللصورة الدراماتيكية ، كأنهـا في أفلام هتشكوك ! ...

سمعت تريسى تقول : ماهذه الضوضاء ؟ ..

فردت دوريس وهي تفتعل نبرة الانتعاش :

ـ هو الرعد ياتريس ... احكى لى ما يحدث عنـــدكم فى فيلادلفيا ...

ـ اشعر يا أمى كأننى أميرة فى حكاية خيالية ، ولم أكن اعتقـد ابدا ان الانسان يمكن أن يشعر بمثل هذه السعادة الغامرة .. فى مساء غد سأقابل والدى تشارلز ... هم آل ستانهوب ، من الاكابر فى تشسترهيل ، ولهم مؤسسة كاملة ..

ـ لا تشغلى بالك .. انهم سوف يحبونك ياعزيزتى ..

ـ قال لى تشارلز ان هذا لا يهم ، فهو يحبنى ، وأنا متيمة به ... ولا يمكننى الانتظار الى أن تقابليه ... هـو شـخصية رائعة ! ..

ـ انا متأكدة انه كذلك ..

قالت دوريس لنفسها أنها لن تجتمع بتشارلز أبدا !.. ولن تحمل قط حفيدا فى حجرها !..

ـ كفى الآن كلاما عنى يا أمى ... اخبرينى كيف الاحـوال عندكم ؟ ...

ـ انا بكل خير ... اننى اشعر بأتم السعادة كلما تـكلمت معك ...

فقالت تريسى معاتبة : هل لم تختارى حبيبا لك بعد ؟ ..

والواقع أن دوريس هويتنى من بعد وفاة والد تريسى منذ خمسة أعوام لم تفكر حتى فى مصادقة رجل آخر ، على الرغم من تشجيع تريسى لها ...

لقد غيرت دوريس موضوع الحديث قائلة :

ـ لا أصدقاء ... كيف حال عملك ؟.. هل انت مرتاحة ؟..

ـ انا مشغوفة به .. وتشارلز لا يبالى اذا استمررت فى العمل بعد زواجنا ...

ـ هذا رائع ياطفلتى ... يبدو أنه شاب متفهم جدا ..

ـ هو كذلك .. وستتأكدين بنفسك ..

وقصف الرعد مدويا .. اذن فقد حان الوقت .. ولم يبق ما يقال ، سوى كلمة وداع اخيرة ، قالتها دوريس وهى تغـالب نفسها لكى يبدو صوتها ثابتا :

ـ مع السلامة يا حبيبتي ...
ـ سأراك يا امي في حفلة الزفاف ... وسأتصل بك حالما نحدد انا وتشارلز الموعد ...
على أى حال لم تبق سوى كلمة نهائية :
ـ نعم ... انا أحبك ياتريسى ، جدا ، جدا ! ..
ووضعت دوريس هويتنى سماعة التليفون بعناية ...
ثم تناولت المسدس .. لم يكن ثمة سوى حل واحد تلجأ اليه .. وبسرعة ...
فرفعت المسدس الى صدغها ، وضغطت على الزناد ...

الفصل الثانى

فيلادلفيا .
الجمعة ٢١ فبراير الساعة ٨ صباحا
غادرت تريسى هويتنى شقتها فى العمارة السكنية مرتدية معطفها الواقى من المطر فى طريقها الى عملها فى بنك تراست وهى تشعر بالبهجة والسعادة ... كانت فى الخامسة والعشرين من عمرها ، ذات محيا صبوح فيه من امارات الذكاء والنجابة حظ موفور ، وعينين خضراوين ، وقوام رياضى ممشوق ، وبشرة وردية نضرة .
كان البنك الذى تعمل فيه قد رقاها الى وظيفة رئيسة لقسم التحويلات الخارجية ، وبعد ادخال نظام الكمبيوتر فى البنك ـ وهى متخصصة فى هذا المجال ـ تضاعفت انشطة المصرف ، وزادت أعباء تريسى . بيد انها كانت متفانية فى عملها ، قريرة العين به . انما كانت سعادتها الكبرى هى فى تلك العلاقة التى ربطت بينها وبين تشارلز . فقد أعجب بجمالها وذكائها فى تلك الندوة المصرفية التى حضرها كلاهما : هو كمدير للمؤسسة الاستثمارية التى يشرف عليها والده ستانهوب المالى الكبير ورجل الاعمال المرموق ، وهى كأخصائية فى المعاملات المصرفية الداخلية والخارجية . وبعد قبولها دعوته الاولى للعشاء فى المطعم الفاخر ، تكرر اللقاء بينهما ، وتطورت العلاقة الى حب متبادل ، وعندما عرض عليها الزواج ، قبلت بعد تردد ، حتى انه قال لها ذات مرة :

ـ نعم ان والدى ووالدتى سيقابلان فكرة زواجنا بدهشة الى حد ما ، لكننى كفيل بتسوية كل شيء ...
فقالت له تريسي : وفيم الدهشة ؟ ...
فتنهد تشارلز قائلا : لن أخفى عنك ياحبيبتى ان آل ستانهوب متمسكون بالتقاليد التى تحرص على الزواج المتكافيء واختيار العروس بمعرفتهم ... لكن هذا لا يهم .. المهم هو اختيارى انا .
وشفع هذا بعناق وقبلة ، ثم أردف قائلا :
ـ سوف نتناول طعام العشاء عندهما يوم الجمعة المقبل .. فقد حان الوقت لكى تلتقى بهما .
كانت هذه الذكريات تدور فى خاطر تريسي رغم انهماكها فى عملها بالمصرف . وعندما حانت الساعة الواحدة وتأهبت تريسي للانصراف بعد الفترة الصباحية لتصفيف شعرها استعدادا لموعدها عند أسرة ستانهوب الكبير ـ استدعاها ديزموند المدير التنفيذى فى البنك . ودعاها الى الجلوس وقال لها بلهجة ودية :
ـ سمعت انك وتشارلز ستانهوب مخطوبان تمهيدا للزواج .
فقالت تريسي بدهشة : اننا لم نعلن أى شيء عن هذا ... كيف ..؟
فرد ديزموند قائلا : ان اى شيء يتصل بآل ستانهوب هو من الاخبار الهامة . انا سعيد بهذا النبأ . واعتقد انك سوف تعودين للعمل معنا بعد شهر العسل ... اننا لا نريد ان نفتقدك ... فانت واحدة من أكفأ موظفينا ...
ـ اننى وتشارلز تناقشنا فى هذا ، واتفقنا على اننى سأكون اسعد بمواصلة العمل ...
ابتسم ديزموند راضيا .. فان مؤسسة ستانهوب كانت واحدة من أهم البيوت الاستثمارية فى الدوائر المالية ، وكان ديزموند يتوق الى احتكار معاملاتهم فى فرع هذا البنك الذى يشرف عليه ... ومالبث ان مال فى مقعده الى الخلف قائلا :
ـ بعد عودتك من شهر العسل ياتريسي ، ستجدين فى انتظارك ترقية ، مع علاوة كبيرة ..
ـ آه .. شكرا لك .. هذا خبر عظيم ...
كانت بشرى طيبة ودت تريسي أن تبلغها لتشارلز بأقرب وقت ، وبدا لها كأن الاقدار اختارتها وحدها لكى تغدق عليها من السعادة ما لا مزيد عليه ..

وفى الموعد المحدد دلفت تريسى الى قصر آل ستانهوب وهى تحسب لهذا اللقاء الف حساب .. وقد وجدت ستانهوب الاب رجلا بادى الصرامة فى حوالى الخامسة والستين من العمر ، وخط المشيب شعر عارضيه . أما زوجته فكانت أدنى الى القصر ، تلوح عليها امارات المهابة والعزم . وقد بادرتها قائلة وهى تبسط يدها :

ـ هذا كرم منك ياعزيزتى أن تحضرى عندنا . اننا طلبنا من تشارلز أن يهيىء لنا بضع دقائق لكى نجتمع بك على انفراد . لعلك لا تمانعين ؟ ..

فتولى الزوج الرد قائلا : طبعا لا تمانع . اجلسى ياتريسى ... اليس هذا اسمك ؟ ..

ـ نعم ياسيدى ...

وجلس الوالدان على اريكة فى مواجهتها ، ثم اردف قائلا :

ـ اذن انت وتشارلز تريدان الزواج ؟.

ولما ردت تريسى بالايجاب قالت مسز ستانهوب :

ـ الحقيقة أنك وتشارلز لم تتعارفا ببعض مدة طويلة ، اليس كذلك ؟ .

غالبت تريسى استياءها ، فهاهى ذى فى مجلس تحقيق ، وهو ماكانت تخشاه . بيد انها ردت قائلة :

ـ انها كانت مدة كافية لكى نعرف أننا متحابان يا مسز ستانهوب ...

وهنا غمغم ستانهوب : متحابان !؟..

ثم مضت مسز ستانهوب تقول : لكي اكون صريحة معك يا مس هويتنى ، فان هذا الخبر جاء صدمة لوالده ولى .. فالجميع يعرفون أن خطبته لبنت عمته شارلوت التى نشأ معها منذ الصغر كانت ستعلن هذه السنة ..

لم تكن تريسى بحاجة الى من يصف لها شارلوت .. فقد تصورتها من طبقة الاغنياء هؤلاء ، تتقلب فى النعيم ، وتتعلم فى أرقى المدارس وهوايتها الخيول والفوز بالجوائز ...

ولم يلبث مستر ستانهوب ان قال لها : كلمينا عن عائلتك ...

واعقبته زوجته سائلة : أين كان مسقط راسك ياعزيزتى ؟.

ـ فى لويزيانا .. وكان ابى ميكانيكيا ..

ـ ميكانيكى ؟!..

ولم تكن تريسى بحاجة الى ذكر عبارتها الاخيرة ، بيد انها لم تستطع أن تقاوم ، وليذهبا الى الجحيم ... فقد كانت فخورة بأبيها .. ولهذا استطردت تقول :

ـ نعم ... انه أسس مصيفا صغيرا فى نيواورليانز ، وظل يرعاه حتى اتسع ... وعندما توفى أبى منذ خمس سنوات ، حلت أمى مكانه ...

تبادل الاب والام نظرة معنوية ، وقالا معا : مفهوم ...

والواقع أن نبرات صوتهما جعلت تريسى اقرب الى التوتر ، وتطلعت الى ملامحهما المتجهمة التى خلت من كل تعاطف ، فلم تتمالك ان اطلقت لنفسها العنان قائلة :

ـ مؤكد انكما ستحبان أمى ، فهى جميلة ، وذكية ، وجذابة ... انها من اهل الجنوب .. وهى قصيرة القامة ، فى مثل قامتك يامسز ستانهوب ...

ولكنها كفت عن الاسترسال ازاء صمتهما المرهق .. ولم تتمالك ان ارسلت ضحكة يسيرة بلهاء تبددت تحت نظرة الاب الصارمة ..

وفى هذه الورطة الثقيلة جاءت النجدة بدخول تشارلز ... فلم تسعد تريسى فى حياتها برؤية احد مثلما سعدت برؤيته .. وقال تشارلز متهلل الاسارير :

ـ كيف سار كل شىء بينكم ؟..

وفى الحال نهضت تريسى والقت نفسها بين ذراعيه مغمغمة : « عظيم ياحبيبى » ...

حمدا لله ! .. ان تشارلز ليس مثل والديه ... ولايمكن ابدا ان يكون مثلهما ! .. انهما ضيقا الفكر ، ومحدثا نعمه ، وباردان !.

وبعد العشاء الفاخر الذى ساده جو المجاملة ، تلمس تشارلز يدها من تحت المائدة ، وقال باسما وهو يغمز لها بعينه :

ـ انا وتريسى نفضل زفافا محدودا ، وفيما بعد ..

بيد أن والدته قاطعته قائلة : كلام فارغ ... ان الاسرة لا تعرف الزفاف المحدود ياتشارلز ... ان هناك العشرات من الاصدقاء الذين يريدون أن يحضروا زواجك ... وربما يجدر بنا أن نرسل الدعوات فى الحال ...

وبنظرة الى تريسى لتفحص قوامها اردفت : هذا ، ان كان

ذلك الترتيب مقبولا لكما ؟
ـ نعم .. نعم طبعا ...
سارعت تريسى بهذا الرد وقد سرى عنها .. فسوف يتم الزواج فعلا ، فعلام التشكك والهواجس من جانبها ؟..
ثم اضافت مسز ستانهوب قائلة : ان بعض الضيوف سوف يجيئون من الخارج ، وسآخذ الترتيبات لاستضافتهم عندنا ..
وقال ستانهوب : هل اتفقتما على المكان الذى تقضيان فيه شهر العسل ؟..
ابتسم تشارلز ، واجاب وهو يضغط على يد تريسى تحت المائدة هذه معلومات خصوصية يا أبى !..
وقالت الزوجة الام : وكم سيطول شهر العسل ؟..
ـ لمدة خمسين سنة ! ..
لشد ما افتتنت به تريسى لهذا الرد !..
وكان الوقت يناهز منتصف الليل عندما أوصلها تشارلز بسيارته الى شقتها الصغيرة ، واثناء ذلك قال لها :
ـ ارجو الا تكون السهرة قد ارهقتك ياتريسى .. ابى وأمى يمكن أن يكونا صلبين احيانا ...
فردت تريسى كذبا : آه .. كلا .. انهما كانا بديعين ..
وعلى الرغم من أنها كانت مجهدة من تأزم السهرة فى مطلعها ، الا انها قالت له وهما على باب الشقة :
ـ الا تود أن تدخل ؟..
ـ ليس هذه الليلة .. فعندى عمل كثير فى الصباح ..
فقالت وقد اخفت استياءها : طبعا .. مفهوم ياحبيبى ..
ـ سأتصل غدا ..
وودعها بقبلة قصيرة ..

***

استيقظت تريسى على رنين جرس التليفون الذى كان يدق بالحاح ...
واشارت الساعة على المنضدة الجانبية الى الثانية والنصف صباحا ... وكان أول خاطر افزعها هو ان شيئا قد الم بتشارلز .
فاختطفت سماعة التليفون قائلة : آلو ! ..
فجاءها على البعد صوت رجل يقول : تريسى هويتنى ؟.

ـ من المتكلم ؟..

ـ انا الملازم ميلر من ادارة بوليس نيو أورليانز .. هل أنت تريسى هويتنى ؟ ..

فأجابت وقلبها يدق كمطرقة : نعم ..

ـ يؤسفنى ان عندى خبرا سيئا .. هو خاص بوالدتك ...

ـ هل وقع لامى حادث ؟..

ـ انها توفيت يامس هويتنى ...

صرخت تريسى مروعة : كلا !...

فقال المتكلم : كنت أكره ان ابلغك الخبر بهذه الطريقة .

ياله من كابوس ! .. لقد تجمدت الكلمات على لسانها ، وشل تفكيرها ...

ثم سمعت صوت الضابط يقول :

ـ آلو !.. آلو يامس هويتنى !..

ـ سأصل بأول طائرة ...

جلست تريسى فىالمطبخ الصغير تفكر فى أمها .. مستحيل انها توفيت ! ..

فقد كانت موفورة الحيوية ، دائبة النشاط .. وكانت علاقتهما على الدوام وثيقة الاواصر ، عميقة المشاعر ... وبعد وفاة والدها فاتحها الكثيرون فى شراء المصنع ، بل عرضوا عليها من المال ماكان يمكن ان يكفل لها حياة طيبة طيلة العمر ، غير أنها ظلت ترفض باصرار ، قائلة لابنتها : « ان والدك اقام هذا المصنع بكده ودابه ، ولا يمكن ان ابدد عمله الشاق المتواصل » ... وهكذا تعهدت امها هذا العمل وسارت على نهج زوجها الراحل !..

ولم تتمالك تريسى ان اجهشت بالبكاء ...

ودت فى هذا الموقف من كربها ان تتصل تليفونيا بتشارلز وتخبره بما حدث ، وان يكون بجانبها ... ثم حانت منها التفاتة الى ساعة المطبخ ، فكانت الثالثة والنصف .. انها لاتود ان توقظه ، وبمكن ان تتصل به تليفونيا من نيواورليانز ... ولم تتمالك ان تساءلت فى نفسها ان كان هذا التطور يمكن ان يؤثر على مشروعات الزواج ، فما اسرع .. تأثمت للتفكير فى شىء كهذا وهى فى مصابها ذاك .. لقد قال لها الضابط ميلر : « عند وصولك الى نيواورليانز

خذى أول تاكسى واقصدى الى ادارة البوليس » ..
لماذا ادارة البوليس ؟.. وماذا حدث ؟..

***

ما أن هبطت تريسى فى مطار نيواورليانز واستردت حقيبتها الصغيرة حتى استقلت اول سيارة اجرة توجهت بها الى مركز البوليس وهى فى دوامة من التوجس والجزع ..

واستقبلها اللازم ميلر معتذرا قائلا :

ـ آسف لاننى لم اتمكن من مقابلتك فى المطار .. اننا فتشنا كل اوراق والدتك ، ولم نجد الا انت الوحيدة التى أمكن الاتصال بها .

ـ ارجوك ياحضرة الضابط .. اخبرنى ماذا ـ ماذا حدث لوالدتى ؟ ..

ـ انها انتحرت ...

شعرت تريسى بقشعريرة باردة سرت فى كل كيانها ، وقالت بصوت مشروخ :

ـ هذا .. هذا مستحيل .. ما الذى يدعوها الى قتل نفسها ؟

ـ انها تركت رسالة موجهة اليك ...

***

كانت المشرحة باردة ، كالحة ، مرعبة ...

وقد اقتيدت تريسى فى ممشى أبيض طويل أفضى بها الى حجرة كبيرة خاوية .. ومالبث المشرف فى معطفه الابيض الطويل أن تقدم الى حائط ومد يده الى مقبض وجذب منه درجا كبير الحجم قائلا :

ـ هل تحبين ان تلقى نظرة ؟..

كلا !.. مايكون لها أن تبصر الجثمان الهامد الممدد فى ذلك الصندوق ، وودت لو استطاعت أن تبرح هذا المكان ...

وفى النهاية تقدمت وانية ، وهى تكاد تصرخ فى كل خطوة .. واذا هى تحدق فى رفات الجسد الخامد الذى حملها ، وغذاها ، وضاحكها ، ومنحها المحبة والحنان .. ولم تلبث أن انحنت وقبلت وجنة أمها ، باردة ورخوة ، واذا هى تهمس : أواه يا أمى ! ... لماذا ؟ .. لماذا فعلت هكذا ؟ ..

وسمعت المشرف يقول لها : سنقوم بتشريح الجثة ... هذا من قوانين الولاية حيال من ينتحرون ...

ولم يكن فى الرسالة التى تركتها دوريس هويتنى اى تفسير .. كانت بها هذه الكلمات :

« حبيبتى تريسى – ارجو ان تسامحينى ... اننى فشلت ، ولم يكن فى قدرتى أن أكون عبئا عليك ... كان هذا هو المخرج الوحيد ... اننى أحبك أعظم الحب – أمك » .

كانت الرسالة خامدة مجردة من كل معنى ، مثل الجثة الممددة فى التابوت ....

وفى عصر هذا اليوم اتفقت تريسى على ترتيبات الجنازة ، ثم قصدت فى سيارة آجرة الى بيت الاسرة ...

كان البيت مثل معظم البيوت فى نيواورليانز ، مشيدا من الاخشاب بلا أساس ، اذا كانت المنطقة تحت مستوى سطح البحر ...

لقد شبت تريسى وترعرعت فى هذا البيت ، وكان مليئا بالذكريات الحلوة ... وهى لم تدخل هذا البيت فى السنة الماضية ، ولهذا ررعت عندما اقتربت سيارة الاجرة من البيت ولمحت لافتة كبيرة فى الفناء مكتوبا عليها : « المنزل للبيع – شركة نيواورليانز العقارية » ... هذا مستحيل !..

وبخطى مضطربة مضطرمة تقدمت الى الباب الامامى وفتحته بالمفتاح الذى ظلت تحتفظ به منذ كانت طالبة .. وما أن دلفت الى الداخل حتى جمدت مكانها مشدوهة ...

كانت الغرف خاوية تماما ، مجردة من كل اثاث ... واسرعت تريسى تجرى من غرفة الى اخرى وهى لا تكاد تصدق عينيها .. فقد بدا وكأن كارثة مفاجئة قد حلت بالبيت .. ولما هرولت صاعدة الى الدور العلوى ووقفت بباب غرفة نومها التى شغلتها معظم حياتها ، بدت لعينيها خاوية متجهمة ...

رباه !.. ماذا حدث ؟..

ثم صافح سمعها رنين جرس الباب الامامى ، فهبطت السلالم كالحالمة وفتحت الباب ...

كان القادم هو أوتو شميدت الالمانى وكيل مصنع هويتنى لقطع الغيار ، وكان رجلا متقدما فى السن بادى النحول تحف بصلعته دائرة من الشعر الابيض ، وقد بادرها قائلا :

– اننى سمعت الخبر توا .. ولا .. ولا يمكننى ان اقول لك كم احزننى ..

فقالت تريسى وهى تشد على يديه : اواه يا اوتو !... كم انا

مسرورة برؤيتك .. ادخل ..

وقادته الى غرفة المعيشة الخالية قائلة : انا آسفة اذ لا يوجد ما نجلس عليه ... هل تمانع فى الجلوس على الارض ؟..

ـ لا .. لا ..

وجلسا على الارض متواجهين ، والصمت يغشى عيونهما تعاسة وضنى ... كان شميدت وكيلا للمصنع منذ أن أقامه والدها ، وبعد وفاته كانت أمها تعتمد عليه كل الاعتماد .. ثم قالت له تريسى :

ـ انا لا افهم مايحدث يا أوتو ... يقـول البوليس ان أمى انتحرت ، لكنك تعلم انه لا يوجد سبب يدفعها الى قتل نفسها ...

وفجأة خطرت لها فكرة ، فأضافت : هل كانت مريضة ؟.. هل اصيبت بمرض خطير و ..

فأشاح بنظره ، وقال وهو فى حرج شديد : لا ... لم يـكن هذا ...

فقالت تريسى بتؤدة : انت تعرف السبب ؟..

فتفرس فيها بعينيه الزرقاوين الباهتتين قائلا : ان والدتك لم تخبرك بما كان يحدث فى الفترة الاخيرة ... انها لم تكن تريد أن تكدرك ...

فقالت تريسى مقطبة : تكدرنى لاى شيء ؟... تكلم ... مـن فضلك ! ..

فقال وهو يقبض ويبسط يديه اللتين انحلهما العمل : هـل سمعت عن رجل اسمه جوررمانو ؟ ..

ـ جوررمانو ؟ .. كلا .. لماذا ؟..

فراح شميدت يقول وهو يطرف بعينيه : منذ ستة شهور اتصل جو رومانو بوالدتك وقال انه يريد شراء المصنع .. ولما اخبرته بانها لا ترغب فى البيع ، عرض عليها ثمنا يبلغ عشرة امثال ما يسـاويه المصنع ، فلم يكن بامكانها ان ترفض ... والحقيقة انها تحمست ، وكان فى نيتها شراء سندات بالمبلغ كله يكفى ريعها لكي تعيش هى وانت مدى الحياة فى يسر وبحبوحة ... وكانت تريد أن يكون فى هذا مفاجأة لك ... والحقيقة أننى سررت من اجلها ، وكنت أريد اعتزال العمل طيلة السنوات الثلاث الماضيـة ، لكننى ياتريسى لم يكن بوسعى ان اتخلى عن مسز دوريس ...

ثم اردف وهو يكاد يبصق الكلمات : ان رومانو هذا ـ رومـانو

هذا أعطاها مقدم الثمن مبلغا صغيرا ... اما الباقى وهو القسط الأكبر ، فكان محدداً ان يدفع فى الشهر الماضى ...

فقالت تريسى فى شيء من نفاد الصبر : استمر يا أوتو .. ماذا حدث ؟..

ـ عندما تسلم رومانو زمام المصنع ، بادر بطرد جميع عماله واحل رجاله محلهم ... وبعد هذا أخذ ينهب المصنع ، فباع جميع أصوله ، وجلب معدات جديدة على حساب المصنع ، وكان يبيعها دون أن يسدد اثمانها ... وكان الموردون لا يقلقون لتأخير السداد اعتقادا منهم بانهم لا يزالون يتعاملون مع والدتك ... وحينما بداوا فى النهاية يلحون عليها لسداد مستحقاتهم ، ذهبت الى رومانو وطلبت منه أن تعرف حقيقة مايجرى .. فابلغها أنه قرر الا يمضى فى الصفقة وانه سيعيد اليها المصنع ... وعند هذا الحد لم يكن المصنع بلا قيمة فقط ، بل كانت والدتك مدينة بنصف مليون دولار لم يكن فى قدرتها دفعة ... واقول لك ياتريسى أن الموقف كان يمزق قلبى انا وزوجتى ونحن نرى والدتك تجاهد عبثا لانقاذ المصنع ... فلم يكن أمامها من مخرج .. وقد اضطروها الى اعلان الافلاس .. واستولوا على كل شيء : المصنع ، والبيت ، وحتى سيارتها ..

ـ أواه ياربى !.

ـ بل أكثر من هذا ... فان المدعى العام وجه الى والدتك انذارا بانه سوف يستصدر حكما عليها بالتدليس والاحتيال ، ثم السجن وكان ذلك فى اليوم الذى توفيت فيه ، على ما اظن ..

فقالت تريسى وهى تضطرم بغضب عاجز : لكن كل ما كان يجب عليها أن تفعله هو أن تخبرهم بالحقيقة ... وأن تشرح لهم ماذا فعل ذلك الرجل فى حقها !..

فهز وكيل المصنع الكهل راسه قائلا : ان جورومانو يعمل لحساب رجل يدعى انتونى أورسانى ... واورسانى يسيطر على نيواورليانز وقد اكتشفت بعد فوات الاوان ان رومانو فعل هذا من قبل مع مصانع اخرى ... وحتى لو كانت والدتك قد جرته أمام المحاكم لاستغرق هذا سنوات قبل أن تكتشف الحقيقة ، ولم تكن تملك المال للتغلب عليه ..

فهتفت وهى فى الم كرب : ولماذا لم تخبرنى والدتى بكل هذا ؟ ...

ـ ان والدتك كانت معتزة بكرامتها ... وما الذى كان بامكانك ان تفعليه ؟.. ليس فى قدرة أحد ان يفعل شيئا ..

فقالت تريسي بشراسة : أريد أن أرى جورومانو .. اين يمكن أن أجده !..

فأجاب شميدت بصراحة باترة : انسى كل شيء عنه .. ليست عندك فكرة عن مدى قوته ...

ـ انه يملك بيتا قرب جاكسون سكوير ، لكن لا فائدة من ذهابك اليه ياتريسي ... صدقيني ...

لم ترد تريسي ... فقد افعمت نفسها باحساس كان غير معهود لديها بتاتا : الحقد المضطرم ... واقسمت فى سرها أن يدفع جو رومانو الثمن لقتل أمها ...

الفصل الثالث

كانت تريسي فى حاجة الى وقت ... وقت للتفكير .. وقت للتخطيط لخطوتها التالية ..

انها لم تكن تحتمل ان تعود الى البيت المخرب ، وهكذا قصدت الى فندق صغير ، على بعد من الحي الذى يقع فيه البيت .. ولم يكن معها متاع ، ولهذا قال لها موظف الفندق المتشكك : لابد أن تدفعي مقدما ... والمطلوب هو ٤٠ دولارا عن الليلة ..

ومن غرفتها بالفندق اتصلت تليفونيا بديزموند فى البنك واخبرته انها لن تستطيع العودة للعمل بضعة أيام ، فبادرها قائلا :

ـ لا تشغلي بالك .. سادبر من يحل محلك الى حين عودتك

وكان يرجو فى سره أن تخبر تشارلز ستانهوب الى أى حد هو متفهم ومتجاوب ...

وكانت مكالمة تريسي التالية مع تشارلز : تشارلز .. حبيبي ..

ـ اين انت بحق الشيطان ياتريسي ؟.. ان والدتي ظلت تحاول الاتصال بك طيلة الصباح ، وكانت تريد ان تتناول الغداء معك اليوم .. انتما الاثنان أمامكما ترتيبات كثيرة لاتمامها !..

ـ انا آسفة ياحبيبي .. انا فى نيواورليانز ..

ـ انت اين ؟! .. ماذا تفعلين فى نيواورليانز ؟ .

ـ امي .. ماتت !.
وسرعان ماتغيرت نبرات صوته قائلا : آه .. أنا آسف ياتريسى .. لابد أن هذا كان مفاجأة .. كانت صغيرة السن ، كما أظن ..
فردت تريسي فى تعاسة ولوعة : جداً .. جدا !..
فقال وقد آنس حالتها : مابك ؟ .. هل أنت على مايرام ؟..
لم تقو تريسي على أن تقول له أنها حالة انتحار ... كانت تود من اعماق قلبها أن تنفض اليه القصة كاملة عما فعلوه بامهـا ، بيد أنها امسكت وهى تناجي نفسها : « انها مشكلتى ، ولا اريد أن احمل تشارلز عبئها » ... وقالت بصوت مسموع :
ـ لا تشغل بالك ... أنا بخير ياحبيبى ..
ـ هل تودين أن احضر عندك ياتريسى ؟..
ـ كلا .. اشكرك ... بامكانى أن أتصرف .. سأشرف على دفن امي غدا . وساعود الى فيلادلفيا يوم الاثنين ..
وعندما ردت السماعة الى مكانها تمددت فى الفراش تحدق في السقف مشتتة الفكر مذهوبة الذهن لا يعرض لها سوى اسم واحد انطلق لسانها يجرى به مرارا : رومانو .. رومانو .. رومانو لابد أن يدفع الثمن .. ولم تكن لديها خطة ما .. لكنها عرفت فقط أنها لن تدع جورومانو يفلت مما فعل ، وانها ستجد طريقة للانتقام لامها ...
وفى اصيل هذا اليوم انصرفت تريسى من الفندق وسارت فى الشارع حتى وصلت الى محل رهون .. ولما دخلت تلقاها رجل له سحنة هيكل عظمى كان جالسا فى شبه قفص وقال لها : هل من مساعدة ؟..
ـ أريد .. اريد شراء مسدس ..
ـ هل تريدينه عيار ٣٢ أو ٤٥ ؟..
لم تحمل تريسى مسدسا فى حياتها ، وردت قائلة : يكفى ... نكفى عيار ٣٢ .
ـ عندى نوع بمائتين وثلاثين دولارا .. ونوع آخـر بمـائة وستين ..
لم تكن تريسى تحمل معها نقودا كافية ، ولما طلبت منه نوعـا ارخص هز كتفيه قائلا : اسمعى ياسيدة .. سابيعك عيار ٣٢ بمائة وخمسين دولارا ، مع علبة رصاص هدية ...
قبلت تريسى .. وعندما جاء بالمسدس ووضعه امامها فـوق

المنصة قال لها : هل تعرفين كيفية الاستعمال ؟..

ـ يمكن .. يمكن جذب الزناد ...

غمغم الرجل ، قائلا : هل تريدين أن أريك كيف تحشينه ؟..

همت أن ترد بالنفى ، وأن تقول انها لا تنوى استخدام المسدس، وكل ماتريد هو أن تخوف به شخصا ما ، غير انها ادركت عقم هذا الكلام ، وردت بالايجاب ...

ووقفت تراقبه وهو يدخل الرصاص فى خزانة المسدس ، ثم مدت يدها فى كيس نقودها وقدمت له المبلغ ، فقال لها :

ـ أريد اسمك وعنوانك لاستيفاء سجلات البوليس ..

لم يخطر هذا ببالها ... ان تهديد جو رومانو بمسدس هو عمل جنائى ، وان كان هو المجرم ، لاهى !..

قال الرجل مرة اخرى وهو يتفرس فى وجهها : اسمك ؟

ـ سميث ... جوان سميث ..

فدون الاسم فى بطاقة ، وقال : والعنوان ؟..

ـ داونمان رود ... رقم ٣٠ ـ ٤٠

فقال دون ان يرفع اليها نظره : لا يوجد رقم ٣٠ ـ ٤٠ فى طريق دونمان رود .. موقع هذا الرقم لابد أن يكون فى وسط النهر ؟.. لنقل ان الرقم هو ٥٠ ـ ٢٠ ..

ودفع اليها ببطاقة الاستلام ، فوقعت باسم جوان سميث .. فدفع اليها بالمسدس من خلال القفص محاذرا .. فلبثت برهة تحدق اليه ، ثم تناولته ووضعته فى حقيبة يدها ، وانثنت أخيرا واسرعت خارجة والرجل يصيح فى اثرها :

ـ اسمعى ياسيدة .. لا تنسى ان المسدس محشو !..

***

وقفت تريسى فى ظلال الاشجار الباسقة المحيطة بمنزل جو رومانو فى ذلك الحى الراقى من المدينة منتظرة تكاثف الظلام وهى تستعيد خطتها ، شاعرة طيلة الوقت بثقل المسدس فى حقيبة يدها ...

كانت الخطة بسيطة ... ستجادل جو رومانو بالحسنى والعقل ستطلب منه أن يبرىء اسم أمها ... فان رفض ، تعين عليها أن تهدده بالمسدس وتجبره على الاعتراف كتابة بما فعل .. ولسوف تذهب بهذا الاعتراف الى الضابط ميلر الذى سيلقى القبض على

رومانو ، وبهذا تبرأ ساحة أمها ويرفع عنها الاتهام .. ولكم ودت من اعماقها لو كان تشارلز معها ، لكن كان الافضل ان تؤدى هـذه المهمة وحدها .. ومن الممكن أن تخبره بكل شيء بعد أن تنتهى المهمة ويزج برومانو خلف القضبان ، حيث السجن مكانه ، جزاء وفاقا ..

وعندما تأكدت تريسى من خلو الشارع من المارة تقدمت من الباب الخارجي وضغطت على الجرس ، فلم يكن ثمة مجيب ، حتى فكرت انه خارج البيت ، استعدادا لاحدى سهراته .. وفجاة اضيء نور المدخل ، وفتح الباب الامامى ، ولاح رجل أدهشتها هيأته .. فقد كانت تتخيله مخلوقا مشئوم السحنة بادى الغلظة والشر .. وبدلا من ذلك الفت نفسها في مواجهة رجل جذاب الصورة بشـوش الوجه اقرب فى هيأته الى سمت أستاذ جامعى .. وكان صوته خفيضا ودودا وهو يقول لها :

ـ اهلا .. هل من مساعدة ؟..

فقالت بصوت بدا مهتزا : هل انت جو رومانو ؟..

فأجاب بلهجة عذبة : نعم .. ما الذى يمكن أن أؤديه لكَ ؟..

ـ أود .. أود أن أتكلم معكَ ، يامستر رومانو ..

فراح يتفحص قوامها مليـا ، ثم قال : بالتأكيد .. تفضـلى بالدخول ...

دلفت تريسى الى غرفة جلوس مليئة بأثاث أنيق ... وقال لها :

ـ كنت على وشك أن امزج لنفسى شرابا .. ماذا تفضلين ؟..

ـ لا شيء ...

فتفرس فيها بفضول قائلا : لاى شيء اردت مقابلتى يا آنسة ..؟

ـ تريسى هويتنى ... انا ابنة دوريس هويتنى ...

حدق اليها برهة عازب الذهن ، ومالبث ان اكتسى وجهه بوميض المعرفة ، وقال :

ـ آه ، نعم .. سمعت عن والدتك .. مسالة سيئة ..

ـ يامستر رومانو .. ان المدعى العام يعتقد ان أمى كانت مذنبة بتهمة النصب والاحتيال ... وانت تعرف ان هذا غير حقيقى .. واريد منك ان تساعدنى فى تبرئة اسمها ...

فهز رومانو كتفيه قائلا : انا لا اتكلم في شئون العمل فى ايام عيد الفصح هذه .. فهذا مخالف لعقيدتى الدينية ..

وتقدم الى « البار » واخذ يمزج الشراب قائلا : اظـــن أنك ستكونين افضل حالا بعد تناول كأس ..

لم يدع لها مجالا للاختيار .. وهكذا فتحت حقيبة يدها واخرجت المسدس وصوبته نحوه قائلة : سأقول لك ما الذى يجعلنى افضل يامستر رومانو ... وهو أن اجعلك تعترف بما فعلته بالضبط مع أمى ..

استدار رومانو ورأى المسدس ، فقال لها : خير لك يامس هويتنى ان تبعدى هذا .. فقد ينطلق ...

ـ انه سينطلق اذا لم تفعل تماما ما أقوله لك .. عليك أن تكتب اعترافا كيف جردت المصنع من مشتملاته وكيف اديت به الى الافلاس ودفعت والدتى الى الانتحار ...

كان الآن يراقبها بحذر ، ومالبث أن قال لها : فهمت ـ وماذا اذا رفضت ؟ ..

ـ اذن فسأقتلك ..

قالت هذا وهى تحس بالمسدس يهتز فى يدها .. اما هو فأخذ يتقدم نحوها والكأس فى يده قائلا : لا يبدو عليك انك من صنف القتلة يامس هويتنى ...

وبصوت رقيق صادق اضاف يقول : لم يكن لى اى ضلع فى وفاة امك ، وصدقينى اذا قلت ...

وقذف بالشراب فى وجهها ..

شعرت تريسى بلذع الكحول حاميا فى عينيها ، وفى اللحظة التالية كان المسدس يلقى به من يدها ...

وقال رومانو : ان امك الخبيثة خدعتنى ... لم تقل لى أن لها ابنة بهذه الحلاوة !..

واطبق عليها وشل ذراعيها وهى لاتبصر وقد تملكها الفزع .. وحاولت أن تبتعد عنه ، بيد انه دفع بها الى الحائط وهو يشدد الضغط عليها ...

وسمعته يقول بصوت غليظ اجش : رأيت فيك شجاعة ياطفلة ، وانا احب هذا ... انك جئت الى هنا طلبا للاثارة ، أليس كذلك ؟.. حسنا ..

سيعطيك جو كفايتك من الاثارة ! ..

حاولت تريسى أن تصرخ ، لكن صوتها لم يزد عن شهقة : دعنى اذهب !...

وازداد ضغطا عليها الى حد الأذى ، وشعرت بنفسها وهى تلقى

على الارض ... فاندفعت لتملص منه على غير هدى ... ولامست اصابعها المسدس .. فاختطفته ، واذا صوت مقذوف نارى ينبعث عاليا ..

هتف رومانو : اواه !. باللعنة !..

وارتخت قبضته فجاة .. ومن خلال غمامة حمراء لمحته تريسى مرتاعة وهو ينزاح عنها ويتدحرج على الارض متشبثا بجنبه : رميتنى بالمسدس يافاجرة !.. رميتنى بالمسدس !..

تجمدت تريسى فى مكانها عاجزة عن الحركة .. وشعرت بغثيان فى معدتها والم حاد فى عينيها يكاد يعميها .. ومالبثت أن استجمعت قواها ووقفت على قدميها واستدارت ، ثم اتجهت الى باب فى اقصى الغرفة ودفعته ... كان الحمام .. فخطت متطاوحة الى حوض الوجه وغسلت وجهها وعينيها بالماء البارد الى أن بدأ الالم يخف واخذ الابصار يعود اليها .. وتطلعت الى المرآة ... فرات عينيها محتقنتين زائغتين : رباه ! ... انى قتلت رجلا !..

واسرعت عائدة الى غرفة الجلوس ..

كان رومانو ممددا على الارض ودماؤه تنزف على السجادة البيضاء ... ووقفت تريسى فوقه ممتقعة الوجه ، وقالت فى لوعة :

ـ انا آسفة .. لم اكن اقصد أن ..

فرد بانفاس متقطعة : الاسعاف !..

هرعت تريسى الى التليفون فوق المنضدة وادارت رقما ، وعندما جاءها الرد عالجت الكلام قائلة : ارسلوا سيارة اسعاف حالا !.. العنوان هو ٤ ـ ٢١ ميدان جاكسون ! ... هناك رجل اصيب بعيار نارى ! ..

واعادت سماعة التليفون والقت نظرة على رومانو المسجى على الارض ، واذا هى تبتهل فى سرها : ادعوك ياربى الا يموت !.. انت تعلم اننى لم اكن اقصد قتله !..

وجثت بجانب الجثة لكى تعرف ان كان لايزال على قيد الحياة ، فراته مطبق العينين ، ولكنه كان يتنفس .. فقالت :

ـ سيارة الاسعاف قادمة فى الطريق ..

واسرعت هاربة ...

وقد حاولت الا تجرى خوفا من لفت الانظار .. وجذبت سترتها

حول صدرها لاخفاء ملابسها الممزقة .. وبعد مسافة قصيرة حاولت ايقاف سيارة أجرة .. فمرت بها بضع سيارات مسرعة تحمل اناسا سعداء ضاحكين فى جو عيد الفصح .. ثم سمعت على البعد صوت « سرينة » تقترب ، وبعدها بثوان مرقت سيارة اسعاف بجانبها فى اتجاه منزل رومانو ... فقالت لنفسها أنها لابد أن تسرع بالابتعاد ... وعند منعطف قريب توقفت سيارة أجرة وانزلت ركابها ... فركضت تريسى اليها وقالت للسائق : هل انت مشغول ؟ ..

– الى أين تقصدين ؟..

– الى المطار ...

– اركبى ...

وفى الطريق الى المطار فكرت تريسى فى سيارة الاسعاف .. ماذا لو جاء وصولها بعد فوات الاوان ولقى رومانو حتفه ؟ .. ستكون عندئذ قاتلة .. فقد تركت المسدس فى المنزل ، وعليه بصمات اصابعها ... بامكانها أن تقول للبوليس أن رومانو حاول الاعتداء عليها وان المسدس انطلق عفوا .. لكنهم لم يصدقوها .. فهى التى اشترت المسدس الذى بقى ملقى على الارض بجانب رومانو .. ترى كم مضى من الوقت ؟ .. نصف ساعة ؟ .. ساعة ؟.. لا مفر لها من مبارحة نيواورليانز بأسرع مايمكن ..

وما أن وصلت الى مطار نيو أورليانز الدولى حتى اسرعت الى شباك حجز التذاكر المختص وطلبت تذكرة مفردة الى فيلادلفيا .. فانثنت الموظفة الى الكمبيوتر وقالت لها :

– سيكون هذا فى الرحلة رقم ٣٠٤ .. انت محظوظة .. يوجد مكان واحد ..

– متى تقوم الطائرة ؟..

– بعد ثلث ساعة .. امامك فرصة للركوب ..

وفيما كانت تريسى تفتح حقيبة يدها شعرت اكثر مما رأت باثنين من رجال البوليس يتقدمان الى جانبيها ، وقال احدهما : انت تريسى هويتنى ؟ ..

توقف قلبها عن الخفق برهة ... كان من الغباء أن تنكر ... فردت ايجابا .

– جئنا للقبض عليك ..

وشعرت تريسى بالقيود الحديدية الباردة تطبق على معصميها ..

***

لاشك أن كل هذا الذى يحدث هو صور تتعاقب بالحركة البطيئة لشخص غيرها ... فقد راحت تريسى تراقب نفسها وهى تؤخذ من المطار مشدودة بالقيد الحديدى الى احد رجلى البوليس بينما كان المارة يتلفتون محدقين اليها ... وقد دفعوا بها الى داخل سيارة البوليس التى مرقت مسرعة وانوارها الحمراء تومض وصفيرها يشق الجو ...

وفى مركز البوليس القت نفسها بين خليط من المقبوض عليهم بكل أنواع التهم ، واقتادها احد الشرطيين الى مكتب الرقيب المنوب قائلا : هذه هى المراة المدعوة هويتنى ... قبضنا عليها فى المطار وهى تحاول الهروب .

ولما فك قيدها عالجت الكلام قائلة : كان ماحدث شيئا عارضا .. اننى لم أقصد قتله .. اراد ان يعتدى على و ...

فقاطعها الرقيب بايجاز : ضعوها فى الحجز ..

فقالت مستعطفة : لا .. مهلا دقيقة واحدة .. لابد لى من الاتصال تليفونيا بشخص معين ... هذا من حقى ..

فقال الرقيب متبرما : انت تعرفين الاجراءات اذن ـ كم مرة وضعوك فى الحجز ياحلوة ؟.

ـ ولا مرة .. هذه ..

ـ لك مكالمة واحدة .. ثلاث دقائق .. ماهو رقم التليفون ؟.

تذكرت رقم تليفون تشارلز بعد جهد .. فادارة الرقيب وناولها السماعة .. فسمعت الرنين متكررا .. ولكن لم تجد من يجيب ..

وعندئذ تذكرت فجاة ان تشارلز اعتاد ان يرفع سماعة التليفون ليلا لكيلا يقلقه احد ، وهكذا تخلت عن السماعة مغلوبة على أمرها .

وجاء شرطى بأكمام على ذراعيه وصحبها الى حجرة دونت فيها بياناتها الشخصية واخذت بصمات أصابعها ، ثم اقتيدت فى ممشى وادخلت فى زنزانة منفردة واغلق الباب عليها .. وقال لها الشرطى قبل ان يبتعد :

ـ ستكونين محل التحقيق فى الصباح ..

***

مضت ساعات الليل بطيئة متثاقلة .. وفى الصباح جىء لها بقهوة باردة وخبز يابس عافتهما نفسها ولم تذق منهما شيئا ..

وفى الساعة التاسعة صباحا ذهبوا بها الى حجرة التحقيق حيث مثلت امام قاض مسن وقف عن كثب منه وكيل النيابة القصير النحيل ... الآن تستطيع تريسي أن تشرح لشخص مسئول ذى سلطة حقيقية ماحدث ، فراحت تقول وهى تضغط على يديها منعا لارتعاشهما :

ـ ياصاحب الفخامة .. لم تكن جريمة قتل .. انا اطلقت عليه النار ، لكن حدث ذلك عفوا .. انني فقط قصدت تخويفه .. انه اراد ان يعتدى على و .

وهنا قاطعها وكيل النيابة قائلا للقاضى : ياصاحب الفخامة .. لا ارى معنى لاضاعة وقت المحكمة .. ان هذه المراة اقتحمت منزل مستر رومانو وهى مسلحة بمسدس عيار ٣٢ ، وسرقت لوحة فنية لرينوار تساوى نصف مليون دولار ، وعندما داهمها مستر رومانو اثناء ذلك ، اطلقت عليه النار عمدا ، وتركته معتقدة بموته ..

شعرت تريسي بالدم يغيض من وجهها ، وقالت : ما هـذا ماهذا الذى تقوله ؟ ..

ولكن وكيل النيابة مضى فى عرض التهمة قائلا : عندنا المسدس الذى جرحت به مستر رومانو .. وبصماتها موجودة عليه ..

اذن فان رومانو جرح ومازال على قيد الحياة !.. فهى اذن لم تقتل احدا ! ..

ـ ... وبعد ذلك هربت باللوحة .. وربما كانت اللوحة الآن يا صاحب الفخامة بين يدى احد تجار المسروقات .. ومن أجل هـذا تطالب النيابة باعتقال تريسى هويتنى بتهمة محاولة القتل والسطو المسلح مع كفالة قدرها نصف مليون دولار للافراج عنها .

التفت القاضى الى تريسى التى وقفت مكانها مصعوقة ، وقال لها :

ـ هل يمثلك احد المحامين ؟ ..

فهزت تريسى راسها قائلة : كلا .. انا .. ان ماقاله هذا الرجل غير صحيح .. اننى ابدا لم ..

ـ هل عندك نقود لتوكيل محام عنك ؟..

كانت تملك ادخارها فى البنك .. وهناك تشارلز .. فردت قائلة :

ـ انا .. لا ياصاحب الفخامة .. لكننى لا افهم ..

ـ ان المحكمة ستعين محاميا للدفاع عنك .. وقد تقرر ايداعك

السجن ، بكفالة قدرها نصف مليون دولار .. القضية التالية ..
ـ مهلا ! .. هذا كله خطأ فى خطأ .. أنا لم ..
ولم تكد تعى وهم يقودونها الى خارج حجرة المحكمة ..

***

كان المحامي الذي عينته المحكمة يدعى بيرى بوب .. كان يناهز الاربعين من عمره ، بادى الذكاء ، أزرق العينين ، متعاطف النظرات حتى لقد مالت اليه تريسي من فورها ...
وقد دخل عليها الزنزانة وجلس على حافة السرير الضيق وقال بلا مقدمات :
ـ جميل .. الحقيقة انك خلقت جوا من الاثارة كسيدة لم يمض على وجودها فى المدينة أكثر من أربع وعشرين ساعة ... لكنك محظوظة .. لانك لا تحسنين الرماية .. وماحدث ليس أكثر من جرح فى اللحم .. وسيبقى رومانو على قيد الحياة ..
واخرج غليونا حشاه تبغا واشعله ، ثم تفرس فيها قائلا :
ـ لا يبدو عليك يامس هويتنى انك جانية من النوع الخطر ..
ـ لست كذلك .. أقسم لك اننى لست كذلك ..
ـ اقنعينى .. احكى لى ماحدث .. منذ البداية ..
حكت له تريسى كل شىء .. وجلس بيرى بوب يسمع الى القصة بهدوء .. ومالبث أن استند بظهره الى حائط الزنزانة وقد شابت ملامحه مسحة الخطورة ، وقال : ابن اللئام هذا !.
فقالت تريسى فى ارتباك شديد : اننى لا أفهم شيئا مما قالوه . لا افهم حكاية اللوحة الفنية ..
ـ المسالة غاية فى البساطة .. أن جو رومانو استخدمك كبش فداء ، كما استخـــدم والدتك من قبل .. انك سرت الى الفخ باختيارك ..
ـ مازلت لا افهم ..
ـ اذن سأشرح لك .. أن رومانو سيطالب شركة التامين بمبلغ نصف مليون دولار عن اللوحة الفنية من رسم رينوار التى اخفاها فى مكان ما ، ولسوف يحصل على المبلغ ... ولكن شركة التامين ستطاردك انت ، لا هو .. وبعد أن تهدأ الامور سوف يبيع اللوحة الى طرف ثان ويحصل على نصف مليون آخر ، بفضل اقدامك على المحاولة التى قمت بها .. الم تدركى أن اعترافا تحصلين عليه تحت تهديد مسدس لا قيمة له ؟ ..

ـ اظن .. اظن هذا .. لقد خطر لى اننى لو استطعت انتزاع الحقيقة منه ، لامكن ان ينهض احد بالتحقيق .
ـ كيف دخلت منزله ؟ ...
ـ ضغطت على جرس الباب الامامى .. وأدخلنى مستر رومانو نفسه ...
ـ ليس هذا ماحكاه .. هناك نافذة محطمة فى الجانب الخلفى للمنزل ، حيث يقول انك اقتحمت البيت عن طريقها .. وقد اخبر الشرطة انه قبض عليك وانت تتسللين خارجة ومعك لوحة رينوار ، وعندما حاول ايقافك ، اطلقت النار عليه وهربت ..
ـ هذه كذبة ! .. اننى ..
ـ لكنها كذبته ، والبيت بيته ، والسلاح سلاحك .. هل عندك فكرة عمن تتعاملين معه ؟..
هزت تريسى راسها منعقدة اللسان ، فانشا يقول :
ـ اذن دعينى اشرح لك حقائق الحياة يامس هويتنى ... ان هذه المدينة فى قبضة اسرة اورساتى .. وما من شىء يتم فيها دون موافقة انطونى اورساتى .. اذا اراد احد الحصول على ترخيص باقامة مبنى ، او تمهيد طريق ، او ادارة نواد للقمار ومنتديات للملاهى او حتى الاتجار فى المخدرات ، فلابد له من مقابلة اورساتى ان جو رومانو بدأ العمل معه كحارس شخصى ... وهو الآن الراس الاكبر فى منظمة اورساتى .. والغريب مع كل هذا انك اقتحمت بيت رومانو واطلقت مسدسا عليه !!..
جلست تريسى مكانها مشلولة مرهقة .. وفى النهاية قالت له : هل تصدق قصتى ؟..
فابتسم قائلا : كلامك هو الصدق بعينه ..
ـ ايمكنك ان تساعدنى ؟..
فأجاب بتؤدة : ساحاول .. اننى على استعداد لبذل كل جهد لوضعهم جميعا وراء القضبان .. انهم يسيطرون على هذه المدينة بما فيها معظم القضاة ... واذا قدموك الى المحاكمة فسوف يدفنونك فى اعماق لن تبصرى منها ضوء النهار ابدا ...
تطلعت اليه تريسى مبهوتة ، وقالت : اذا قدمونى الى المحاكمة ؟ ! ...
فنهض بوب قائما واخذ يذرع الزنزانة الضيقة جيئة وذهابا ،

ثم قال : اننى لا اريد ان اوقفك امام هيئة محلفين ، لانهم سيكونون محلفيه ... هناك قاض واحد فقط لم يستطع اورسالى قط شراءه - واسمه هنرى لورانس ... واذا أمكننى ترتيب احالة القضية اليه ، فانا واثق انه سيكون في استطاعتى اجراء تسوية لصالحك ان هذا غير اخلاقى بالمعنى الدقيق ، لكننى سأتكلم معه بصفة شخصية ... انه يكره اورسالى وورومانو بقدر كراهيتى الشديدة لهما ... والآن فان كل ما علينا ان نفعله هو الاتصال بالقاضى لورانس ...

***

عمل المحامى بيرى بوب على تسهيل اتصال تريسى تليفونيا بتشارلز .. وما ان سمعت صوت سكرتيرته حتى قالت لها :

- هارييت ! .. انا تريسى هويتنى .. هل ..

- آه .. انه ظل يحاول التوصل اليك يامس هويتنى ، لكننا لم نعرف اى رقم تليفون لك . . ومسز ستانهوب متلهفة جدا لمناقشة ترتيبات الزفاف معك ... فاذا امكنك الاتصال بها باقرب وقت ممكن ...

- هارييت ! .. هل يمكن ان اكلم مستر ستانهوب من فضلك ؟.

- انا آسفة يامس هويتنى .. انه سافر الى مدينة هوستون لحضور اجتماع عمل .. واذا اعطيتنى رقم تليفونك فانا متاكدة انه سيتصل بك باسرع مايمكن ...

لم يكن هناك من سبيل لكى يستطيع مكالمتها تليفونيا فى السجن ولن يتيسر هذا الى ان تجد فرصة لكى تشرح له كل شىء اولا ...

- سوف .. سوف أتصل بمستر ستانهوب فيما بعد ..

ووضعت سماعة التليفون متباطئة . وقالت لنفسها فى اعياء : غدا .. ساشرح كل شىء لتشارلز ، غدا ..

وفى آخر النهار نقلت تريسى الى زنزانة اوسع .. وجىء لها بعشاء شهى من مطعم معروف ، وبعد فترة قصيرة تلقت ازهارا ناضرة مرفقة ببطاقة فضت غلافها وقرأت : « تفاءلى ... سننتصر على اولاد الحرام - بيرى بوب » .

وجاء المحامى لزيارتها فى صباح اليوم التالى .. وما ان لمحت الابتسامة على وجهه حتى عرفت أن وراءها انباء طيبة .. وقال لها :

ـ ان الحظ معنا ... اننى جئت الآن من عند القاضى لورانس ووكيل النيابة توبر ... ان توبر كان يصرخ مهتاجا ، لكننا اتفقنا على تسوية ..

ـ تسوية ؟ ..

ـ اننى اخبرت القاضي لورانس بقصتك كلها ... وقد وافق على قبول اقرار منك بأنك مذنبة ..

راحت تريسى تحدق اليه مروعة ، قائلة : اقرار باننى مذنبة ؟ لكنني لست ...

فرفع يده قائلا : اسمعينى الى النهاية .. اذا اقررت انك مذنبة فانك توفرين على الحكومة مصاريف المحاكمة .. اننى اقنعت القاضى بانك لم تسرقى اللوحة الفنية ... انه يعرف من هو جو رومانو ، وقد صدقنى ...

فقالت تريسي بتؤدة : لكن ـ اذا اقررت باننى مذنبة ، فماذا سيفعلون معى ؟ ...

ـ فى هذه الحالة سيحكم عليك القاضى لورانس بالحبس ثلاثة شهور من ...

ـ الحبس ؟!

ـ مهلا .. سيكون الحكم مع وقف التنفيذ ..

ـ لكن فى هذه الحالة ، ستكون لى سابقة ...

تنهد بيرى بوب وراح يقول : انهم اذا قدموك الى المحاكمة بتهمة السطو المسلح ومحاولة القتل اثناء ارتكاب هذه الجريمة ، فيمكن أن يصدر الحكم عليك بالسجن لمدة عشر سنوات ...

ـ عشر سنوات فى السجن ؟!..

جعل بيرى بوب يراقبها مصابرا ، ثم قال : القرار لك .. وليس فى وسعى الا أن أزودك بافضل نصيحة عندى .. انها لمعجزة اذ أمكننى أن افوز لك بهذا .. وهم يريدون الآن ردك .. لست مجبرة على قبول هذه التسوية ... ويمكنك ان تطلبى محاميا غيرى ..

ـ كلا ...

لقد عرفت أن هذا رجل شريف ... وفى هذه الظروف الماثلة ، وبالنظر الى تصرفها المتهور ، فقد فعل كل ماهو ممكن من اجلها .. ليتها كانت فقط تستطيع مكالمة تشارلز .. لكنهم يريدون ردها

الآن ... واغلب الظن انها محظوظة للافلات من هذه الملمة بالحبس ثلاثة شهور مع وقف التنفيذ ...

قالت تريسى وهى تنتزع الكلمات انتزاعا : ساقبل ... ساقبل التسوية ...

فأومأ قائلا : فتاة عاقلة ...

***

لم يسمح لها باجراء أى اتصال تليفونى قبل اعادتها الى قاعة المحكمة ... وفى هذه القاعة وقف ايد توبر وكيل النيابة عن جانب منها ووقف المحامى بيرى بوب عن الجانب الآخر ... وجلس الى المنصة رجل مهيب فى الخمسينات من عمره ناعم الوجه غزير الشعر مصففه ... وقال هذا القاضى لورانس مخاطبا تريسى :

ـ لقد ابلغت المحكمة بأن المتهمة ترغب فى تغيير أقوالها من عدم الاعتراف بأنها مذنبة الى الاقرار بأنها مذنبة .. هل هذا صحيح ؟

ـ نعم ياصاحب الفخامة ...

ـ وهل توافق جميع الاطراف ؟.

فأومأ بيرى بوب قائلا : نعم ياصاحب الفخامة ...

وقال وكيل النيابة : والحكومة موافقة ياصاحب الفخامة ..

جلس القاضى لورانس مكانه صامتا برهة طويلة .. وما لبث ان مال الى الامام ونظر فى عينى تريسى قائلا :

ـ ان احد الاسباب لوجود بلادنا العظمة هذه فى حالة تدعو الى الاسف هو ان الشوارع تعيث فيها حشرات آدمية ممن يظنون انهم يستطيعون الافلات بأى شىء ، والضحك على القانون ... كما أن بعض الانظمة القضائية فى هذه البلاد تدلل المجرمين .. حسنا .. لكننا هنا فى لوبزيانا لا نؤمن بهذا .. واذا حاول شخص اثناء محاولة السرقة ارتكاب جريمة القتل عامدا ، فيقيننا هو ان هذا الشخص يجب عقابه العقاب الحق ...

بدات تريسى تحس ببوادر الفزع ... فتلفتت تنظر الى بيرى بوب ، فكانت عيناه مركزتين على القاضى الذى استطرد يقول :

ـ لقد أقرت المتهمة بانها حاولت قتل واحد من المواطنين البارزين فى هذه المدينة ـ وهو رجل اشتهر بحبه للخير والاعمال الطيبة ـ لقد اطلقت المتهمة النار عليه بينما كانت تسرق قطعة فنية تساوى نصف مليون دولار ...

ثم تزايد صوته صرامة وهو يمضي قائلا : حسنا ... ان هـذه المحكمة ستعمل على الا تملك من التنعم بهذا المال ، ليس خـلال السنوات الخمس عشرة القادمة ـ لانه فى خلال السنوات الخمس عشرة القادمة سوف تكونين سجينة فى سـجن النسـاء بولاية لويزيانا ...

شعرت تريسى بقاعة المحكمة تدور من حولها ... لاشك أن هذه مزحة فظيعة تمثل امامها ، وان القاضى هو ممثل يقوم بدوره فيها ولكنه ينطق بكلمات دخيلة على الدور .. فتلفتت لكى تقول هـذا للمحامى بيرى بوب ، بيد انه كان مشيحا بنظرة ، منهمكا فى دس أوراق فى حقيبته ... وأما القاضى لورانس فقد نهض واخذ يجمع مذكراته .. وهكذا وقفت تريسى مكانها مشلولة ، عاجزة عن فهم مايحدث لها ...

ثم تقدم حارس الى تريسى واخذ ذراعها قائلا : تعالى بنا ..

وعندئذ هتفت تريسى : لا .. لا !.. هناك خطأ فظيع يا صاحب الفخامة .. انني ..

وعندما شعرت بقبضة الحارس تشتد على ذراعها ، ادركت انه لا خطأ هناك ... فقد خـدعوها .. وهم الآن بسـبيلهم الى تدميرها ...

تماما كما دمروا امها من قبل ...

الفصل الرابع

نشرت جريمة تريسى هويتني والحكم الصادر عليها فى الصفحة الاولى فى جريدة نيواورليانز كوريير ، مصحوبة بصورتها ... والتقطت وكالات الانباء القصة وابرقت بها الى الصحف فى ارجاء البلاد ... وعندما نقلت تريسى من قاعة المحكمة انتظارا لترحيلها الى سجن النسـاء ، حاصرتها كاميرات التليفزيون من كل جـانب حتى حجبت وجهها مذلة ، لكن لم يكن لها مهرب من الكاميرات .. ان جو رومانو كان محطا ضخما للاخبار ، وكانت محاولة قتله على يد فتاة جميلة مناطا للاخبار أضخم ... وبدا لتريسى كأنها احيطت بالاعداء من كل جانب ، فراحت تبتهل الى الله ان يعمل تشارلز على

نحدثها ، حتى لا يكتب عليها أن تضع الجنين الذي حملت به منه في غياهب السجن ...

ولم يسمح لها باستعمال التليفون الا في عصر اليوم التالي ، ولما تم الاتصال بمكتب ستانهوب هتفت تريسى قائلة للسكرتيرة :

ـ هاربيت ... انا تريسى هويتني ... اود مكالمة مستر ستانهوب ! ..

وبعد انتظار طويل ثقيل سمعت في النهاية صوت تشارلز :

ـ تريسى !.. هذا انت ؟..

ـ نعم يا حبيبى ... أواه ياتشارلز .. حاولت مرارا الاتصال !

ـ انني كدت اجن ياتريسى !.. ان الجرائد هنا مملوءة بقصص منيفة عنك ! .. لا يمكن ان أصدق مايقولونه !..

ـ لا شيء منه حقيقي ياحبيبى !.. لا شيء ! .. انني .

ـ واين انت الآن ؟ ..

ـ انا .. انا تحت الحجز في نيواورليانز .. تشارلز ! .. انهم سيرسلونني الى السجن عن شيء لم افعله ...

قالت هذا ودموعها تجرى برغمها .. فسمعته يقول :

ـ اسمعيني .. الجرائد تقول انك اطلقت النار على رجل .. هل هذا حقيقي ؟ ..

ـ انني اطلقت النار عليه فعلا ، لكن ...

ـ اذن فهو حقيقي ..

ـ ليس كما يبدو ياحبيبى ... ليس كهذا بالمرة .. بامكاني ان اشرح لك كل شيء .. انا ..

ـ تريسى .. هل أقررت بمحاولة القتل وسرقة لوحة فنية ؟.

ـ نعم ياتشارلز ... لكن فقط لان ..

ـ يا الهي !.. لو كنت في حاجة الى مال الى هذه الدرجة ، لكان عليك مناقشة هذه المسألة معى !... ثم محاولة قتل انسان !؟.. لا يمكن ان أصدق هذا !.. ولا يمكن ان يصدقه والدى ووالدتى !. ان قصتك هي العنوان الرئيسى في جريدة فيلادلفيا دايلى نيوز !.. هذه أول مرة تهب رائحة فضيحة على أسرة ستانهوب !..

كان التجلد المرير البادي في صوت تشارلز هو الذي اشعر

تريسى بعمق مشاعره ... انها كانت تعول عليه فى استماتة لفه ، فاذ هو يقف على الجانب الآخر ، جانب أعدائها ! .. لقد غالبت نفسها لكيلا تصرخ وهى تقول : حبيبى ... أنا محتاجة اليك ... أتوسل اليك أن تحضر الى هنا ! ... بامكانك أن تعمل على تسوية كل هذا !..

ساد صمت طويل ، راح بعده يقول : لايبدو أنه يمكن تسوية اى شيء ... ليس بعد اعترافك بأنك فعلت كل هذه الاشياء ... ان الاسرة لا يمكنها أن تسمح بتورطها فى شيء كهذا ... مؤكد انك ستفهمين هذا .. انه كان صدمة مريعة لنا !.. الظاهر أننى لم اعرفك تماما !...

كانت كل كلمة كضربة مطرقة .. ان الدنيا تتهاوى فوق راسها لقد شعرت بوحدة لم تشعر بمثلها فى حياتها .. وليس أمامها الآن من احد يمكن ان تلجأ اليه ...

ــ وماذا .. ماذا عن طفلنا ؟..

فرد تشارلز قائلا : عليك أن تفعلى بطفلك ماترينه افضل ... أنا آسف ياتريسى ..

وانقطع الاتصال التليفونى ...

جمدت تريسى ممسكة بسماعة التليفون الخامدة ... وعندما اعيدت الى زنزانتها جاءت مشرفة تقول لها : استعدى للرحلة فى الخامسة صباحا ..

***

جاءها زائر ... لقد بدا لها أوتوشميدت وكيل مصنع امها السابق وقد شاخ فى خلال الساعات القلائل الماضية منذ أن رأته فى المرة الاخيرة ، ولاحت عليه علائم المرض ...

قال لها : جئت لكى اقول لك كم انا وزوجتى حزينان .. نحن نعرف انه مهما يكن ماحدث ، فليس الذنب فيه ذنبك ...

الا ليت تشارلز قال مثل هذا !..

ــ اننى وزوجتى سنشهد جنازة مسز دوريس غدا ..

ــ شكرا لك يا أوتو ..

« لسوف يدفنوننا نحن الاثنين غدا ، امى وأنا » ... بهذا جرت

خواطر تريسى وهى فى أشد حالات التعاسة ...

ولقد أمضت ليلتها يقظى لم يغمض لها جفن ، ممددة فى فراش الحجز تحدق فى السقف ، مستعيدة فى خيالها حديثها مع تشارلز مرارا وتكرارا ... انه لم يمنحها قط فرصة للشرح والبيان ..

كان عليها أن تفكر فى الجنين الذى حملته فى أحشائها .. لقد سمعت عن نساء وضعن أطفالهن فى السجن ... لكن تلك القصص كانت بعيدة كل البعد عن حياتها هى الى حد انها كانت تبدو لها وكأنها عن اناس فى كوكب آخر ... اما الآن فذلك حادث لها ، ماثل فى شخصها ... لقد قال لها تشارلز : « عليك أن تفعلى بطفلك ماترينه افضل » ... انها لتريد أن تنجب طفلها هذا ... ومع ذلك ناجت نفسها : انهم لن يدعونى احتفظ به .. انهم سيأخذونه منى لاننى سأبقى فى السجن مدى الخمس عشرة سنة القادمة ... ومن الخير الا يعرف قط شيئا عن أمه ...

وعند هذا الحد بكت مدرارا ...

وفى الساعة الخامسة صباحا نقلت فى سيارة السجن ذات النوافذ المشبكة بالقضبان مع لفيف من النساء تحت حراسة جنديين مسلحين .. لقد راحت تتصفح وجوههن غير شاعرة بجو السيارة الفاسد الهواء ... منهن من كانت تبدو عليها علائم التحدى والحرد، ومنهن من كانت حليفة السآمة والملل ، وأخريات كانت سمات اليأس والقنوط مرتسمة فى قسمات وجوههن ... ان الحياة التى عشتها توشك أن تبلغ نهايتها ... كن منبوذات . مسوقات الى اقفاص سوف توصد عليهن مثل حيوانات ... لم تتمالك تريسى ان تساءلت فى نفسها : اية جرائم اقترفتها ، وهل بينهن من كانت بريئة مثلها ؟... وياترى ماذا يرين فى وجهها هى ؟..

ولم تفق تريسى من تأملاتها المريرة الا حين توقفت السيارة عند مدخل السجن الكالح المرهوب ... تسع سياجات تعلوها الاسلاك الشائكة تحيط بخمسمائة فدان من الارض الزراعية والغابات كانت هى حدود سجن النساء فى ولاية لويزيانا ..

كانت هذه هى الطوالع ... أما السجن ذاته فهو الجحيم لاراد عنه ولا دافع من دونه ...

الفصل الخامس

وقفت مشرفة بدينة متحجرة السحنة في مواجهة السجينات الجدد قائلة : ان بعضا منكن سوف يبقين هنا مدة طويلة ، طويلة .. ولا توجد غير طريقة واحدة لقضاء المدة ، وهي نسيان كل ما يتصل بالعالم الخارجي ... ولكن أن تمضين المدة بالطريقة السهلة او بالطريقة الصعبة ... عندنا هنا نظم ولوائح ، ولسوف تتبعنها .. سنقول لكم متى تستيقظن ، ومتى تشتغلن ، ومتى تأكلن ، ومتى تذهبن الى دورة المياه .. ومن تتجرا منكن على مخالفة نظمنا ولوائحنا ، سوف تتمنى لو كانت في عداد الاموات ... اننا نحب أن يسود السلام هنا ، ونحن نعرف كيف نتصرف مع أهل الشغب والمتاعب ...

ثم انتقلت بعينيها الى تريسى واستمرت قائلة : سوف تتوجهن الآن الى الكشف البدني ... وبعده تذهبن الى صالة « الدش » ثم توجه كل منكن الى الزنزانة المحددة لها مع زميلاتها ... وفي الصباح تتلقين اوامر الشغل لكل منكن ... هذا كل ما هناك ...

واشارت المشرفة الى امراتين من الحارسات وقفتا في الخلف واردفت : اذهبا بهؤلاء الساقطات من هنا ! ...

لقد روعت تريسى بما سمعت ورات ، ولكنها الفت نفسها تقاد مع الاخريات الى خارج الحجرة في ممشى طويل أفضى الى قاعة فسيحة وقف بها طبيب بدين في منتصف العمر الى مائدة الكشف ، حيث أوقفت السجينات صفا واجرى الكشف عليهن عاريات للتاكد من خلوهن من الامراض الخبيثة ، حتى شعرت تريسى بأن الموت أهون عندها من هذا الامتهان لكرامة الانسان ، وكان اقسى ماسمعته هو التحذير من اخفاء مواد مخدرة في اجسامهن ...

وبعد هذه المحنة كان حمام « الدش » المكشوف ، ثم الانتقال الى عنبر ملابس السجن حيث زودت كل واحدة منهن بكسوتين وحذاءين وجلبابين للنوم وفرشاة للشعر وكيس للملابس ... وكان الختام في قاعة اخرى اخذت فيها صورة للوجه وبصمات للاصابع

وعندها قالت تريسى لنفسها بحرارة : انا انتهيت فعلا ... اصبحت مجرد رقم ، بلا اسم ، ولا كنية !..

على انها سمعت حارسا يشير اليها قائلا : هويتنى ؟ ... مدير السجن يريد أن يراك .. اتبعينى ..

شعرت تريسى فجأة بقلبها يحلق فى السماء ... هاهو ذا تشارلز قد فعل شيئا آخر الامر !.. بالطبع هو لم يتخل عنها ، مثلما هى لم تفكر قط فى التخلى عنه ! .. وما تصرف بذلك الاسلوب الا بسبب الصدمة المفاجئة ! .. ثم اتسع له الوقت لكى يتدبر الموقف ولكى يدرك انه مازال يحبها !.. ولاشك انه قد اتصل بمدير السجن وشرح له الخطأ الفظيع الذى حدث ! ... ولسوف يطلقون سراحها ! ...

ويسير بها فى ممشى مختلف ، بين أبواب كثيفة القضبان يقوم عليها حراس من رجال ونساء ... وما ان وصلت تريسى الى مكتب مدير السجن حتى كانت على وشك الاغماء من فرط التشوف والترقب ... هل سيكون تشارلز موجودا ؟ .. أم لعله ارسل محاميه ؟ ...

وقد اوما سكرتير مدير السجن الى الحارس قائلا : انه ينتظرها انتظر انت هنا ..

كان جورج برانيجان مدير السجن جالسا الى مكتب مخدوش يتفحص بعض أوراق امامه ... وكان رجلا نحيلا فى حوالى الاربعين من عمره بادى التوتر والحساسية ، فاتر العينين الزرقاوين لقد تقلد زمام العمل فى سجن النساء هذا منذ خمس سنوات وكان عند وصوله مشبعا بالمبادىء المثالية ، معتزما تطبيق نظم اصلاحية جذرية فى السجن ... ولكن سرعان ماهزم أمام الواقع ، كما هزم كثيرون قبله ...

كان السجن مقاما اصلا لايواء نزيلتين فى الزنزانة الواحدة ، اما الآن فان كل زنزانة اصبحت تضم من اربع الى ست سجينات . وكان يعلم ان هذا الوضع ينطبق فى كل السجون الامريكية التى أصبحت مكتظة بنزلائها من الوف المجرمين الذين لم يكن لهم عمل ولا شاغل سوى اجترار احقادهم وتدبير خطط الانتقام ...

ومهما يكن فقد فتح الباب ودخلت تريسى ... فرفع برانيجان راسه وتطلع الى المرأة التى امامه .. وعلى الرغم من زى السجن الذى لبسته تريسى وعلائم الضنى على وجهها ، فمازالت تبدو

جميلة ... راى المدير امامه محيا فاتنا تطبعه البراءة والاخلاص ، حتى لقد تساءل فى نفسه الى متى يمكن أن تدوم بهذه الصورة .. ثم أنه اهتم بهذه السجينة بصفة خاصة لانه قرأ قضيتها فى الصحف ودرس ملفها .. كانت مذنبة لاول مرة ، ولم تقتل احدا ، وكان الحكم بسجنها خمس عشرة سنة قاسيا بصورة غير عادية .. كما أن حقيقة كون جو رومانو هو صاحب دعوى الاتهام ، قد جعلت هذا الحكم أكثر مدعاة للتشكك ... لكن مدير السجن كان ببساطة موكلا بحراسة الابدان ، وتطبيق القوانين !...

قال لها : تفضلى بالجلوس ..

سرت تريسى بالجلوس ، فقد كانت متخاذلة الركبتين ... ولسوف يحدثها عن تشارلز ، ومن موعد الافراج عنها باسرع وقت ...

بدأ المدير كلامه بقوله : اننى اطلعت على ملفك ... ورايت انك ستبقين معنا مدة طويلة .. خمس عشرة سنة مدة الحكم ..

لبثت تريسى برهة قبل ان تستقر كلماته فى وعيها ... هناك خطأ مخيف ولا شك ... وقالت متلعثمة : الم ... الم تتكلم مع . مع تشارلز ؟ ..

فنظر اليها عازب الذهن قائلا : تشارلز؟..

عندئذ عرفت الواقع ... فذابت احشاؤها وهى تقول : بالله ! ... بالله الا ما انصت الى ؟ ... انا بريئة ! . انا لا انتمى الى هذا المكان !..

كم من مرة سمع المدير هذا الكلام ! .. مائة مرة ؟ ... الف مرة ؟ .. دائما « أنا بريئة » ! ...

قال لها : ان المحاكم قررت انك مذنبة ... وافضل نصيحة اقولها لك هى أن تحاولى مواجهة الموقف بيسر وسهولة .. ومتى تقبلت شروط وواجبات سجنك ، فسيكون كل شيء سهلا هينا .. ليس فى السجن ساعات ، بل تقاويم سنوية فقط ..

راحت تريسى تناجى نفسها فى يأس وقنوط : لا يمكننى أن ابقى حبيسة هنا خمس عشرة سنة ! ... اريد ان اموت ! ... امتنى يارب ! ... لكن لا يمكن أن اموت ، والا قتلت طفلى ! .. انه طفلك انت ايضا يا تشارلز ! ... لماذا لم تجيء الى هنا لمساعدتى ؟ ...

وفي هذه الآونة فقط ، بدأت كراهيتها لتشارلز ...

ثم عاد مدير السجن يقول : اذا كانت عندك مشاكل خاصة . اقصد اذا كان بوسعى مساعدتك باى طريقة ، فاريد منك ان تطلبى مقابلتى ...

وكان فى قرارة نفسه يشعر وهو يقول هذا الكلام انه كلام اجوف ... فهى غضة الشباب ، موفورة الحسن .. ولسوف تكون فريسة لذئبات السجن من السجينات المسترجلات .. وليس فى السجن زنزانة واحدة مأمونة يمكن ان يودعها بها ، فكل زنزانة تسيطر عليها واحدة من الذئبات ... لقد سمع المدير عن اعتداءات كثيرة تجرى فى ارجاء السجن ، ولكنها لم تجاوز حد الشائعات ، لان الضحايا كن يلزمن الصمت دائما ... او يلقين حتفهن !.

واخيرا قال برانيجان برقة : اذا كنت حسنة السير والسلوك ، فقد يفرج عنك بعد اثنتى عشرة او ...

ــ كلا ! ..

لقد اطلقتها تريسى صيحة يأس مطبق ... لقد شعرت بجدران المكتب تطبق عليها .. وانتفضت على قدميها صارخة ... فخف الحارس اليها وامسك بذراعيها ... فامره برانيجان قائلا : على مهلك ! ..

وجلس مدير السجن مكانه مغلوبا على امره ، يراقب تريسى وهم يأخذونها من المكتب ..

وسير بها فى سلسلة من الاروقة مارة بزنزانات مليئة بنزيلات من جميع الاوصاف ... منهن السوداء والبيضاء ، والسمراوات والصفراوات ... وكن يحدقن اليها وهى تمر وينادين عليها بعشرات اللهجات نداءات كلها تلميحات وغمزات لا تخلو من السفه والفحش ...

الفصل السادس

كان استدعاء تريسى الى مكتب مدير السجن هو املها الواهى الوحيد ... اما الآن فلم يبق شىء ... لاشىء سوى التوقع الرهيب للبقاء اسيرة هذا « المطهر » على مدار خمس عشرة سنة ...

وعند باب الزنزانة فى عنبر رقم ٣ الذى يضم ستين

امراة لكل زنزانة اربع سجينات ـ فتحت المشرفة الباب وقالت لها : ادخلي ! ...

ادارت تريسي عينيها فيما حولها ، فاذا الزنزانة تضم ثلاث نساء ، جعلن مراقبتها في صمت ، بينما اغلق البـــاب مـن خلفها ...

كانت الزنزانة الضيقة لا تكاد تتسع لاربع اسرة ، وطاولة صغيرة فوقها مرآة مشققة ، واربعة صناديق صغيرة ، ومرحاض بلا مقعد في الركن القصي ...

كانت نزيلات الزنزانة امراة من بورتوريكو ، واخرى مكسيكية ، والثالثة زنجية طويلة كالمارد ، نفاذة العينين ، حليقة الراس ، وهي التي قالت لها وهي تتفرس فيها بنظرات غريبة : سريرك هنـاك في الركن ...

تقدمت تريسي الى السرير ، فافزعتها « المرتبة » التي كانت عليه لفرط قذارتها وبشاعتها ، حتى لم تتمالك أن هتفت :

ـ من ... من يمكن ان اكلمه للحصول على « مرتبة » نظيفة ؟..

فردت عليها الزنجية الماردة قائلة : ارضي بحظك ياطفلتي ... اعرفك بنفسي ... اسمي ارنستين ... وهذه لولا ... وهـذه بوليتا . عرفينا بنفسك ..

ـ اسمي .. اسمي تريسي هويتني ..

ـ ومن اين جئت ياحلوة ؟..

ـ انا آسفة .. انا .. انا لا اشعر برغبة في الكلام ..

والواقع انها شعرت فجاة بضعف بالغ لا تقوى معه على الوقوف ، فارتمت على حافة الفراش القذر وراحت تمسح العرق البارد على وجهها بطرف ردائها وهي تناجي نفسها : طفلي ... كان يجب أن اخبر مدير السجن انني ساضع طفلا ... وعندئذ ينقلني الى زنزانة انظف ... بل ربما سمحوا لي بأن أكون في زنزانة وحدي ...

ولما زاد بها الاعياء تمددت فوق الفراش في شبه غيبوبة ، فلم تفق الا على رنين جرس مدو متصل ، وصوت ارنستين يقـــول : موعد العشاء ...

فتحت تريسي عينيها ... فسمعت اصوات أبواب الزنزانات تفتح في ارجاء العنبر ... وسيقت مع زميلاتها الثلاث ومع سائر النزيلات الى المطعم في صف مزدوج .. كان المطعم اقرب الى ساحة

مترامية الاطراف قامت فيه موائد ومقاعد خشبية ، وفى جانب منه منضدة مستطيلة تعلوها الاوانى الباخرة تتلقى منها السجينات حصتهن من الطعام واحدة وراء الاخرى فى صحاف من معدن رخيص ...

ولما جلست تريسى الى مائدة حفت بها عشرون سجينة ووقع نظرها على الطعام عافته وازورت عنه ، وعندئذ قالت لها المدعوة لولا : اذا ضبطوك وانت لا تأكلين ، فسينقلونك الى « البدروم » ، وما ادراك ما البدروم ؟! هو حفرة تحت الارض ، تكونين فيها بمفردك ! ...

ثم اردفت بلهجة لم تفهم تريسى مدلولها الا فيما بعد : هذه اول مرة لك هنا ؟ .. حسنا .. ساتحفك بنصيحة تفيدك .. ان زميلتنا ارنستين لها نفوذ كبير هنا .. فكونى لطيفة معها ، لكى تضعك تحت حمايتها ... وستنضم الينا فى الزنزانة ...

انتهى طعام العشاء بعد نصف ساعة حيث كانت الساعة الرابعة وبقيت خمس ساعات طوال قبل ان تطفأ الانوار ...

وعندما عادت تريسى الى الزنزانة كانت ارنستين موجودة بها فعلا ، وقد بادرتها قائلة : فهمت انك لم تأكلى طعامك ... هذه غباوة ..

كيف عرفت هذا ؟ .. وماذا يهمها منه ؟

ثم اقتربت من تريسى واردفت قائلة : توجد هنا أشياء كثيرة يمكن أن تعرضك للمتاعب ، وهم هنا قساة لا يعرفون الرحمة ... أنت فى حاجة الى « صاحبة » يمكنها ابعادك عن المتاعب ..

وابتسمت الزنجية الماردة ابتسامة كشفت عن سن ذهبية ، وعادت تقول بصوت ناعم .. صاحبة تعرف كل أسرار حديقة الحيوانات هذه ! ...

وفى التاسعة الا الربع دوى جرس التنبيه فى أرجاء السجن .. فبدأت زميلات تريسى فى نزع ملابسهن ... اما هى فلم تتحرك .. فقالت لها المدعوة لولا : أمامك ربع ساعة لكى تستعدى للنوم ...

لقد تجردت السجينات الثلاث ولبسن جلابيب النوم ، الا تريسى التى بقيت ممددة فى فراشها .. وعندما رأتها المشرفة فى طوافها امرتها فى شراسة أن تحذو حذو زميلاتها والا لقيت ماتكره ، ومضت

فى طوافها .. وازاء تحذير المدعوة بوليتا لها من شر هذه المشرفةنهضت تريسى متباطئة واخذت تخلع ملابسها مديرة ظهرها لزميلاتها ، ثم ادخلت راسها فى جلباب النوم وهى تحس بنظرات السجينات الثلاث لاتفارقها ، حتى قالت المدعوة بوليتا : لك جسم بديع !..

ورددت المدعوة لولا ، مثل هذا القول حتى لقد شعرت تريسى برعدة تسرى فى كيانها ... ولم تلبث ارنستين أن دنت منها قائلة بصوت أجش منفعل : نحن أصحابك ... اننا سنعنى بك الى آخر درجة ! ...

فلم تتمالك تريسى أن انثنت بعنف قائلة : دعونى وحدى ! ... دعونى كلكم .. انا لست ماتظنون !..

فضحكت الزنجية قائلة : صبرا ياطفلتى ... عما قريب ستغيرين رابك ، وتصبحين اطوع لنا من البنان !..

وتحت جنح الظلام كانت المأساة الكبرى ...

لقد ظلت تريسى ممددة فى فراشها يقظى تغالب الاعياء والنوم ساعات وهى تشعر بزميلاتها متحفزات للانقضاض عليها .. فاعتزمت أن تظل ليلتها ساهرة ... وفى هذا قالت لنفسها : سيطلع النهار وشيكا ... وفى الصباح سأطلب مقابلة مدير السجن واخبره عن الطفل ... وعندئذ سوف ينقلنى الى زنزانة اخرى !..

وما أن كانت الساعة الثالثة صباحا حتى عجزت عن ابقاء عينيها مفتوحتين ... وهكذا نامت ..

ثم استيقظت ويد تطبق على فمها ، وايد اخرى تمزق ملابسها فقاومت ، واستماتت فى المقاومة ، وركلت بقدميها ، وعضت بالنواجذ ، دون جدوى ...

وفى استماتة بالغة افلتت لحظة من أيدى السجينات الثلاث ، لكن احداهن جذبتها وضربت راسها بقضبان الباب حتى شعرت تريسى بالدم يتفجر من انفها ...

والقينها على الارض ... وسمرن يديها وقدميها ... فراحت تقاوم بجنون وتحاول الصراخ مستيئسة رغم ما كان يكال على وجهها من لطمات ... وفى النهاية لم تعد تعى شيئا ...

وكان رنين الجرس هو الذى ايقظها ... الفت نفسها ممددة على ارض الزنزانة الاسمنتية مجردة ، وزميلاتها الثلاث فى اسرتهن ...

وعندما مرت المشرفة في الممشى وهي تنادي : « قمن وانشطن » وقع نظرها على تريسي ممددة على الارض في بركة من الدماء ووجهها مهشم واحدى عينيها مورمة مطبقة ... ففتحت الباب ودخلت قائلة :

ماذا يجرى هنا بحق الشيطان ؟! ..

فتولت ارنستين الزنجية الجواب قائلة : لابد انها وقعت على الارض من سريرها ...

فاقتربت المشرفة من تريسي ورفستها بقدمها قائلة : قومي ، يا انت !...

لقد سمعت تريسي الصوت كانه صادر من مكان سحيق .. بيد انها كانت عاجزة عن الحركة ، وجسدها يتمزق الما ...

فجذبتها المشرفة من ابطيها في وضع جلوس ، حتى كاد ان يغمي على تريسي من شدة الوجع ... وقالت : ماذا جرى ؟..

ومن خلال عين واحدة لمحت تريسي اشكال زميلاتها المشوشة ، ينتظرن صامتات ردها .. فهمت أن تتكلم ، ولكن الكلمات لم تخرج من حلقها ... ولما كررت المحاولة تغلبت عليها غريزة خفيه جعلتها تقول : سقطت من السرير ..

فردت المشرفة بغلظة : انني اكره الميوعة !.. لننقلك الى « الحفرة » حتى تتعلمي الادب !..

ولما أفاقت تريسي الفت نفسها وحيدة في ظلام حالك .. ولم يكن حولها اي اثاث في « البدروم » الضيق سوى « مرتبة » بالية على أرض الاسمنت الباردة ، وعن كثب حفرة ضيقة هي المرحاض ...

لم تدر على وجه اليقين اين هي ... ما كان هذا ليهمها ، وانما اهمها ذلك الالم المبرح الوحشي في جسدها .. « لابد انني وقعت من السرير وآذيت نفسي » ... دارت هذه الكلمات في خاطرها قبل ان يغلبها النوم مرة اخرى ...

نامت تريسي ثمانيا واربعين ساعة ، فاذا حدة الالم المبرح قد بدات تخف ... ولما فتحت عينيها الفت نفسها في عدم وخواء ... كان الظلام كثيفا الى حد انها لم تستطع ان تتبين شكل الزنزانة التحت ارضية ... ومالبثت الذكريات أن بدات تغمرها ... انهم

حملوها الى الطبيب ، وتذكرت صوته وهو يقول : ... ضلع مكسور ورسغ مرضوض ... سنقوم بجبرهما ... ان الجروح والرضوض سيئة ، لكنها ستشفى .. انها فقدت طفلها ..

همست تريسى لنفسها : اواه ! .. طفلى ! ... لقد قتلوا طفلى ! .

ثم بكت .. بكت فقد طفلها .. وبكت نفسها ... بكت الدنيا الشنيعة باسرها ..

لقد رقدت تريسى على المرتبة النحيلة فى الظلام البارد ، وفاضت نفسها بكراهية عارمة هزت جسدها هزا .. وقد اضطرمت أفكارها اضطراما اضطرام الى حد أن عقلها خلا من كل عاطفة الا شيئا واحدا : الانتقام ! ..

لم يكن هذا الانتقام موجها الى زميلاتها فى الزنزانة اللاتى اعتدين عليها هذا الاعتداء الوحشى ... فهن ضحايا مثلها .. كلا .. انما كانت ضالتها هم الرجال الذين أوصلوها الى هذا .. الذين دمروا حياتها .

جو رومانو الذى قال : « ان أمك الخبيثة خدعتنى .. لم تقل لى أن لها ابنة بهذه الحلاوة » ...

وانطونى أورساتى الذى قال عنه المحامى : « ان جو رومانو يعمل لحساب رجل يدعى انطونى اورساتى ... ان أورساتى يسيطر على مدينة نيو أورليانز » .

والمحامى بيرى بوب الذى قال لها : « اذا اقررت انك مذنبة ، فانك ستوفرين على الحكومة مصاريف القضية » ...

والقاضى هنرى لورانس الذى قال وهو ينطق بالحكم : « .. فى خلال السنوات الخمس عشرة القادمة ستكونين سجينة فى سجن النساء بولاية لويزيانا » ...

هؤلاء هم اعداؤها ... ثم هناك أيضا تشارلز ستانهوب ، ذلك الذى لم يتريث حتى للاستماع اليها ، وراح يقول : « .. لو كنت بحاجة الى المال الى هذه الدرجة ، لكان عليك مناقشة هذه المسألة معى ... الظاهر انني لم اعرفك تماما ... عليك أن تفعلى بطفلك ما تراه أفضل » ...

الا انها ستجعلهم يدفعون الثمن ... كل واحد منهم !.. لكن لم لكن لديها اية فكرة عن كيفية تحقيق هذا العزم .. لكن لابد من الانتقام .. وقالت لنفسها : غدا ... اذا جاء الغد ...

الفصل السابع

فقد الزمن معناه ، فلم يكن ثمة بصيص من النور فى « الحفرة » التحت ارضية ، ولم يعد هناك فرق بين الليل والنهار ، وهكذا لم تدر تريسى كم لبثت فى هذا الحبس الانفرادى .. وبين حين وحين كان يدفع اليها بطعام بارد من خلال ثقب أسفل الباب .. لم تكن لها شهية ، بيد أنها تحاملت على نفسها لتناول كل لقمة ، فقد ادركت أنها تحتاج الآن الى كل ذرة من القوة لكى تعينها على تحقيق ما اعتزمته ...

كانت في موقف يعده كل انسان آخر ميئوسا منه ، فقد قضى عليها بالسجن خمسة عشر عاما ، وهي بلا مال ، ولا أصدقاء ، ولا موارد من اى نوع ... غير أنها كانت تملك معينا فياضا من القوة والعزم ، جياشا في أعماقها ، حتى قالت لنفسها : « سأتعلق بالحياة ... سأواجه اعدائي مجردة ، لكن شجاعتى هى درعى »..

لسوف تبقى على قيد الحياة كما بقي أجدادها الاولون ... لقد اختلطت فى شرايينها دماء انجليزية وايرلندية واسكتلندية ، وقد ورثت عنهم انقى صفاتهم وأصفى سجاياهم : الذكاء ، والشجاعة ، والارادة ... ناجت نفسها مرة أخرى : « ان أجدادى وأسلافى قاوموا ونجوا من المجاعات والطواعين والطوفانات ، ولسوف أنجو وأعيش مثلهم رغم هذا الكرب الذى حاق بى » ... لقد احست أنهم معها الآن فى هذا القبر : الرعاة وقناصو الوحوش ، المزارعون وأرباب التجارة ، الاطباء والمدرسون ! ... ان أشباح الماضى وكل واحد من هؤلاء قد حلوا جميعا فى كيانها ، فأقسمت الا تخيب ظنونهم فيها ... ومن ثم بدأت تفكر فى اعداد خطط الهرب ... والانتقام من أعدائها ...

***

بعد سبعة أيام أعيدت تريسى الى زنزانتها المشتركة ...

كانت هذه العودة أقسى شيء عندها ... فما ان وطئت أرضها حتى تملكها الفزع من ذكرى ما استهدفت له فى تلك الليلة المشئومة ... وكانت زميلاتها غائبات عن الزنزانة فى العمل .. فمددت

فوق السرير تحدق فى السقف وهى تفكر فى خطط الهرب والانتقام مثنى وثلاث ورباع حتى لا تترك ثغرة للفشل ... وفى النهاية مدت يدها الى قاع السرير وانتزعت منه قطعة معدنية وضعتها تحت المرتبة ... ولما حانت الساعة الحادية عشرة دق جرس الغداء ، فكانت تريسى أول الصف فى المشى ...

وفى المطعم الكبير أبصرت المراتين بوليتا ولولا جالستين الى مائدة قرب الباب ، ولكنها لم تجد أثرا للزنجية ارنستين .. فاختارت مائدة حولها سجينات غريبات عنها ، والتهمت طعامها عن آخره ، ثم انكفأت عائدة الى الزنزانة المشتركة وظلت وحدها حتى الساعة الثالثة الا الربع ، عندما عادت زميلاتها ...

وعندما رأتها بوليتا تولتها الدهشة وابتسمت قائلة : اذن فقد عدت الينا ، ياقطة ، ياحلوة ! .. هل انبسطت مما فعلناه معك ؟

وقالت لولا : جميل ... عندنا لك الكثير ! ..

لم تبد تريسى دلالة على انها سمعت غمزاتهما الجارحة ... فقد كان مايعنيها هو المراة الزنجية أرنستين ... انها لم تكن تثق بها مثقال ذرة ، لكنها كانت بحاجة اليها ... أو لم تقل لها احداهما أن ارنستين لها نفوذ كبير هنا ؟ ..

وفى هذه الليلة تمددت تريسى فى الفراش بعد الاظلام ولبثت تنصت الى انفاس زميلاتها ... وعبر الزنزانة سمعت بوليتا تهمس قائلة : سنريك ياحلوة كيف يكون الحب هذه الليلة ..

فاستضحكت لولا ورددت نفس المعنى ... ذلك ولم تصدر عن أرنستين الزنجية كلمة واحدة ..

ولم تلبث تريسى أن شعرت بلفحة هواء عندما اقتربت منها لولا وبوليتا ... بيد انها كانت على اهبة الاستعداد ... فرفعت القطعة المعدنية التى كانت ممسكة بها وضربت بكل قواها واصابت احدى المراتين فى وجهها .. فانبعثت صرخة ألم ، بينما رفست تريسى شبح المراة الثانية ورأتها تقع أرضا ... وشفعت هذا بقولها : تعاليا مرة ثانية فأقتلكما !..

واحست بهما تهمان بالهجوم مرة ثانية وهما تسبان سبا قبيحا ، فشهرت قطعة المعدن .. غير أن صوت ارنستين انبعث فجأة فى الظلام وهى تقول : كفاية !.. اتركاها وشأنها !..

ساد صمت طويل ... وسمعت تريسى المرأتين تعودان ادراجهما وهما تتنفسان بمشقة ... فتمددت فى سريرها متحفزة ، مستعدة لخطوتهما التالية ... بينما قالت ارنستين : اعصابك حديد يا طفلتى ! ...

لزمت تريسى الصمت ، بينما ضحكت ارنستين ضحكة خافتة فى الظلام وعادت تقول : انك لم تستنجدى بمدير السجن .. ولو فعلت لكنت الآن لحما ميتا ! ..

صدقتها تريسى ... ومرة اخرى سمعتها تقول : لماذا لم تطلبى نقلك من هذه الزنزانة ؟..

فردت تريسى بعزم : لانك سوف تساعديننى على الهرب ...

الفصل الثامن

جاءت مشرفة الى تريسى وقالت لهـا : حضر زائر لمقابلتك باهويتنى ...

تطلعت اليها تريسى فى دهشة قائلة : زائر ؟..

من يمكن أن يكون ؟.. وفجأة عرفت .. هو تشارلز ... لقد جاء أخيرا .. لكن سبق السيف العذل ، وفات الاوان . انه لم يحضر حينما كانت فى أمس الحاجة اليه ... « لا بأس .. لن أحتاج اليه ابدا مرة اخرى ... ولا لاى احد آخر ! .. » .. هكذا جرت خواطرها ...

مهما يكن فقد تبعت تريسى المشرفة الى غرفة الزائرين ... ودخلت ...

كان شخص غريب تماما جالسا الى منضدة خشبية صغيرة .. وكان من اشد الناس بعدا عن الجاذبية .. كان قصيرا ، قميئا ، عالى الجبين بارزة ، ممدور الفم ، بدت عيناه العسليتان مكثفتين خلف نظارته السميكة ...

لم ينهض عند دخولها ، وقال لها : اسمى دانييل كوبر .. وقد سمح لى مدير السجن بأن اتكلم معك ...

فقالت تريسى مرتابة : عن اى شىء ؟..

ـ انا محقق من طرف اتحاد شركات التأمين الدولى ... ان

واحدا من عملائنا أمن على لوحة رينوار التى سرقت منه : وهو مستر جو رومانو ..

اخذت تريسى نفسا عميقا ، وقالت : لا يمكننى مساعدتك ... انا لم اسرقها ...

واتجهت الى الباب ، ولكن كلمات كوبر استوقفتها ، اذ قال : انا أعرف ذلك ...

فانثنت تريسى ونظرت اليه فى حذر وقد توترت كل حواسها ، فقال :

ـ ان احـــدا لم يسرق اللوحــة ... انهم خدعوك يا مس هويتنى ...

وفى بطء شديد تهالكت تريسى فى مقعد ...

***

لقد بدات صلة دانييل كوبر بالقضية قبل ثلاثة اسابيع عنـدما استدعى الى مكتب رئيسه ج . رينولدز فى مقر الاتحاد فى مانهاتن، اذ قال له :

ـ عندى تكليف لك يادانييل ... وساوجز لك القصة ...

والواقع أن رينولدز كان محقا فى رغبته فى الايجاز ... فهو لا يحب دانييل كوبر لما اتصف به من غرابة الطبع والجفوة واعتزال الناس ، ولكنه كان يحتمله على مضض لانه كان يعرف فيه العبقرية والتفوق فى عمله ، وبعبارة ادق كان فى نظره كلب صيد ، وعقل كمبيوتر ... وكثيرا ما استطاع كوبر بجهوده وحده استرداد كثير من المسروقات ، وفضح مختلف حوادث الاحتيال على شركات التامين ...

واستأنف رينولدز حديثه عن التكليف قائلا : ان احدى شركاتنا قامت بالتأمين على لوحة نظير نصف مليون دولار و ...

ـ هى لوحة رينوار ... نيو أورليانز .. وهو جو رومـــانو . وقد حوكمت امرأة تدعى تريسى هويتنى وصدر عليها الحـــكم بالسجن خمس عشرة سنة .. ولم يتم العثور على اللوحة بعد ..

فقال رينولدز على مضض : تماما ... وقد اخفت المدعـــوة هويتنى اللوحة فى مكان ما ، ونحن نريد استردادها ... قم بهذه المهمة ...

فلم يفه كوبر بكلمة ، وغادر المكتب على الاثر ، تاركا رينولدز

يتميز من الغيظ ، وان كان موقنا انه سيبادر بالتنفيذ .
كان دانييل كوبر شخصية معقدة حقا ... كان في حياته سر رهيب حرص دائما على اخفائه ، وكان يؤمن في قرارة نفسه بأن التكفير عن الذنوب والخطايا يقتضيه أن يتعقب المذنبين والخاطئين لانزال العقاب بهم ، وبهذا وحده يتهيأ له التكفير عن أخطاء الماضي ، واعداد نفسه للآخرة ..
وكانت خطوته الاولى في هذه المهمة في مدينة نيو أورليانز ... فأمضى خمسة أيام فيها ، عرف خلالها كل ماكان بحاجة اليه عن جرورمانو ، وانطوني أورساتي ، وبيري بوب ، وهنري لورانس .. وقد اطلع على أوراق محاكمة تريسي هويتني والحكم عليها ؛ وقابل الضابط ميلر وعرف حادث انتحار والدة تريسي هويتني ، وتحدث الى أوتو شميدت وعرف كيف تم تجريد مصنع هويتني من مشتملاته وافلاسه ... ومن كل هذا تأكد تماما أن تريسي هويتني كانت ضحية بريئة ... وبعد ذلك طار الى مدينة فيلادلفيا وتحدث الى ديزموند نائب مدير البنك الذي كانت تريسي تعمل فيه ... وواحد فقط رفض مقابلته ، هو تشارلز ستانهوب ...

***

والآن ، وهو جالس ينظر الى تريسي هويتني في غرفة الزائرين بالسجن ، زاد اقتناعا بانه لم يكن لها اى ضلع في سرقة اللوحة الفنية الثمينة ، واصبح على استعداد لوضع تقريره عن القضية التي كلف بتحقيقها من قبل رئيسه ...
قال لها اخيرا : ان رومانو خدعك يامس هويتني ... كان لابد له عاجلا أو آجلا أن يعلن عن سرقة اللوحة ... وكل ما حدث هو انك جئت مصادفة الى طريقه في اللحظة المناسبة لكي تحققي هدفه وتجعلي مبتغاه سهلا ميسرا ...
شعرت تريسي بقلبها تتزايد دقاته ... لقد عرف هذا الرجل انها بريئة ... واغلب الظن ان لديه ادلة كافية ضد جو رومانو لتبرئة ساحتها ... ومن الممكن أن يتكلم مع مدير السجن او حاكم الولاية بما يؤدي الى اخراجها وانتشالها من هذا الكابوس .. لقد شعرت فجأة بصعوبة في التنفس وهي تقول : اذن فسوف تساعدني ؟.
فقال دانييل كوبر بدهشة : اساعدك ؟!..
ـ نعم ... تحصل على عفو عني او ..

ـ كلا ...

كانت الكلمة مثل لطمة ، فقالت : كلا ؟.. لكن لماذا ؟.. اذا كنت تعرف أننى بريئة ..

ـ ان مهمتى قد انتهت ...

لقد دمغها بهذه الكلمات وهو يعجب فى نفسه كيف يكون بعض الناس بمثل هذا الغباء !..

وما أن عاد كوبر الى غرفته بالفندق حتى أعد التقرير التالى الى رئيسه رينولدز : « فى اعتقادى أن تريسى هويتنى لا ضلع لها بتاتا فى قضية سرقة لوحة رينوار . والمؤكد ان جوررومانو عقد وثيقة التأمين على اللوحة وفى نيته تلفيق حكاية السرقة والحصول على قيمة التأمين ثم اعادة بيع اللوحة الى طرف آخر ، والاغلب أن اللوحة قد تسربت الآن الى خارج البلاد . ولما كانت هذه اللوحة معروفة ومشهورة عالميا ، فاننى أتوقع أن تظهر فى سويسرا ، حيث يسمح القانون لمن يشترى أحد الاعمال الفنية ولو كانت مسروقة أن يحتفظ بها مادام يقرر أنه اشتراها بحسن نية .

« التوصية ـ بما انه ليس هناك دليل مادى على جريمة رومانو ، فان على الشركة المؤمنة أن تدفع له قيمة التأمين . ومن ناحية أخرى فانه من العبث الرجوع على تريسى هويتنى اما لاسترداد اللوحة أو التعويض ، مادامت ليس لها معرفة باللوحة ، هذا فضلا عن انها ستبقى فى سجن النساء فى لويزيانا مدى الخمس عشرة سنة القادمة » ...

ولقد توقف كوبر برهة للتفكير فى أمر تريسى هويتنى ... كان ظنه أن غيره من الرجال يمكن أن يعدها جميلة .. وراح يتساءل فى نفسه ، وبغير اهتمام حقيقى ، ماذا يمكن أن تفعله بها خمس عشرة سنة فى السجن ؟ ...

لكن هذا لا يعنيه فى قليل ولا كثير ..

الفصل التاسع

ذاقت تريسى أهوال العمل فى مغسل السجن لغسل وكى ملابس السجينات حتى كادت تنهار اعياء وضنى ...

وفى اليوم الثامن من عملها جاء حارس وابلغها انه تقرر نقلها

للعمل فى مطبخ السجن ، وهو احب واشهى مكان للعمل عند السجينات ... فقد كان فيه مستويان للطعام : طعام السجينات الذى تعافه النفوس ، وطعام ضباط وحراس السجن وهو يشمل السمك الطازج والبفتيك ، والدجاج والخضر والفاكهة واطباق الحلوي المنوعة ، وكان يجرى اعداده تحت اشراف طهاة مدربين من خارج السجن ، وكانت السجينات العاملات فى هذا القسم ينتهزن الفرصة ويتناولن منه مالذ وطاب .

وعند نقل تريسي للعمل فى المطبخ لم تدهش حين رات ارنستين الزنجية هناك ، فلم يكن لديها شك فى ان هذا النقل تم بمسعاها بعد أن أصبحت تريسى موضع حمايتها ... وقد اقتربت منها وقالت لها بصوت تكلفت فيه المودة : اشكرك .. كيف أمكنك أن تنتزعيني من مخالب المشرفة الشرسة ؟ ..

ــ انها لم تعد تعمل فى عنبرنا ...

ــ وماذا جرى لها ؟ ..

ــ عندنا نظام خاص بين السجينات هنا .. فاذا استبدت بنا مشرفة وجعلت حياتنا جحيما ، تخلصنا منها بالشكاوى الكيدية الى أن تضطر ادارة السجن الى نقلها .. لابد يابنيتى أن تعرفى الحقيقة ... فان الحراس ليسوا هم الذين يتولون تسيير الامور هنا ، وانما نحن السجينات ! ...

لم يكن يعنى تريسى شيء من هذا ، اذ كان المهم عندها أن تتوثق الصداقة بينها وبين هذه المراة ، وهكذا سالتها : ما الذي جاء بك الى هذا السجن ؟ ..

ــ صدقينى اذا قلت لك أن هذا لم يكن بسبب غلطة منى ... اما الحقيقة فهى اننى كنت اراس مجموعة من البنات كن يشتغلن لحسابى ...

قالت أرنستين انها كانت تدير مكتبا للتخديم وتنشر اعلانات فى كبريات الصحف عن استعدادها لتلبية طلبات الاغنياء من الخادمات المدربات ، وعند التحاق احداهن بالعمل كن ينتهزن الفرصة ويهربن بما تصل اليه ايديهن من المجواهرات والنفائس .. ولكن احداهن ضبطت وهى تعمل لدى عمدة المدينة بعد ان تعرفت عليها احدى الضيوف وقررت انها هى اللصة التى سرقت مجوهراتها واختفت من منزلها ... وفى التحقيق اعترفت الفتاة بكل شيء ،

وسكذا قبض على أرنستين وحكم عليها وأودعت هذا السجن ..
كانت الاثنتان وحدهما قرب أحد المواقد ، فقالت تريسى همسا :
ـ لا يمكنني ان أبقى في هذا السجن .. لابد لى من تنفيذ شيء معين في الخارج ... فهل تساعدينني على الهرب ؟..
ومره اخرى تحاشت ارنستين أن ترد عليها بما يشفى غليلها ، وظلت تتحين الفرص ...

***

في فترة العصر كل يوم كان يسمح للسجينات بتمضية ساعة فى قاعة الاستراحة ، حيث يسمح لهن بالفرجة على التليفزيون أو التحدث او قراءة الصحف والمجلات ... وبينما كانت تريسى تتصفح احدى المجلات استوقفت نظرها صورة فوتوغرافية ..
كانت صورة تشارلز ستانهوب وعروسه الجديدة فى حفل زفافهما رهما خارجان من الكنيسة متابطين ضاحكين ...
لقد صدمتها الصورة كضربة صاعقة ... والواقع أن رؤيتها للصورة الآن وما تجلى فيها من بسمة السعادة على وجهه قد أفعمت نفسها الما ما لبث ان استحال الى غضب جائح مكبوح ..
انها خططت يوما لكى تشاطر هذا الرجل الحياة الزوجية ، فاذا به يدير لها ظهره ، ويدعهم يدمرون حياتها ، ويترك طفلها يموت ...
لكن ذلك كان فى زمن آخر ، فى مكان آخر ، فى دنيا أخرى !..
كان ذلك خيالا واسطورة !.. اما هنا فهى الحقيقة الواقعة ..
وهكذا القت تريسى المجلة بعنف ...

الفصل العاشر

قال برانيجان مديرَ السجن لزوجته : ستفقدين مربية طفلتنا غدا ...
تطلعت اليه ايلين بدهشة قائلة : لماذا ؟.. ان جودى على علاقة طيبة جدا مع ابنتنا ايمى ...
ـ أعرف هذا ، لكنها استوفت مدة سجنها ، وسيفرج عنها غدا ...
كان الزوجان يتناولان طعام الافطار فى الفيلا الجميلة ذات الحديقة الكبيرة الواقعتين فى دائرة السجن ... وكانت المزايا

الاخرى المخولة للمدير وأسرته تشمل طاهية وخادمة وسائق سيارة ومربية لابنتها ايمى البالغة من العمر خمسة أعوام ... وكان جميع الخدم من الموثوق بهم ... وحينما جاءت الين برانيجان الى هنا منذ خمس سنوات كانت تشعر بالقلق والتوتر للاقامة فى نطاق السجن ، وكان قلقها وخوفها أشد لامتلاء الفيلا بخدم كلهم من المجرمين المحكوم عليهم .. وفى هذا قالت له ذات مرة :

ـ كيف تعرف انهم لن يعمدوا الى السطو علينا وذبحنا فى منتصف الليل ؟ ...

فرد برانيجان ضاحكا : اذا فعلوا هذا فسأبلغ عنهم بتقرير رسمى !...

ثم تبين لها فيما بعد ان مخاوفها لم تقم على اساس ، فان الخدم الموثوق بهم كانوا متلهفين لترك تأثير طيب عنهم واختصار مدة العقوبة بحسن السير والسلوك ، ومن ثم كانوا موضع الرضى ...

وعندما فاجأ برانيجان زوجته الآن بهذا النبأ قالت له شاكية :

ـ اننى كنت مرتاحة لترك ايمى فى رعاية جودى .. هل فكرت ياجورج فى واحدة معينة تخلفها ؟..

كان مدير السجن قد فكر فى هذا الامر طويلا ، وكان فى ذهنه اسماء زمرة من السجينات الموثوق بهن لاختيار المربية منهن .. بيد انه لم يستطع ان يبعد تريسى هويتنى من تفكيره لما آنسه من غرابة قضيتها .. فهو خبير جنائى محترف منذ اربعة عشر عاما ، وقد بدا له من تفاصيل قضيتها انها ليست من طراز المجرمين معتادى الاجرام ... وأشد مارابه هو الاشخاص الذين تآمروا للزج بتريسى هويتنى فى السجن ... لقد عين فى هذا المنصب من قبل لجنة مدنية يراسها حاكم الولاية ، وعلى الرغم من انه كان يلتزم باصرار الابتعاد عن الزج بنفسه فى السياسة ، الا انه كان على دراية بكافة اللاعبين على المسرح .. كان يعرف ان جو رومانو من « المافيا » ، وانه صنيعة انطونى اورساتى ويده اليمنى .. وكان بيرى بوب المحامى الذى تولى الدفاع عن تريسى مأجورا لهما ، كما كان القاضى هنرى لورانس كذلك ... ومما لاشك فيه أن ادانة تريسى هويتنى كانت مؤامرة مدبرة ..

والآن فان مدير السجن لم يلبث أن حزم امره وقال لزوجته على

سؤالها : نعم .. انني فكرت في واحدة معينة ..

وعندما دعيت تريسي لمقابلة مدير السجن بادرها قائلا : نريد شخصا يتولى رعاية ابنتنا الصغيرة ...

ماكادت تريسي تسمع هذا الكلام حتى فكرت بسرعة البرق : ان هذا قد يجعل مهمة الهرب من السجن ايسر .. فان العمل في بيت المدير كفيل بأن يهيىء لها معلومات كثيرة تعين على تنفيذ خطة الهرب ... ولهذا قالت :

ـ نعم ... انني اقبل هذا العمل ..

لقد سر جورج برانبجان حقا ، اذ كان يشعر انه مدين لهـذه الفتاة بشيء ، وقال لها : حسنا .. وستنالين ستين سنتا في الساعة على أن يودع المبلغ في حسابك في نهاية كل شهر ..

لم يكن مسموحا للسجينات بتداول النقود ، وكانت المبالغ المدخرة لهن تصرف عند الافراج عليهن ...

ثم أضاف مدير السجن قائلا : يمكنك ان تبدئي العمل في الصباح وستتولى رئيسة المشرفات ابلاغك بالتعليمات ...

ـ شكرا لك ياسيدي ..

ـ هذا كل شيء ...

كان اليوم الذي نقلت فيه تريسي للعمل في بيت مدير السـجن يوافق الشهر الخامس لوجودها سجينة ... وقد انتابها التوتر للتفكير في مقابلة زوجة المدير وابنته ، اذ كانت تريد هذا العمـل باستماتة ، لانه سيكون مفتاحها الى الحرية ...

لقد دخلت الى المطبخ الواسع النظيف وجلست وهي تشـعر بالعرق يتصبب تحت ابطيها .. ثم لاحت لها امرأة مرتدية معطفـا منزليا وردي اللون تدخل قائلة : صباح الخير ... فردت بالمثل ..

همت المرأة ان تجلس ، ولكنها غيرت رأيها وظلت واقفة .. كانت الين برانيجان شقراء مليحة الوجه في منتصف العقد الرابع مـن العمر نحيفة القوام ... وكان مسلكها مشوبا بالتردد ، اذ لم تكن على بينة من اسلوب معاملة السجينات الموثوق بهن : هل تأخـذ بالامر ، أو التلطف ، اذ أنها لم تألف بعد معايشة مدمني المخـدرات واللصوص والقتلة ...

قالت اخيرا : أنا مسز برانيجان ... وابنتي ايمي في الخامسة،

وانت تعرفين وفرة النشاط لدى الاطفال فى هذه السن ... وفى رايى انه يجدر على السهر عليها ومراقبتها باستمرار .. هل لك أطفال ؟ ...

فكرت تريسى فى طفلها الذى لم ير النور ، واجابت : كلا ..

والواقع ان الين احست الارتباك أمام هذه الشابة ... فقد الفتها مغايرة لكل ما كانت تتوقع ، وتوسمت فيها طابعا متميزا .. على انها قالت وهى تهرول خارجة : ساحضر ايمى ...

وعادت الين بعد قليل ممسكة بيد ابنتها الصغيرة وقالت لها :

ـ ايمى .. هذه تريسى هويتنى ...

كانت الطفلة نحيفة مثل امها ، زرقاء العينين ، بادية النباهة : وقد ردت قائلة : أهلا .. هل ستكونين « دادتى » الجديدة ؟..

ـ اننى ساساعد والدتك فى الاشراف عليك ..

وتولت الام شرح واجبات تريسى قائلة : سوف تتناولين وجباتك مع ايمى ... ويمكنك اعداد افطارها وملاعبتها فى الصباح ... وستقوم الطاهية باعداد الغداء هنا .. وبعد الغداء تنام ايمى بعض الوقت ، وفى العصر تحب ان تتجول فى الحديقة والمزرعة ..

كانت المزرعة عند الطرف الآخر للسجن ، على مساحة عشرين فدانا تزرع خضرا وفاكهة ، وتتعهدها السجينات ... وكانت بها بحيرة صناعية واسعة تستخدم للرى ، يحوطها سور حجرى ..

كانت الايام الخمسة التالية اشبه بحياة جديدة لتريسى .. ولو كانت الظروف غير هذه الظروف لنعمت بالبعد عن اسوار السجن الكالحة ، وبحرية التنقل فى ارجاء المزرعة واستنشاق هواء الريف النقى .. لكن كل ما كانت تفكر فيه هو الهرب ...

وعندما لا تكون مرتبطة بواجباتها نحو ايمى ، كان عليها أن تعود الى السجن وفقا للنظام المقرر .. وهكذا كانت كل ليلة تبيت حبيسة فى زنزانتها ، اما فى النهار ، فكانت لها حرية صورية .. وكانت بعد ان تفطر فى مطبخ السجن تنتقل الى بيت المدير حيث تعد طعام افطار ايمى ، ثم تلعب معها أو تقرأ لها .. وبعد قيلولة ايمى عقب الظهيرة كانت الاثنتان تقومان بجولات طويلة حرصت تريسى على ان تشمل مساحات من أراضى السجن لم تعرفها من قبل ...

فكانت تستوعب بدقة كل المخارج والمداخل ، ومواضع الحرس فوق ابراج السجن وتسليمهم ، ومواعيد تغيير نوباتهم .. وقد بدا لها بجلاء ان خطط الهرب التي فكرت فيها مستحيلة التنفيذ ..

***

كان للخبر وقع الصاعقة على تريسى ...

اذ قالت لها ارنستين ذات يوم :

ـ انهم سيفرجون عني بعد اسبوع من يوم السبت ، لوفاء المدة ...

لم تجد تريسى الا ان تطرح على الزنجية في يأس واستماتة فكرة الهرب قبل رحيل ارنستين عن السجن ـ ذلك الرحيل الذي سيفقدها كل حماية ، مهما يكن من عيوب ارنستين ومساوئها ...

فقالت لها الزنجية : ليست عندك سيارة تساعدك على الهرب ، ولا احد في الخارج يمد اليك يد المساعدة ... ثقي انهم سوف يقبضون عليك حتما ، حية او ميتة ، وسيكون موقفك اسوأ ... والافضل ان تلزمي الهدوء والصبر ..

دار هذا الحديث بينهما في مطبخ السجن ، في فترة كانت فيها زوجة المدير قد صحبت ابنتها ايمي الى المدينة في عطلة نهاية الاسبوع .. وفجأة لمحت تريسى عربة كبيرة تكدست فيها فوقها اكوام الكسى الرسمية والملاءات ، يدفعها العامل المختص «بالغسيل» الى الباب الخارجي ...

فقطعت تريسى حديثها قائلة :

ـ لماذا يحملون هذا « الغسيل » الى الخارج .. ان السجن به مغسله الخاص !..

فردت ارنستين ضاحكة : هذه مهمات رجال الحرس .. كانوا عادة يرسلونها الى مغسل السجن للغسل والكي .. ولكن وجد بعد ذلك ان المهمات كانت تعاد ممزقة والازرار مفقودة ومشبك بها رقاع تحمل كلاما بذيئا ـ دون ان تتمكن ادارة السجن من معرفة الفاعلين ... ولهذا اصبحوا يرسلون مهمات الحراس الى مغسل خارجي ...

لكن تريسى لم تكن مصغية اليها ... فقد عرفت الآن كيف تنفذ خطة الهروب من السجن ...

الفصل الحادى عشر

عادت تريسى تقول للزنجية بالحاح بعد أن نفضت اليهـا خطة الهرب :

ـ ولماذا لا تكون هذه الخطة عملية ؟..

ـ قلت لك يافتاتى ان الحراس يقومون بتفتيش كل عربة تمـر من بوابة السجن الى الخارج ؟ ..

ـ لكن اذا كانت العربة تحمل سلة كبيرة بها « الغسيل » ، فلا اظن انهم سيفرغونها للفحص والتفتيش ..

ـ انهم لا يضطرون الى هذا ... فان السلة الكبيرة تنقل الى غرفة الملابس المتسخة ، حيث يتولى احد الحراس مراقبة ملئها ..

قالت تريسى وقد نهضت قائمة : ارنستين ! .. الا يمكن لاحـد ان يشاغل الحارس فترة خمس دقائق ؟ ...

ـ وما الفائدة من ...

وكفت ارنستين عن معارضتها فجاة ، ثم اردفت ضاحكة ... وفى فترة المشاغلة ، او المغازلة ، تتسللين انت الى قاع السلة الـكبيرة وتختفين تحت أكوام المهمات ؟ .. آه ! .. اظن أن هذا ممكن ..

ـ اذن فسوف تساعديننى ؟..

جعلت ارنستين تفكر مليا ، ثم اجابت : نعم .. ساساعدك ... وهذه هى فرصتك الاخيرة فعلا ، قبل خروجى من السجن ..

والواقع أن موضوع ، هروب تريسى هويتنى الوشـيك مـن السجن كان له صداه القوى بين السجينات ، اذ كن مترابطـات ولا يخفى عليهن شىء مما يدور « تحت الارض » وما يدبر فى الخفاء ومعظمهن كن يعايشن مثل هذه المحاولات ويتابعنها باشفاق وترقب ، متمنيات لو كانت لديهن الشجاعة للاقدام على مثلها ... لكن كان هناك الحراس المدججون بالسلاح ونقطة الحراسـة القوية وطائرات الهيليكوبتر الرابضة للكشف والمتابعة ، فضـلا عن الكلاب الشرسة المدربة ، واخيرا جثث السجينات التى يحملونها الى حيث بدات المحاولة ...

وعلى الرغم من هذا كله ، بدا تنفيذ المحاولة على قدم وسـاق

بمساعدة ارنستين القوية النفوذ الطويلة الباع .. فقد اخــذت مقاسات تريسي ، واستطاعت لولا سرقة قماش لفســتان من مشغل الخياطة في السجن ، وعهدت به بوليتا الى خياطة في عنبر آخر لاعداده وسرق حذاء من قسم الملبوسات ولم صبغه لــكى يلائم الفستان ... كما ظهر من العدم قفاز وقبعة وحقيبة يد وكأنما بفعل ساحر .. وقالت ارنستين : والآن علينا ان نزودك ببطــاقة شخصية ، ورخصة قيادة ...

فردت تريسي مذهولة : كيف يمكنني أن :

فضحكت ارنستين قائلة : دعي هذا لي ولا تشغلي بالك ..

وبعد منتصف الليل ســـمعت تريسي باب زنزانتها يفتح . فجلست في فراشها متحفزة ، واذا صوت يقول هامسا : هويتني هيا بنا ! ...

عرفت تريسي صوت ليليان ، السجينة المؤتمنة من ادارة السجن ولما سألتها عما تريد انبعث صوت ارنستين في الظلام يقول بحدة : ماهذه الطفلة المغفلة التي ولدتها أمك ؟ .. اقفلي فمك ولا تسألي عن شيء ! ...

وقالت ليليان بصوت خافت : لابد أن نتم هذه العملية بسرعة ، واذا ضبطونا فانهم سيمزقونني .. هيا بنا ..

وقادتها ليليان في الممشى المظلم الى سلالم صــعدتا فيها الى الطابق التالى ، وبعد التأكد من عدم وجود حراس اسرعتــا في الرواق حتى وصلت الى الغرفة التي اخذت فيها بصمات أصابع تريسي وصورتها الفوتوغرافية ، فدفعت ليليان الباب وادخلتها .. فاذا نزيلة اخرى تنتظرهما .. وقالت لتريسي في شيء من التوتر . قفى أمام الحائط ...

امتثلت تريسي وهي تشعر بالتواء في امعائها رهبة وفرقا ، بينما اردفت النزيلة : انظري في عدسة الكاميرا ...

وبعد أن تم التصوير قالت النزيلة : ان الصورة ستسلم في الصباح ، وهي من اجل بطاقتك الشخصية ورخصة قيادتك ... والآن الى الخارج ، بسرعة !...

وعادت تريسي وليليان ادراجهما ، فــكانت ارنستين ولولا وبوليتا في انتظارها ، وقالت الاخيرة : ان الفستان سيكون مجهزا يوم السبت ...

وهمست ارنستين : كل شيء تمام ... ان عــربة الغسيل ، ستخرج فى الساعة الثانية ... وعليك ان تكونى فى غرفة الملابس المتسخة بحلول الساعة الواحدة والنصف ... ولا لزوم لــكى تشغلى بالك من ناحية الحارس .. فان لولا سوف تشاغله بطريقتها عند الباب المجاور ... وستكون بوليتا فى غرفة « الغســيل » تنتظرك ، ومعها ملابسك الجديدة ، وستكون فى الحقيبة اليدوية البطاقة الشخصية ورخصة القيادة باسم جين سميث ... وسيكون خروج العربة من بوابة السجن فى الثانية والربع ...

لقد شعرت تريسى بصعوبة في التنفس ... والواقع أن مجرد الحديث عن موضوع الهروب جعلها ترتعد ... وفى خلال أيـام معدودة ستكون فى طريقها الى الحرية .. لكنها لم تكن واهمة ، فقد تعود من هذه المحاولة جثة هامدة كما حذروها ... ومع ذلك لابد مما ليس منه بد ، بعد أن نذرت نفسها للانتقام من ظالميها ...

***

فى الليلة السابقة ليوم الهرب لم تذق تريسى طعم النوم .. كان توتر أعصابها بالغا ، الى حد شعورها بالغثيان .. وما أن سمعت رنين جرس الصباح حتى كان له وقع القنبلة فى سمعها .. وقالت لها ارنستين وكانت تراقبها عن كثب : كيف حالك يابنيتى ؟..

فردت تريسى كذبا وقد شعرت بتيبس فى حلقها واضـطراب خفقات قلبها : لا باس ... انا وانت سنخرج اليوم من هنا ..

ـ هل انت متاكدة انه سيمكنك الخروج من بيت المدير بحـلول الساعة الواحدة والنصف ؟..

ـ لا مشكلة فى هذا ... ان ايمى تنام دائما بعد الغداء .

وعندئذ مدت ارنستين يدها تحت « المرتبة » واخرجت لفــافة من البنكنوت ، وقالت : سوف تحتاجين الى نقود فى طريقك ... هذا مبلغ مائتى دولار فقط .. لكنه سيساعدك ...

ـ ارنستين ! .. لا اعرف كيف ...

ـ آه ... اقفلى فمك يابنت ، وخذى المبلغ ! ..

لقد تحاملت تريسى على نفسها لازدراد بعض الافطار .. كـان راسها يدق .. وكل عضلة فى جسمها كانت موجوعة .. وفى المطبخ كان السكون غير عادى ، والنظرات والهمسات العارفة تحفها من كل مكان ... فسوف تحدث حالة هروب من السجن اليوم ،

وهي بطلة الدراما ، وفي غضون ساعات قلائل ستكون حرة طليقة السراح ... او جثة هامدة !.

بيد انها نهضت عن طعامها واتجهت الى بيت مدير السجن ..

اخذت ساعات الصباح تمر وانية ثقيلة حتى شعرت تريسى بأنها تكاد تفقد عقلها ... وظلت تلاعب ايمى حينا وتقرأ لها حينا آخر وهي شاردة الذهن كانسان مسحور ...

كانتا اذ ذاك في الفناء الامامي للفيلا ... وعلى البعد كانت تريسى تبصر المبنى الذى فيه غرفة المهمات المتسخة ... ولابد لها ان تكون هناك في تمام الواحدة والنصف ، لكى تخلع رداء السجن وتلبس ملابس الشارع التى زودوها بها ، وفى الثانية الا الربع تكون مختبئة فى قاع سلة الغسيل الكبيرة ، تغطيها الكسى والملاءات ... فاذا كانت الساعة الثانية جاء السائق ونقل السلة الى سيارته ... وبحلول الساعة الثانية والربع تخرج السيارة من البوابة فى طريقها الى البلدة القريبة التى بها المغسل الخارجى ان السائق لن يمكنه ان يرى الجانب الخلفى من مكانه فى المقعد الامامى ، وعند وصول السيارة البلدة وتوقفها عند اشارة المرور الحمراء ، فما عليها الا أن تفتح الباب وتنزل منها بكل هدوء وتركب الاتوبيس فى طريقها الى اى مكان تريده ...

لقد ظلت تريسى تلاعب ايمى حتى كانت الساعة الثانية عشرة والنصف موعد غداء ايمى والحمد لله ، وموعد تحرك تريسى لبدء عمليتها ... فأخذت الطفلة الى الفيلا وقالت لامها : انا ذاهبة الآن يامسز برانيجان ...

ـ ماذا ؟ ... آه !. الم يقولوا لك ياتريسى ؟ ستحضر عندنا اليوم لجنة رسمية لتفقد السجن ، وسيتناول أعضاؤها طعام الغداء فى البيت طبعا ، ولهذا فان ايمى لن تنام بعد الغداء كعادتها كل يوم .. ويمكن ان تأخذيها معك ...

وقفت تريسى مكانها تكتم صرخة كادت تفلت منها وقالت :

ـ لا يمكننى ... لا يمكننى ان افعل هذا يامسز برانيجان !..

فتصلبت الين قائلة : ماذا تقصدين بهذا الكلام ؟!..

شاهدت تريسى امارات الغضب فى عينيها ، فاستدركت قائلة لئلا تزيدها غضبا : اقصد ... ان ايمى لم تتناول غداءها .. ولابد ان تكون جائعة ...

ـ ساكلف الطاهية باعداد غداء رحلات لكما معا .. ويمكنكما ان تخرجا الى المزرعة وتأكلا فى الهواء الطلق .. ان ايمى تحب الرحلات .. اليس كذلك ياحبيبتى ؟

ردت الطفلة متحمسة مشجعة تريسى على قبول الفكرة ، فقالت تريسى للأم :

ـ فى أى وقت تحبين ان أعود بايمى الى البيت ؟..

ـ حوالى الساعة الثالثة ... بعد انصراف الضيوف .. ماذا لك ؟ .. اراك مصفرة !..

ـ لا شىء يامسز برانيجان ... أنا على مايرام ..

كانت الطفلة فى اتم الفرح ، وقالت لتريسى وهما تخرجان : ساعطيك اكبر « سندويتشات » ياتريسى !.. وسنقضي وقتا جميلا ! ..

***

كانت زيارة اللجنة الرسمية مفاجئة ... وكان حاكم الولاية وليام هابر نفسه يرافق اللجنة فى طوافها متفقد الاحوال فى سجن النساء هذا ، وكان على المدير برانيجان ان يواجه هذه الزيارة مرة كل عام .. وفى حديث سابق بين الاثنين قال له حاكم الولاية : لا مفر من هذا ياجورج .. ما عليك الا أن تعمل على تنظيف السجن وتطلب من « سيداته » أن يقابلن اللجنة بالابتسام اللطيف ، ومرة اخرى سيضاعفون لنا الميزانية ..

وفى هذا الصباح صدرت الاوامر من رئيس الحرس الى رجاله: تخلصوا من كل المخدرات ، والمطاوى ، وما اليها !..

وكان المقدر وصول الحاكم هابر واللجنة فى العاشرة صباحا ، على ان يبداوا بتفقد داخلية السجن ، ثم يزورون المزرعة ، واخيرا يتناولون الغداء على مائدة مدير السجن ...

وكان اليوم صحوا بديعا صفت سماؤه ورقت نسائمه ممتزجة بشذى النباتات عبر المزرعة الخضراء .. وقد اختارت تريسى بقعة معشوشبة قرب البحيرة بسطت فيها مفرش مائدة حيث راحت ايمى تقضم الشطائر وهى سعيدة هانئة ... ولما نظرت تريسى الى ساعتها الفتها الواحدة ، حتى لم تكد تصدق عينيها

لمرور الوقت بهذه السرعة ... لابد لها من التفكير حالا ، والا سرق الوقت فرصتها الاخيرة للحرية ! ...

الساعة الواحدة والربع ... كان يجب أن تمضى فى طريقها .. سوف تستغرق ربع ساعة على الاقل للوصول الى غرفة المهمات المتسخة ... وبامكانها ان تحقق هذا لو اسرعت ... غير انهـا لا تستطيع ترك ايمى وحدها ... راحت تنظر حواليها ، وعلى ابعد ابصرت مجموعة من السجينات يحصدن المزروعات .. وهنا قررت ما تفعله ... فقالت لايمى : هيا بنا نلعب الكرة .. لننظر من منا يمكنه رمى الكرة ابعد ... سأرمى الكرة انا أولا ، ثم يأتى دورك ..

وتناولت تريسى كرة المطاط الصلبة وقذفتها الى ابعد مدى استطاعته فى اتجاه السجينات العاملات .. فقالت ايمى معجبة : رمية جميلة ! ...

وهى بعيدة فعلا ! ...

فقالت لها تريسى : سأذهب لاحضار الكرة .. انتظرى انت هنا ...

وراحت تركض ... تركض كمن يهرب بحياته ، وقدماها تطيران فوق الارض المزروعة ... ومن خلفها سمعت ايمى تناديها ، بيد انها لم تعرها اى اهتمام ... وفى هذه الآونة رأت عاملات المزرعة قد بدأن يدخلن الى منطقة السجن ... فصاحت بهن ، فتوقفن وحين وصلت اليهن كانت تلهث لهثا ... فسألتها واحدة منهن : فى حاجة غلط ؟ ...

فردت وهى تجاهد لالتقاط انفاسها : لا .. لا شىء ... فقط واحدة منكن تراقب الطفلة هناك .. امامى مسألة هامة .. انا .

وفجأة سمعت من ينادى باسمها على البعد ، فتلفتت .. لمحت ايمى واقفة اعلى السور الحجرى المحيط بالبحيرة ، ولوحت اليها بيدها قائلة : انظرى الى ياتريسى :

وفيما نظرت تريسى بارتياع بالغ ، فقدت ايمى توازنها وهوت فى البحيرة ..

غاض الدم من وجه تريسى وهى تهتف : رحماك ياربى ! ..

كان عليها أن تختار .. لم يكن ثمة مجال للاختيار .. وقالت

لنفسها : لا يمكنني مساعدتها الآن ! .. سينقذها احد غيري ..
لابد لى من انقاذ نفسى ... لابد لى من الخروج من هذا المكان والا
كان هلاكى !..

كانت الساعة هى الواحدة والثلث .. فانثنت تريسى وراحت
تركض كما لم تركض فى حياتها من قبل ... وجعلت العاملات
يناديها غير أنها لم تسمعهن ... كانت تطير طيرانا ، غير مكترثة
بسقوط حذائها من قدميها ، ولا بالارض المشققة التى شعرت أنها
تمزقهما ... كان قلبها يدق عنيفا ، ورئتاها توشكان أن تنفجرا ،
بيد أنها دفعت نفسها دفعا الى مزيد من الركض ، حتى وصلت
الى السور المحيط بالبحيرة ، واعتلته ...

ومن فوق السور اطلت على ايمى وهى فى المياه العميقة المرعبة
تتخبط وتجاهد للبقاء طافية ... وبلا ادنى تردد قفزت تريسى فى
المياه خلف الطفلة المشرفة على الغرق ...

وما ان اصطدمت بالمياه حتى غمغمت فزعا : رباه !.. انا لااعرف
العوم ! ...

الفصل الثانى عشر

نيو أورليانز
الجمعة ٢٥ اغسطس ـ الساعة ١٠ صباحا

كان ليستر تورانس الصراف فى بنك « فيرست مرشانتس »
يعتز بصفتين فى شخصه : جاذبيته لدى الجنس اللطيف ، ومقدرته
فى تقييم عملاء البنك ، ومن ثم كانت معاملاته مع النساء خاصة
تتسم بالرقة المتناهية ، والتصرف بأسلوب « خذ وهات » ، ولاسيما
مع من تكون منهن فى ورطة او ضيق ...

وفى يوم الجمعة هذا عرف ليستر لدى النظرة الاولى أنه وجد
ضالته فى القادمة الفاتنة ذات القوام الصاعق ، والتى رآها تدير
نظراتها بين الصرافين الاربعة ، وما ان اوما برأسه اليها مشجعا
وشفع الايماءة بابتسامة رقيقة حتى وقع اختيارها عليه ، وتقدمت
من شباكه قائلة بأرق لهجة :

ـ صباح الخير ... آسفة اذا قلت اننى أمام مشكلة ...

فقال بحرارة : وانا هنا لحل المشاكل ... وان كنت لا اعتقد ان فاتنة مثلك يمكن أن تتسبب فى أى مشكلة ...

فقالت وقد اتسعت عيناها العسليتان فزعا : لكن هذا ماحصل . انا سكرتيرة جو رومانو ، وقد طلب منى منذ اسبوع ان اطلب له دفتر شيكات لحسابه الجارى فى البنك ، فنسيت تماما ، ولما نفدت الشيكات البيضاء ، اصبحت فى ورطة ولا اعرف مـــاذا سيفعل معى اذا عرف الموقف ...

كان ليستر يعرف اسم جو رومانو كعميل مميز للبنك ، حتى برغم أن رصيده لم يكن كبيرا نسبيا ، اذ كان معروفا ان امـواله الحقيقية مودعة فى مكان آخر ...

بادرها ليستر قائلا وهو يبتسم مظفرا : ليست هذه بالمشكلة الخطيرة يامسز ... ؟

ـ ... مس لوريس هارتفورد ..

يا للحظ السعيد !.. هكذا ناجى نفسه .. ثم اضاف على الاثر: ساطلب اعداد الشيكات الجديدة حالا ... وستكون جاهزة فى خلال اسبوعين او ثلاثة ..

فاشتد انزعاجها حتى قالت : هذه مدة متأخرة ، وقد تضايق مستر رومانو منى ، ولا أعرف ماذا سيفعل معى بعد ذلك .. الا يمكنك أن تستعجل اعداد الشيكات ، حتى لا أتعـرض للفصل من عملى ؟ ... انا مستعدة لاى شىء ..

كان لكلماتها وقع الموسيقى فى سمعه ، فقال من فوره : سأقول لك ماذا سأفعل ... ساجعل الطلب مستعجلا ، وســـتكون الشيكات جاهزة يوم الاثنين .. مارايك ؟..

فقالت بامتنان بالغ : انت رائع ! ..

ـ سأرسل الشيكات الى المكتب و ...

ـ الافضل أن احضر لاخذها شخصيا .. لا اريد أن يعرف مستر رومانو اننى مقصرة فى عملى ... لن انسى جميلك ... الى يوم الاثنين ..

واختصته بابتسامة ساحرة ، وانصرفت من البنـــك فى مشـــية متئدة جعلت ليستر يحدق خلفها مبهورا ، ثم أسرع الى الادراج يستخرج رقم حساب جو رومانو ووجه طلبا مستعجلا بالتليفون .

كان الفندق القائم في شارع كارمن متواضعا لا يختلف عن مئات من مثله من الفنادق في نيواورليانز ، وهذا ماجعل تريسى تختاره وقد مضي عليها فى الغرفة الصغيرة الرخيصة الاثاث اسبوع ، ولكنها كانت بالمقارنة الى زنزانة السجن قصرا ..

وعندما رجعت تريسى من مغامرتها مع صراف البنك ليستر تورانس خلعت باروكتها السوداء وارسلت شعرها الغزير ، ثم ازالت العدسات اللاصقة الرخوة من عينيها ومسحت « الماكياج » الذى كسب وجهها السمرة ، واخيرا جلست فى الكرسى الوحيد في الغرفة وتنفست الصعداء .. لقد سار كل شيء على مايرام .. فقد استطاعت أن تعرف بسهولة فى اى بنك يضع جو رومانو حسابه ، بعد أن نظرت فى الشيك الملغى الذى عثرت عليه فى أوراق تركة امها ... نعم ان ارنستين زميلة الزنزانة قالت لها أن جو رومانو شخص لا يمكن أن تطوله يدها ... لكن أرنستين كانت مخطئة ، فهاهو ذا رومانو الاول فى خطة الانتقام ، ولسوف يتبعه الآخرون من ظالميها ، واحدا واحدا ...

ولم تتمالك تريسى أن اغمضت عينيها وراحت تستعيد المعجزة التي جاءت بها الى هنا ..

لقد شعرت بالمياه الباردة القاتمة تطبق على راسها عندما ألقت بنفسها فى البحيرة ... الفت نفسها تغرق ، وامتلأت نفسها رعبا ... وغاصت حتى لامست يداها الطفلة ، فتشبثت بها ودفعتها الى سطح البحيرة ... ولكن ايمى جعلت تتخبط فى رعبها الاعمى وتجاهد للتملص منها حتى جذبت كليهما الى ماتحت سطح المياه من جديد .. ولقد شعرت تريسى برئتيها توشكان على الانفجار ، فجعلت تشق طريقها الى خارج هذا القبر المائى متشبثة بالطفلة الصغيرة لانتزاعها من قبضة الموت ، الى ان شعرت بقواها تخور ثم تعالت اصوات تنادى وتصرخ ، وشعرت بجسد ايمى ينتزع من ذراعيها ، وبايد قوية تشد على معصميها ، وقائل يقول : « كل شيء بخير الآن ... اطمئنى ! .. »

وبعد لحظات انتشلت كلتاهما من المياه العميقة القاسية ..

وكان من الممكن الا يثير هذا الحادث اكثر من نبذة صغيرة فى احدى الصفحات الداخلية في جرائد الصباح ، لولا أنه دار حول سجينة لا تعرف السباحة قد جازفت بحياتها لانقاذ طفلة مدير

السجن ... وبين عشية وضحاها جعلت الصحف ومعلقو التليفزيون من تريسى بطلة ، وقام هابر حاكم الولاية نفسه بزيارة مستشفى السجن بصحبة مديره لرؤية تريسى ...

قال لها مدير السجن بتأثر بالغ : ان ما فعلته لهو عمل باسل .. وانني وزوجتي لنعبر لك عن عميق امتناننا ...

فردت تريسى وهى لاتزال ضعيفة ومنهكة بتأثير التجربة القاسية: كيف حال ايمى ؟ ...

- هى فى طريق التحسن ...

اطبقت تريسى عينيها وهى تقول لنفسها : « ماكنت لاحتمل لو اصابها شيء » ... وعندما تذكرت انها كانت تعامل الطفلة ببرود وهى تتطلع الى حنانها ، لم تتمالك ان ساورها خجل مرير .. ان الحادث قد كلفها ضياع فرصتها للهرب من السجن .. لكنها ايقنت انه لو قدر لها أن تعاود الكرة ، لفعلت نفس الشيء ..

واعقب ذلك تحقيق قصير فى الحادث ، فقالت ايمى لابيها : كانت غلطتى ... كنا نلعب الكرة ، فجرت تريسى خلفها وطلبت منى ان انتظر ، لكننى تسلقت السور لكى اراها افضل ، فوقعت فى المياه ... لكن تريسى انقذتنى يابابا ...

وفى تلك الليلة ابقوا تريسى فى المستشفى تحت الملاحظة ، وفى الصباح ذهبوا بها الى مكتب برانيجان مدير السجن ... فاذا وسائل اعلام فى انتظارها هناك ، يتقدمهما مندوبو وكالتى « يونايتدبرس » و « اسوشياتدبرس » ومحطة التليفزيون المحلية . لقد اشتموا فى الحادث قصة انسانية ، فجاءوا فى اثرها ...

وما ان حل المساء حتى انتقلت قصة بطولة تريسى الى شاشات التلفزيون القومية وزادت انتشارا ، الى حد أن الصحف الكبرى مثل « تايم » و « نيوزويك » و « بيبول » ومئات من الصحف فى طول البلاد وعرضها احتضنت القصة فى صدر صفحاتها .. ومع استمرار هذه التغطية الصحفية ، تدفقت الرسائل والبرقيات على السجن تطالب باصدار العفو عن تريسى هويتنى ...

وفى اجتماع بين هابر حاكم الولاية وبرانيجان مدير سجن النساء فى هذا الصدد قال برانيجان : ان تريسى هويتنى موجودة هنا بسبب جناية خطيرة ...

ففكر الحاكم مليا ثم قال : لكن ليست لها سابق ياجورج ، أليس كذلك ؟..

ـ تماما ياسيدي ...

ـ لن اخفي عنك انني تحت ضغط شديد لعمل شيء من اجلها ..

ـ وانا مثلك ياسيدي الحاكم ..

ـ وبالطبع لا يمكننا ان ندع الجمهور يبين لنا كيف نسير الامور في سجوننا ، اليس كذلك ؟

ـ مؤكد هذا لا يمكن ...

ـ لكن من الناحية الاخرى ، لقد اظهرت الفتاة هويتني قدرا عظيما من الشجاعة ... انها اصبحت بطلة قومية ... ما رايك ياجورج ؟ ...

فاجاب جورج برانيجان وهو يختار كلماته بعناية : انت تدرك بالطبع ياسيدي الحاكم ان لي جانبا شخصيا في هذا ، فان التي انقذت هي طفلتي .. لكن اذا وضعنا هذه النقطة جانبا ، فلست اظن ان تريسي هويتني من طراز المجرمين ، ولا يمكنني ان اعتقد انها ستكون خطرا على المجتمع اذا خرجت الى الدنيا .. وانني اوصي مشددا باصدار العفو عنها ...

كان الحاكم وهو على وشك ان يعلن ترشيحه للمنصب للمرة التالية خير من يقدر مثل هذه المشورة القيمة ، ومن ثم قال : لنترك هذه المسألة بيني وبينك فترة اخرى ...

ولا غرو ، ففي عالم السياسة ليس كمثل التوقيت المضبوط !..

وفي اعقاب هذا قالت الين زوجة مدير السجن بعد التشاور معه ، مخاطبة تريسي : انني والمدير نود جدا أن تنتقلي للاقامة معنا في الفيلا ... عندنا غرفة نوم اضافية ... وبامكانك ان تشرفي على ايمي طول الوقت ...

فشكرتها تريسي واعربت عن قبولها بامتنان

وبعد ثلاثة اسابيع من حادث انقاذ الطفلة وبينما كانت تريسي تلاعبها في الفناء ، اذ خرجت اليهما الين مسرعة وابلغت تريسي ان مدير السجن كلمها تليفونيا لكي تذهب اليه في مكتبه على الفور .

والواقع أن تريسي انتابها خوف مفاجيء وتملكتها الهواجس .. وعندما ادخلت اليه في مكتبه بادرها قائلا : الافضل أن تجلسي ..

لقد حاولت تريسي أن تقرا البت في مصيرها من نبرات صوته ، واذا هو يقول لها بانفعال لم تفهم سببه :

ـ عندى خبر لك ... لقد تلقيت توا أمرا من حاكم ولاية لويزيانا بالعفو الشامل عنك ، مع النفاذ الفورى ...

« رحماك ياربى ! ... هل قال حقا ما اظنني سمعته ؟.. »

لقد خافت أن تتكلم ، بينما استطرد قائلا : أريدك أن تعرفى أن هذا لم يتقرر لان التى انقذتها هى ابنتى .. انك تصرفت بالغريزة بالاسلوب الذى يمكن ان يصدر من اى مواطن صالح ... ولا اعتقد بأى حال انك سوف تشكلين اى تهديد للمجتمع ...

ثم اضاف باسما : ان ايمى سوف تفتقدك ... وكذلك نحن ..

لم تجد تريسى كلاما تقوله ... آه لو عرف حاكم السجن الحقيقة : لو أن حادث الانقاذ لم يحصل ، لانطلق حراس السجن يتعقبونها كهاربة ! ...

وسمعته يقول : سوف يتم الافراج عنك بعد غد ..

واخيرا عالجت الكلام قائلة : انا .. انا لا أعرف ماذا اقول ..

ـ لست بحاجة الى ان تقولى اى شىء ... ان كل انسان هنا فخور بك .. واننى وزوجتى نتوقع أن تقومى بأعمال كبيرة فى الخارج ...

هى الحقيقة اذن ! ... وقد اصبحت حرة ! .. لقد شعرت بضعف شديد حتى تشبثت بذراع المقعد تلتمس السند .. وعندما تكلمت فى النهاية كان صوتها ثابتا رهى تقول : هناك اعمال كثيرة اريد ان أقوم بها فعلا ياسيدى المدير !..

وفى الليلة الاخيرة لها فى السجن ، تقدمت منها نزيلة تدعى بيتى فرانشيسكوس وهنأتها بالافراج عنها قائلة : اذا احتجت الى اى مساعدة فى الخارج ، هناك رجل تذهبين اليه فى نيويورك ، اسمه كونراد مورجان ...

ودست فى يد تريسى قصاصة وأردفت : انه من العاملين فى رعاية السجناء السابقين ، ويود اسداء المساعدة لمن كانوا فى السجون ..

ـ اشكرك .. لكن لا اظن اننى سأحتاج ...

ـ انت لا تعرفين الظروف .. احتفظى بهذا العنوان ..

وبعد ساعتين كانت تريسى تخطو خارجة من بوابة السجن ، مارة بين كاميرات التليفزيون .. ولم يكن بوسعها ان تتحدث مع المندوبين ولكن عندما أفلتت ايمى من يد أمها وارتمت بين ذراعى تريسى ،

سارعت الكاميرات بالعمل ، وتصدرت هذه الصور صفحات الجرائد المسائية ...

هكذا نالت تريسي حريتها بمعجزة ، واصبحت مطلقة اليد لتنفيذ خططها ...

وفى مدينة فيلادلفيا شاهد تشارلز ستانهوب صور تريسى وهى تغادر السجن ، فقال لنفسه : « انها لا تزال جميلة » .. وبدا له وهو يتأمل الصور أن من المستحيل أن تكون ارتكبت جريمة من الجرائم التى ادينت بها ... وعندما تطلع الى زوجته المثالية التى جلست تطرز وادعة فى مواجهته ، لم يتمالك ان ناجى نفسه مرة اخرى : « ترى هل اخطأت فى حقها ؟! » ...

وشاهد الصور ايضا دانييل كوبر محقق اتحاد شركات التامين وهو فى مسكنه فى نيويورك ... فلم يحفل مثقال ذرة باطلاق سراحها من السجن ، واقفل جهاز التليفزيون واستانف فحص الملف الذى امامه ...

اما جو رومانو فقد ضحك عاليا لرؤية نشرة الاخبار التليفزيونية وقال لنفسه : هذه البنت اللعوب محظوظة ... واراهن ان السجن كان مصلحا لها ! ... ولابد انها الآن اطوع والين ! ... وربما نلتقى مرة اخرى ذات يوم ! ...

كان رومانو راضيا مغتبطا بنفسه .. فقد باع لوحة رينوار الفنية الى تاجر المسروقات ، واشتراها احد هواة الفن فى مدينة زيورخ السويسرية ، وحصل هو على نصف مليون دولار من شركة التامين ، ونصف هذا المبلغ من التاجر ... وكان من الطبيعى ان نقتسم الحصيلة كلها مع انطونى اورساتى ... اذ كان رومانو بالغ الدقة فى معاملاته معه ، خصوصا وقد راى امثلة لما اصاب اولئك الذين لم يكونوا مدققين فى معاملاتهم مع اورساتى !..

***

ظهر يوم الاثنين عادت تريسى ، فى شخصية لورين هارتفورد ، الى بنك « فيرست مير شانتس » ... فى تلك الساعة كان البنك مزدحما بالمتعاملين ، وما ان لمحها ليستر تورانس الصراف المتحبب حتى هش فى وجهها قائلا : المسألة لم تكن سهلة ، لكننى انجزتها من اجلك يالورين ...

وفتح درجا واخرج منه علبة شيكات قدمها اليها قائلا : اليك الشيكات : اربعمائة شيك على بياض ...

فشكرته بحرارة اذابت قلبه ، حتى قال لها : هل هناك مانع من أن نتناول الغداء معا في مطعم هادىء ؟..

ـ هذه أمنية بالنسبة لي ياليستر ...

ـ واين اكلمك بالتليفون يالورين ...

ـ آه ... سأطلبك انا ياليستر ..

وتحولت عنه مبتعدة ، وسرعان ماحل محلها عميل آخر ، مما جعل ليستر يشعر بالاحباط ...

وكان في وسط البنك اربع مناضد بها خانات تحتوي على استمارات بيضاء للايداع والسحب ، ازدحم امامها عملاء يدونون استماراتهم ... وما أن خلت منضدة حتى احتلتها تريسي .. وكانت العلبة التي قدمها اليها ليستر تحتوى على ثماني لفافات من الشيكات البيضاء ، غير ان هذه لم تكن هي مطلب تريسي ، وانما استمارات الايداع الموجودة خلف اللفافات ...

وبعناية تامة فصلت استمارات الايداع عن الشيكات ، وفي أقل من ثلاث دقائق كان بيدها ثمانون استمارة ايداع .. وبعد أن تأكدت تريسي أن أحدا لا يراقبها ، وضعت عشرين استمارة في خانة المنضدة ...

وانتقلت بعد هذا الى المنضدة المجاورة ، حيث وضعت عشرين استمارة ايداع اخرى ... وفي غضون دقائق معدودة كانت بقية استمارات الايداع قد احتوتها المناضد الاخرى ... كانت استمارات الايداع بيضاء ، ولكن كل واحدة منها كانت تشتمل على رقم شفري ممغطس في اسفلها ، يستخدمه الكمبيوتر في ايداع مختلف الارصدة ... ولم يكن مهما من يودع الرصيد ، لان الكمبيوتر ، بفضل الشفرة الممغنطة ، يقوم اوتوماتيكيا بتسجيل رصيد جورومانو مع كل عملية ايداع ... ومن خلال خبرة تريسي في اعمال البنوك ، كانت تعرف انه في خلال يومين ستؤدي ايصالات الايداع الممغنطة عملها ، وانه ستمضي خمسة ايام على الاقل قبل أن يكتشف هذا التلاعب .. وهذه الفترة كافية واكثر لاتمام مادبرت القيام به ..

وفي طريق عودتها الى الفندق القت تريسي بالشيكات البيضاء في سلة للنفايات ، اذ أن جو رومانو لن يحتاج اليها ..

وكانت خطوتها التالية هي دخول احدى الوكالات السياحية

حيث قررت للعاملة المختصة انها سكرتيرة مستر جو رومانو ، وانها تريد حجز تذكرة سفر مفردة له بالطائرة الى ريودى جانيرو فى البرازيل ... وبعد ان رجعت العاملة الى الكمبيوتر قالت لهـا : التذاكر كلها محجوزة ، الا تذكرة واحدة بالدرجة الاولى على طائرة « بان أميريكان » المسافرة يوم الجمعة فى السادسة والنصف مساء ...

فقالت تريسي : سيكون مسرورا بهذا الموعد ...

ـ الاجرة ١٩٢١ دولارا . هل تدفع نقدا أو بالتحصيل ؟

ـ ان مستر رومانو يدفع دائما بنظام التحصيل .. هل يمكن ارسال التذكرة الى مكتبه يوم الخميس الساعة ١١ صباحا ؟..

ـ نعم ... والعنوان ؟ ..

فذكرت لها تريسى العنوان ، وشكرتها ، وانصرفت ..

وبعد مسيرة خطوات فى نفس الشارع عرجت تريسي على محل كبير للملابس الجاهزة وقالت للبائع الذى خف للترحيب بهـا :

ـ أريد شراء بذلات لزوجى من النوع الفاخر ، لاننا سنسافر فى رحلة ...

فقادها الى صف من البذلات الانيقة قائلا : انا متأكد ان واحدة من هذه ستعجبه ... عندنا منها ثلاثة مقاسات .. اى مقاس يمكن أن ...

ـ سآخذ بذلة من كل مقاس ..

ـ جميل .. هل سيكون الدفع نقدا او بالتحصيل ؟..

ـ بالتحصيل ، باسم جو رومانو ... هل يمكن ارسالها الى مكتب زوجى يوم الخميس الساعة ١١ صباحا ؟ ... مع وضع « انيشيال » مذهب بالحرفين ج ، ر ؟

ـ بالتأكيد يامسز رومانو ... سأشرف على هذا بنفسى ...

فشكرته تريسى ، وذكرت له العنوان ...

وفي مكتب شركة « وسترن يونيون » ارسلت برقية خارجية خالصة الرد الى فندق « ريو بالاس » فى مدينة ريو دى جانيرو بالنص التالى : « الرجاء حجز افخر جناح اعتبارا من يوم الجمعة القادم لمدة شهرين . نرجو تأكيد الموافقة برقيا . جوزيف رومانو ـ ٢١٧ شارع بويدراس ، نيوأورليانز ، لويزيانا » ...

وبعد ثلاثة أيام اتصلت تريسي تليفونيا ببنك « فيرستميرشانتس»

طالبة ليستر تورانس ، وبادرته قائلة باتم رقة : ربما كنت لا تتذكرنى ياليستر ... انا لورين هارتفورد ، سكرتيرة مستر رومانو ..
فرد باشتياق قائلا : طبعا اتذكرك يالورين ... لعلك لم تنسى موعدنا للغداء ؟.
ـ انت لا تعرف كم اترقب هذا .. هل يناسبك الخميس القادم ياليستر ؟ .
ـ رائع ! . .
ـ اتفقنا اذن ... آه ، يا لغباوتى .. انك انسيتنى بعذب حديثك سبب مكالمتى لك ... ان مستر رومانو كلفنى بمراجعة رصيده فى البنك .. هل يمكن أن تعطينى الرقم ؟..
ـ لا مشكلة فى هذا .. حالا . ابقى على الخط يالورين ..
وفى الاحوال العادية كان ليستر يسأل عن تاريخ الميلاد او اى دلالة اخرى لشخصية الطالب ، بيد أنه تجاوز عن ذلك فى هذه المناسبة ... وتقدم من فوره الى السجل الخاص وسحب بطاقة حساب جو رومانو رراح يفحصها بدهشة ... فقد وجد عددا غير عادى من الايداعات اضيفت الى رصيد رومانو فى خلال الايام القليلة الماضية ... وكان سبب دهشته هو أن رومانو لم يحتفظ بمثل هذه المبالغ الكبيرة من قبل ... ومع تعجبه من هذا فقد فكر ان رومانو ربما كان يعد لصفقة كبيرة ، ومع ذلك لا باس ان يطرق هذه المسألة عند تناوله الغداء مع لورين ... وهكذا رد عليها بالتليفون قائلا : ان رئيسك شغلنا فى الفترة الاخيرة ، فقد بلغ رصيده فى البنك اكثر من ثلاثة آلاف دولار ..
ـ آه ! ... بديع ! .. هذا هو الرقم الذى عندى .. الحقيقة ان شكرى لك عظيم ياليستر .. أنت مدهش !.
ـ انتظرى لحظة .. هل اتصل بك تليفونيا فى المكتب بخصوص موعدنا يوم الخميس ؟ ..
ـ انا الذى سأتصل بك يا عزيزى ...
وقطعت المكالمة التليفونية ...

***

كانت شركة باسيفيك للاستيراد والتصدير تحتل الطابق الرابع باكمله فى المبنى العصرى الفخم المملوك لانطونى اورساتى ، وكانت مكاتب اورساتى تحتل القسم الاكبر من الجناح ، وفى مواجهتها

القسم المخصص لجورومانو ... وكان الحيز الفاصل بين القسمين مخصصا لاربع سكرتيرات حسناوات كانت مهمتهن استقبال أصدقاء أنطونى أورساتى وارباب الاعمال ... وأمام جناح اورساتى كان يجلس رجلان عملاقان حياتهما مكرسة لحراسة « الزعيم » ، كما كانا يعملان سائقين لسياراته ، ورسولين لمهامه ...

وفى صباح يوم الخميس هذا كان أورساتى جالسا فى مكتبه يراجع حصيلة اليوم السابق من ايرادات عشرات الانشطة السرية التى تشرف عليها شركة الاستيراد والتصدير ...

كان انطونى اورساتى فى اخريات العقد السادس من عمره ضخم الجسم ، قصير الساقين بما لايتناسب مع ضخامته ، حتى أنه لو وقف لبدا مثل ضفدعة جالسة ... وكان وجهه الذى تقاطعت فوقه آثار الجروح يضم فما كبيرا وعينين سوداوين جاحظتين ، تحت راس أصلع تكسوه « باروكة » .. وكانت عيناه بصفة خاصة مثل عينى مقامر لا تنمان عن شىء من الانفعالات ، الا حين يكون مع بناته الخمس اللاتى يعبدهن عبادة .. وكان صوته محشرجا رنانا نتيجة سلك لف حول عنقه فى عيد ميلاده الخامس والعشرين حين تركه المهاجمون ميتا أو كالميت ... اما الرجلان اللذان وقعا فى هذه الفلطة فقد كان مصيرهما فى المشرحة فى الاسبوع التالى ... وعندما كان أورساتى يستشار ، كان صوته يخفت الى حد الهمس المختنق الذى لا يكاد يبلغ المسامع ...

لقد كان انطونى اورساتى ملكا يدير مملكته بالرشاوى والمسدسات والابتزاز ... كان يسيطر على مدينة نيو أورليانز ، وكانت تدين له بالخضوع فى شكل ثراء لا حصر له ... وكان « زعماء العائلات » الاخرى فى طول البلاد وعرضها يحترمونه ويلتمسون على الدوام مشورته ...

وفى هذه المناسبة كان انطونى أورساتى فى حالة نفسية راضية : فقد افطر مع عشيقته ، تلك التى افرد لها مسكنا باذخا فى عمارة يمتلكها فى « ليك فيزتا » ، حيث كان يزورها ثلاث مرات كل اسبوع ، وكانت زيارة هذا الصباح نعيما يملأ النفس انشراحا ، حتى كان أورساتى يعتقد اعتقادا جازما بأنها متيمة بحبه ... والى هذا كانت « منظمته » تسير بدقة واحكام ، خلوا من اية مشاكل ، ايمانا من اورساتى بأن المبادرة الى حل المشاكل فى بدايتها هو

خير سبيل لتفادى تضخمها واستحالتها الى مشاكل فعلية .. وهذا المبدأ هو مالقنه لمساعده جو رومانو ...

كان اورساتي يحب رومانو حبا جما .. كان بمثابة ابن له .. لقد التقطه أورساتى منذ كان صبيا يسرح بالمشروبات فى الازقة ، واشرف بنفسه على تدريبه وتلقينه أسرار المهنة حتى تفوق واصبح ساعده الايمن ، وغدا يشرف على كافة عمليات « العائلة » ، ولا يدين بالطاعة والولاء الا لاورساتى ، رب نعمته ...

كانت الساعة فى هذا الصباح قد أشرفت على الحادية عشرة ، وعندما دخلت عليه سكرتيرته الحسناء لوسى تلقاها بالامتعاض ، اذ كان قد أمر بعدم مقاطعته قبل الظهر .... ولكنها قالت له : انا آسفة لمضايقتك يا مستر أورساتى .. معى على التليفون مس جيجى دوبريه التى تبدو فى حالة هستيرية ، لكنها لاتريد أن تقول لى ماعندها ... انها تصر على التحدث معك شخصيا ، وفكرت أن المسالة ربما كانت هامة ...

راح أورساتى يدير هذا الاسم فى ذاكرته ألتى يعدها قوية لا تنسى ، فلم يجد صدى للاسم لديه ... على أنه من قبيل حب الاستطلاع رفع سماعة التليفون مشيرا للسكرتيرة بالخروج ، وقال :

ـ نعم ؟ .. من المتكلم ؟..

فجاءه صوت تشوبه لهجة فرنسية تقول صاحبته : آه ! ... الحمد لله اننى توصلت اليك يا « ميستر » أورساتى !.. لابد أن تمنعه بربك ! ..

ـ ياسيدة .. انا لا اعرف عمن تتكلمين ، وانا مشغول ...

ـ هوجو رومانو ، حبيبى ... لقد وعد أن يأخذنى معه .. انه كذب على .. اكتشفت أخيرا انه سيسافر الى البرازيل بدونى ... ان نصف مبلغ الثلاثة آلاف دولار الذى سيأخذه معه هو من حقى ! ..

بدأ أورساتى يهتم بعد أن كان يستمع متأففا ، وقال : اى مبلغ هذا الذى تقولين عنه ؟ ..

ـ المبلغ الذى كان جو يخفيه فى حسابه الجارى فى البنك ... المبلغ المسروق !..

تزايد اهتمام أورساتى بتاثير هذه البيانات التى لم يكن يعرفها ،

بينما مضت المتكلمة تقول بلهجتها الهستيرية : أرجوك ان تقول لجو انه لابد ان يأخذني معه الى البرازيل ...

فقال أورساتي في النهاية بلهجة مستطيرة : نعم ... ساهتم بهذه المسألة ...

***

كان مكتب جو رومانو الفخم مؤسسا على أحدث طراز ، تزدان حدرانه بتلك اللوحات الفنية للمشاهير ... نعم انه نشأ فى ازقة نيو اورليانز ، ولكنه استطاع أن يرتقى بتعليمه وذوقه الفنى حتى اصبح يفاخر بأنه من عشاق الفن والموسيقى ، وفي حين أن اضرابه ونظراءه كانوا يعتمدون فى بقائهم على القوة البدنية والبطش ، فقد نجح هو فى استخدام مواهبه العقلية ... واذا كان أورساتى يسيطر على نيواورليانز حقا ، فمن الحق ايضا أن جورومانو هو الذى يديرها لحسابه ...

ونراه الآن وقد دخلت عليه سكرتيرته قائلة : حضر مندوب ومعه تذكرة سفر بالطائرة الى ريودى جانيرو ، ويطلب الثمن .. هل اكتب له شيكا ؟..

هز رومانو راسه وقال : ريودى جانيرو ؟ .. قولى له ان المسألة فيها غلط ...

وكان المندوب لدى الباب ، فقال : اخبرونى ان أسلم التذكرة الى جو رومانو فى هذا العنوان ...

ــ لا بأس .. اخبروك غلط .. هل هى مداعبة من شركة الطيران ؟ ...

ــ لا ياسيدى .. انا ..

ــ دعنى ارى التذكرة ... يوم الجمعة ؟.. ولماذا أسافر الى ريو يوم الجمعة ؟.

فقال انطونى اورساتى الذى وقف لدى الباب خلف المندوب :

ــ سؤال وجيه .. ما الذى يدعوك الى السفر ياجو ؟..

فقال رومانو وهو يرد التذكرة الى المندوب : لابد انها غلطة سخيفة .. ردها من حيث جاءت و ...

بيد ان اورساتى تناول التذكرة وفحصها قائلا : التذكرة تبين انها فى الدرجة الاولى ، الى ريودى جانيرو ، يوم الجمعة ، ذهابا فقط ...

فضحك رومانو قائلا : هناك غلطة ولاشك ... اتصلى يا مادج بشركة الطيران وابلغيها انهم غلطوا غلطة سخيفة ، وأن مسافرا مسكينة سيفقد مقعده فى الرحلة ...

وفى هذه اللحظة دخلت مساعدة السكرتيرة قائلة : معذرة ب مستر رومانو ... البذلات وصلت ... هل تريد أن امضى بالاستلام ؟ ...

حملق فيها رومانو قائلا : ايه بذلات ؟! ... انا لم اطلب اى بذلة ! ...

ولكن انطونى أورساتى استبقه قائلا : هاتى البذلات ...

بينما هتف رومانو : يا السماء ! .. هل جن كل انسان ؟..

ولما دخل المندوب بالبذلات هتف رومانو مرة ثانية : ما هذا كله ؟! ... انا لم اطلب اى بذلات !.. خذها الى جهنم !..

فقال أورساتى وكان يفحص الملابس : انها تحمل حرفى اسمك مذهبا باجو ! ..

ـ ماذا ؟.. آه !.. مهلا .. ربما كانت هدية !..

ـ أهو عيد ميلادك ؟..

ـ لا .. ولكنك تعرف طبيعة الصديقات ياتونى ... يتحفنك دائما بالهدايا ! ..

فقال انطونى اورساتى : عندك مايهمك فى البرازيل ؟.

فرد رومانو ضاحكا : البرازيل ؟!.. لابد أن هذه دعابة ياتونى ! ..

ابتسم انطونى أورساتى ابتسامة رقيقة ، وبعد ان اشار الى السكرتيرتين بالخروج سأله : ماهو رصيدك فى البنك ياجو ؟..

تطلع اليه رومانو متحيرا ، ثم أجاب : لا اعرف بالضبط ... الف وخمسمائة دولار كما اظن ، وربما الفان ... لماذا ؟..

ـ للمزاح فقط .. لماذا لا تتصل بالبنك وتعرف بالضبط ؟...

ـ ليكن .. مادام هذا يرضيك ...

وبعد ان أوصلته السكرتيرة بالبنك قال لرئيسة الحسابات : انا جو رومانو .. ارجو افادتى عن رقم رصيدى فى البنك .. تاريخ ميلادى هو ١٤ اكتوبر ...

وفى نفس الوقت التقط انطونى اورساتى وصلة التليفون ليستمع ، وبعد قليل جاءه الرد : رصيد حسابك حتى هذا اليوم

بامستر رومانو هو ثلاثة آلاف وتسعمائة وخمسة دولارا واثنـــان وثلاثون سنتا ...

شعر رومانو بالدم ينحسر من وجهه وهو يصيح قائلا : يامغفلة ! لست أملك مثل هذا المبلغ فى حسابى ! ... هناك غلطة شنيعة !. دعينى اكلم ...

غير انه الفى سماعة التليفون تسحب من يده وترد الى مكانها ، وصوت انطونى أورساتى يقول له : من أين جاء هذا المال ياجو !

اجاب رومانو وقد اصفر وجهه : اقسم بالله ياتونى اننى لااعرف شيئا من هذا المبلغ ! ...

– صحيح ؟ ...

– لابد أن تصدقنى !.. مؤكد انها مكيدة من احدهم !..

– لابد انه شخص يحبك كثيرا ... فاهـداك هدية وداع بمبلـغ ثلاثة آلاف دولار !..

وتهالك اورساتى فى المقعد الحريرى وراح يتأمل رومانو طويلا ، ثم استطرد قائلا بأتم هدوء : كل شىء تم تدبيره باحكام ، أليس كذلك ؟ .. تذكرة سفر ذهابا الى ريو ، وبذلات جديدة .. كمـا لو كنت تخطط لحياة جديدة متواصلة !.

فقال جو رومانو فى فزع شديد : كلا ! .. ياالهى !.. انت تعرفنى احسن من هذا ياتونى !.. اننى كنت على الدوام قويمـا معك ! .. انت مثل اب لى !..

واخذ يتصبب عرقا .. وفى هذه اللحظة طرق الباب ، واطلت مادج براسها ممسكة بمظروف ... وبفريزة وحش حوصـــر قال لهاجو رومانو : ليس الان !.. انا مشغول ! ..

– ساخذ انا المظروف ...

قال اورساتى هذا وهو ينهض قائما قبل أن تغلق السكرتيرة الباب ، وتمهل فى قراءة البرقية الواردة ، ومالبث أن ركز عينيه فى رومانو قائلا : بصوت شديد الخفوت حتى لم يكد رومانو يسمعه ساقراها لك ياجو .. انها تقول : « يسرنا تأكيد حجزكم لجنـــاح الاميرة بفندقنا لمدة شهرين اعتبارا من يوم الجمعة القـــادم اول سبتمبر » ... والبرقية بامضاء مدير فندق « ريو بالاس » فى ريو دى جانيرو ... اليس هذا طلبك ؟ .. لكنك لن تحتاج الى الجناح المحجوز ! ..

الفصل الثالث عشر

فوجيء اندريه جيلان الطاهى الفرنسى فى منزل المحامى بيرى بوب وهو منهمك فى اعداد الوليمة الوشيكة بصوت قاصف اعقبه توقف جهاز التكييف عن العمل ...

يا للمفاجأة !.. سوف يغضب مخدومه ولا ريب ، اذ كان اندريه يعرف أنه يعتز كثيرا بهذه السهرة الاسبوعية ، كل يوم جمعة ليلا ، حيث تدار لعبة البوكر الحافلة ، مقترنة بالعشاء الفاخر ... كانت تقليدا مستمرا يتواصل منذ اعوام ، بحضور هؤلاء الصفوة من المقامرين المعروفين .. وبدون هواء مكيف يغدو المنزل خانقا لا يطاق لشدة الحر والرطوبة فى طقس سبتمبر هذا فى نيو أورليانز ...

كانت الساعة الرابعة ، ولسوف يصل الضيوف فى الساعة الثامنة ... فكر اندريه فى مكالمة مستر بوب تليفونيا ، لكنه كان قد أخبره انه سيظل مشغولا فى المحكمة طول اليوم ، وسيكون بعدها فى حاجة الى الراحة ...

هكذا أسرع اندريه الى التليفون واتصل بشركة اسكيمو للتكييف، فرد عليه صوت الانسان الآلى يقول أن جميع الفنيين مشغولون ، وان له أن يذكر الاسم والعنوان ونوع الخلل ، لكى يبادروا بالحضور لاصلاحه بأقرب وقت ممكن ... فامتثل اندريه على مضض وهو يحسب الف حساب لغضب المحامى اذا لم يتم الاصلاح قبل موعد الاجتماع .. فان مخدومه الشاب شخصية مرموقة لافى دوائر المحاماة والقضاء فقط ، ولكن كذلك فى الاوساط الاجتماعية الكبيرة ... وهكذا مضى اندريه فى اعداد أصنافه الممتازة وهو يتفصد عرقا ...

وشد ماتنفس الصعداء عندما رن جرس الباب بعد نصف ساعة ، فاسرع لفتح الباب الخلفى ، حيث وجد امامه رجلين فى ملابس العمال احدهما زنجى طويل القامة ، والثانى ابيض وأدنى منه طولا ...

وعن كثب وقفت فى الممشى سيارة الخدمة ... وقال الزنجى :

هل عندكم مشكلة بخصوص جهاز التكييف ؟..

ـ نعم ... شكرا للسماء أنكم حضرتم !.. ارجو أن تعملوا على اصلاحه حالا ، فعندنا ضيوف سيحضرون عاجلا ...

تقدم الزنجي الى الفرن وتشمم رائحة « التورتة » قائلا :

ـ يالها من رائحة لذيذة ! ..

ـ ارجوك أن تسرع ، فلا وقت أمامنا !..

وقادهما اندريه الى غرفة التكييف المركزى ... فركع الرجل الابيض المدعو رالف أمام الجهاز وفتح بابا صغيرا عند أسفله وأخرج بطارية ثم انبطح على بطنه وجعل يمعن النظر فى الداخل .. وبعد برهة نهض قائما وقال : ليس الخلل هنا ..

فقال اندريه : واين هو اذن ؟ ...

ـ لابد انه احتراق فى احد المنافذ ، أدى الى عطل فى الجهاز كله ... كم وحدة تكييف عندكم ؟..

ـ توجد وحدة في كل غرفة ... مجموعها ٩ وحدات على الاقل ..

ـ ربما كان العطل في واحدة منها .. لابد من القاء نظرة للفحص ...

وعاد الثلاثة الى الصالة ، وفى مرورهم بغرفة الجلوس قال آل الزنجى : هذا مكان جميل فعلا !..

كانت غرفة الجلوس فاخرة الاثاث حقا ، امتلأت بألوان من التحف الثمينة تساوي وحدها ثروة ... والى مسارها قامت غرفة طعام رحبة الجنبات ، وعن يمينها مخدع توسطته مائدة قمار كبيرة مكسوة بالجوخ الاخضر ... وفى ركن من المخدع نصبت مائدة مستديرة أعدت لطعام العشاء ... وفى هذا المكان توقف العاملان للفحص ، ثم أخرج الزنجي آل بطاريته وسلطها على منفذ التكييف فى اعلى الحائط ... ومالبث أن تطلع الى السقف فى المكان الذى يعلو مائدة القمار وغمغم : ما الذى يوجد فوق هذه الغرفة ؟.

ـ غرفة السطح ...

ـ لنصعد اليها لالقاء نظرة ..

وتبع العاملان اندريه الى الغرفة العلوية ذات السقف الواطىء التي كانت متربة تتناثر فى زواياها اعشاش العناكب ... وتقدم

آل صندوق كهرباء فى الحائط ، ففحص أسلاكه المتشابكة ثم غمغم : آه ...

فسأله أندريه بلهفة : هل وجدت شيئا ؟..

ـ المكثف تالف ... بسبب الرطوبة .. ولابد من استبداله ..

ـ هل يأخذ هذا وقتا طويلا ؟ .

ـ لا .. معنا مكثف جديد فى السيارة ..

ـ ارجوك بالله أن تسرع ! ان مستر بوب سيعود قريبا !

ـ دع كل شيء لنا .. عد انت الى مطبخك مطمئنا ، وسنقوم نحن بكل شيء ...

ـ اشكركم ! .. اشكركم !..

وعاد اندريه الى المطبخ مطمئنا ... وخرج العاملان الى السيارة ورجعا بكيسين كبيرين صعدا بهما الى غرفة السطح ، ففتحا الكيسين واخرجا كرسيا منطويا ومثقابا من الصلب ومنظارا مكبرا لرؤية الاشياء الدقيقة وادوات لحام ، الى جانب طبق شطائر وعلبتى بيرة .. ثم انهمكا فى العمل ... وضحك آل قائلا وهما يستفتحان : ان أرنستين ستكون فخورة بى ! ...

وفى بداية المهمة رفض آل الفكرة بعناد ، قائلة لحبيبته أرنستين : لابد انك فقدت عقلك يا امرأة !.. لن يكون لى شأن ضد شخصية خطيرة مثل المحامى بيرى بوب ، والا حطمنى فى ضوء النهار !..

كان هذا الحديث يدور بينهما فى مسكن ارنستين بعد الافراج عنها ، ولما رأى أصرارها سألها : لحساب من تريدين ان أقوم بهذه العملية ؟ ..

ـ انها من اجل صديقتى تريسى ...

كان آل يميل الى تريسى بعد أن تناول ثلاثتهم طعام العشاء معا يوم خروجها من السجن .. ولمزيد من الاقناع قالت له أرنستين : اذا لم نساعدها فى هذه المهمة فسوف تضطر الى الاستعانة بشخص آخر لا يكون له مثل مهارتك ، واذا قبضوا عليها فلن تنجو من السجن مرة أخرى ... اننى وضعتها تحت حمايتى أيام السجن ، ولن أتخلى عنها بحال ...

وفى النهاية اذعن آل لارنستين ، واتفقا على الاستعانة بصاحبه رالف الذى أفرج عنه مؤخرا ...

وكانت الساعة السادسة والنصف عندما رجع العاملان الى اندريه في المطبخ يكسوهما العرق والاتربة ... ولما سألهما بلهفة ان كان الاصلاح تم ، اجاب آل : نعم ... وبعد خمس دقائق سيدور التكييف كما لو كان جديدا ..

ـ مدهش ... اذا تركتما الفاتورة على المائدة فان ...

فهز رالف راسه قائلا : لا تشغل بالك ... ستقوم الشركة بالمطالبة .

ـ بارك الله فيكما ! ...

وراقبهما اندريه وهما ينصرفان من الباب الخلفي حاملين كيس الادوات ... ولما غابا عن نظره دارا في الفضاء الى موضع صندوق المكثف الخارجي لوحدة التكييف حيث رفع رالف بطاريته بينما تولى آل اعادة توصيل الاسلاك التى كان قد فصلها منذ نحو ساعتين ، وسرعان مادبت الحياة فى جهاز التكييف كله ..

وقبيل انصرافهما كتب آل رقم التليفون المدون على الجهاز ، وفى الطريق اتصل تليفونيا بشركة الاسكيمو للتكييف وابلغ الانسان الآلى الذى رد عليه قائلا : هنا مسكن بيرى بوب بشارع تشارلز رقم ٤٢ ... ان جهاز التكييف عندنا عاد الى العمل بصورة مرضية .. لا تكلفوا خاطركم بارسال مندوب للاصلاح ... ليلتكم سعيدة !..

***

كانت سهرة « شلة » الجمعة للعب القمار فى منزل بيرى بوب مناسبة حافلة يتطلع اليها اللاعبون باشتياق ... كانوا دائما نفس المجموعة « المختارة بعناية : انطونى اورساتى ، وجو رومانو ، والقاضى هنرى لورانس ، وعمدة المدينة ، والسيناتور عضو البرلمان ومضيفهم بالطبع ... وكانت مبالغ اللعب ضخمة ، والطعام ممتازا والجمع كله يمثل اوج القوة والسلطان ...

ووقف بيرى بوب فى غرفة نومه يغير ملابسه ويترنم هانئا قرير العين ، مفكرا فى الامسية المرتقبة الموعودة ، خصوصا فى حظه الذى لازمه التوفيق فى العهد الاخير ، حتى لم يتمالك ان قال لنفسه : ان حياتى كلها فى الواقع كانت دائما مناط التوفيق والربح ...

فلو ان احدا فى نيو اورليانز احتاج الى خدمة قضائية ، لم

يكن أمامه سوى بيرى بوب المحامى ليقضيها له .. وكانت قوته نابعة من اتصالاته بعائلة أورساتى ... كان معروفا باسم « مدبر الامور » ، الذى يستطيع تسوية أى شيء ابتداء من مخالفة مرور ، الى تهمة الاتجار بالمخدرات ، الى جريمة هتك عرض أو قتل ... هكذا كانت الحياة أمامه رغدة ناعمة ...

وعندما حضر انطونى أورساتى أخيرا ، كان بصحبته ضيف ، وكان اول ما قاله : ان جو رومانو لن يشاركنا اللعب بعد الآن .. كلكم تعرفون مفتش البوليس نيوهاوس ...

وتصافح الضيوف جميعا ... وقال بيرى بوب : المشروبات على المائدة أيها السادة ... وسنتناول العشاء فيما بعد ... لماذا لا نبدأ جولة صغيرة فى اللعب ؟..

واتخذ الرجال مقاعدهم المعتادة حول المائدة الخضراء .. ولم يلبث أورساتى ان أشار الى مقعد جوورومانو الخالى وقال للمفتش نيوهاوس : ان هذا سيكون مجلسك ياميل من الآن فصاعدا ..

وبينما قام احد الرجال بفتح مجموعات جديدة من أوراق اللعب، بدأ بيرى بوب بتوزيع « فيشات البوكر » ... وشرح للمفتش نيوهاوس قائلا :

ـ الفيشات السوداء بخمسة دولارات ، والحمراء بعشرة دولارات ، والزرقاء بخمسين دولارا ، والبيضاء بمائة دولار ... وكل واحد يبدأ اللعب بشراء ما قيمته خمسمائة دولار من الفيشات ...

فقال له المفتش : هذا كلام طيب فى نظرى ...

واما انطونى اورساتى فقد بدا متعكر المزاج ، اذ قال : لنبدأ دون تأخير ...

كان صوته اقرب الى الهمس المختنق ، وهذه علامة سيئة ... وكان بيرى بوب يتوق بكل مشاعره الى معرفة ماذا حل بجو رومانو، بيد ان المحامى كان اعقل من ان يطرق هذه المسألة .. ان اورساتى يمكن ان يناقشها معه عندما يتهيأ لذلك ...

وفى الحق ان افكار أورساتى كانت سوداء وهى تدور هذا المدار : اننى كنت بمثابة الاب لجو رومانو ... لقد منحته ثقتى ، وحملته ساعدى الايمن وكبير أعوانى !.. فاذا ابن اللئام يطعننى فى

الظهر ... ولو أن تلك المرأة الفرنسية اللعوب لم تتصل بى تليفونيا لاستطاع الافلات من قبضتى بغنيمته !... لا بأس .. لن يستطيع الآن الافلات بأى شىء وهو سابح مع الاسماك فى الاعماق !..

— تونى ! .. هل انت معنا ، أو خارج اللعب ؟..

وبهذا النداء عاد انطونى اورساتى باهتمامه الى اللعب .. كانت مبالغ ضخمة تدور فوق هذه المائدة بين المكسب والخسارة ... وكان يزعج انطونى اورساتى دائما ان يخسر ، وان لم يكن ذلك بسبب المال .. فهو لا يطيق أن يكون فى الجانب الخاسر لاى شىء .. وماكان يرى فى نفسه الا الرابح الذى هيأته الطبيعة للربح ... فالرابحون هم فقط الذين يرتقون الى مكانته فى الحياة ... وقد حدث خلال الاسابيع الستة الاخيرة ان بيرى بوب ظل على الدوام هو الرابح على نحو جنونى ، فاعتزم انطونى اورساتى ان يكسر هذه الظاهرة الشاذة فى ليلته تلك ...

ولكن يالعجب العجاب ... لقد تنوعت أساليب اللعب هذه الليلة ، ولكن على الرغم من تنوعها فقد ظل انطونى اورساتى فى الجانب الخاسر ... ومن ثم اخذ يضاعف المبالغ التى يلعب بها ، مستميتا غاية الاستماتة ، محاولا تعويض خسائره ... وما أن تنصف الليل عندما توقف اللاعبون لتناول العشاء الفاخر الذى أعده اندريه الفرنسى ، حتى بلغت خسائر اورساتى خمسين الف دولار ، وبيرى بوب هو الرابح الاكبر ! ...

كان الطعام سائغا حقا ، وكان اورساتى عادة يستمتع بعشاء منتصف الليل هذا ، غير انه بدا هذه الليلة نافد الصبر متعجلا للعودة الى المائدة الخضراء ...

قال له بيرى بوب : انت لا تأكل ياتونى ...

— لست جائعا ...

ومد أورساتى يده الى اناء القهوة الفضى بجانبه وصب القهوة فى فنجان الخزف الثمين وانتقل وحده الى المائدة الخضراء وجعل يراقب رفاقه وهم يأكلون ، متمنيا أن يسرعوا ... كان يتعجل استرداد المبالغ التى خسرها ... وفيما هو يبدأ فى تقليب القهوة اذ سقطت قطعة صغيرة من الملاط فى الفنجان .. فعمد فى استيائه الى رفعها بملعقة ، وفحصها ... بدا انها قطعة ملاط فعلا ...

فرفع نظره الى السقف ، واذا شيء يصيبه في جبينه .. وفجأة احس بجلبة شيء يمرق فوق راسه .. فهتف :

ـ ما الذي يحدث فوق السقف بحق الشيطان ؟ ...

كان بيرى بوب منهمكا في سرد نكتة للمفتش نيوهاوس ، فقال : أنا آسف ... ماذا قلت يالونى ؟..

كانت جلبة الشيء المارق اشد وضوحا الآن ... وبدأت قطع الملاط الصغيرة تتساقط تباعا فوق المائدة الخضراء ... فقال السيناتور : يبدو لى أن عندك بعض الفئران !..

فرد بيرى بوب مهتاجا : لا يكون هذا فى بيتى !..

فزمجر اورساتى قائلا : يا للجحيم !.. هناك شيء عندك ! ...

وسقطت هذه المرة قطعة كبيرة من الملاط فوق المائدة الخضراء

فرفع انطونى أورساتى عينيه الى السقف مرة أخرى ولمح فيه فتحة صغيرة فوق راسه مباشرة ، واذا هو يقول : غريب !... هلموا بنا نلقى نظرة على ماهناك ! ..

ونهض أورساتى واتجه الى السلالم ، بينما نظر الآخرون بعضهم الى بعض ، ثم أسرعوا خلفه .. وعندما وصلوا الى باب غرفة السطح دفعه أورساتى واضاء بيرى بوب النور ... فلمحوا فارين يتسابقان بجنون حول الغرفة ، حتى لم يتمالك بيرى بوب أن هتف يا الهى ! .. فئران فى بيتى !..

أما انطونى اورساتى فلم يكن منصتا اليه .. كان يحدق فى الغرفة ... فوقع نظره فى وسطها على كرسى من القماش المنطوى وفوقه لفافة شطائر وعلبتى بيرة مفتوحتان ومنظار مكبر صغير الحجم ... فتقدم نحوها وتناولها واحدا واحدا واخذ يفحصها وما لبث أن ركع على الارض التربة وازال الاسطوانة الخشبية الصغيرة التى كانت تخفى الفتحة التى تم ثقبها فى سقف الغرفة التحتية ... ومن خلال هذه الفتحة بدت له مائدة القمار جلية واضحة ...

لقد وقف بيرى بوب فى وسط غرفة السطح منعقد اللسان مشدوها ... وما عتم ان هتف : من بحق الشيطان وضع هذه الاشياء هنا ؟.. ساحاسب أندريه عن هذا حسابا شديدا !..

ثم نهض اورساتى متباطئا ونفض التراب عن ملابسه ... ونظر

بيرى بوب الى الارض ، فلم يتمالكَ ان هتف : انظروا !.. انهم تركوا فتحة لعينة فى الارض ! ... ان عمال هـذه الايام غـاية فى الاهمال ! ...

وقرفص بيرى بوب والقى نظرة من خلال الفتحة ، واذا وجهه ممتقع فجأة .. ومالبث ان قام ونظر حواليه زائغ البصر ، فاذا الجميع يحملقون فيه .. فراح يقول :

ـ لعلكم لا تظنون اننى .. تكلموا يارفاق !.. انا لا اعرف شيئا عن هذا ! .. انا لا يمكن ان اغشكم فى اللعب ! .. ياالهى !.. اننا اصدقاء ! ..

وارتفعت يده الى فمه وبدأ يعض على ابهامه محتدما .. فما كان من اورسالى الا ان ربت على ذراعه قائلا بصوت لا يكاد يسمع :

ـ هون عليك ، ولا تشغل بالكَ ! ..

ولكن بيرى بوب لم يكف فى يأسه عن غرس اسنانه فى لحم ابهامه ...

الفصل الرابع عشر

قالت الزنجية ارنستين ضاحكة : هاهما اثنان قد سقطا ! ... الدائر على الالسنة فى الشارع ان صاحبك المحامى بيرى بوب لن يمارس المهنة بعد الآن ... فقد اصيب فى الحادث اصـابة قاتلة ! ...

كانت تريسى وارنستين تتناولان القهوة باللبن والبسـكويت فى مقهى صغير بشارع رويال ... وقد مضت ارنستين تقول : انت ذات ذكاء خارق وعقليـة جبارة يا بنيتى ! .. هلا انضـممت الى للاشتراك معا فى العمل ؟ ...

ـ اشكرك يا ارنستين ... عندى مشروعات اخرى ..

فقالت ارنستين بلهفة : على من الدور ؟..

ـ لورانس .. القاضى هنرى لورانس ...

لقد بدأ هنرى لورانس حياته العملية محاميا صغيرا فى بلدة ليزفيل ... ولم تكن له ميول الى القوانين ، ولـكنه كان يحظى بموهبتين بالغتى الاهمية : شكله المهيب ، ومرونته الاخلاقية ...

كانت فلسفته قائمة على اعتبار القانون كعود طرى يمكن ثنيه لكى يلائم حاجات الموكلين ... وبهذه النظرة التى استحوذت على عقله ، لم يكن مما يدهش انه بعد فترة قصيرة من انتقاله الى مدينة نيو أورليانز ، ازدهرت ممارسته للمحاماة مع طبقة خاصة من الموكلين ... وهكذا تطورت معاملاته القضائية من معالجة مخالفات المرور والجنح الصغيرة الى قضايا السرقات وجرائم القتل ، وامتد تأثيره بعد ذلك الى ذمم المحلفين انفسهم ، حتى اصبح خبيرا فى هذا المجال ، مستعينا فى هذا بالرشاوى وتسفيه شهادة الشهود بالباطل والتلفيق ... وهكذا كان هو الرجل الذى ينشده انطونى اورساتى ، اذ كان محتما أن تتلاقى طرقهما وتتوحد ... كان التلاقى بمثابة زواج فى عالم « المافيا » .. وغدا لورانس البوق الناطق باسم « عائلة أورساتى » ... وعندما حان الوقت الملائم ، عمل أورساتى على رفعة الى مرتبة القضاة ...

وفى الحديث بين ارنستين وتريسى قالت تلك : لا اعرف كيف يمكنك الايقاع بالقاضى لورانس .. هو غنى ، وقوى ، ومنيع الجانب ...

بيد أن تريسى كانت قد رسمت خطتها ، وان اضطرت بعد ذلك الى تعديلها بعد ان اتصلت بمكتب القاضى لورانس تليفونيا وعلمت من سكرتيرته بعد محاورة ومداورة أنه فى الخارج مع بعثة قضائية .

قالت تريسى للسكرتيرة وذهنها يعمل كخطف البرق : أنا اليزابيث داستين رئيسة رابطة المحامين الامريكية ، وقد قررنا اقامة حفلنا السنوى يوم ٢٠ الجارى لمنح الجوائز ، ووقع الاختيار على القاضى هنرى لورانس ليكون « رجل العام » ..

ـ هذا بديع ... ولكن يؤسفنى أن اقول أن فخامته لن يعود قبل هذا الموعد .

ـ بالسوء الحظ ... اننا كنا نتطلع الى سماع احد خطاباته المتميزة ... ان هذا الاختيار تم باجماع اللجنة الخاصة .. هل يمكن أن اعرف مقره الحالى للاتصال به ، وأنا كفيلة بالحصول على موافقته حتى لا تفوته هذه المناسبة الاعلامية الكبيرة ؟..

لقد اعتذرت السكرتيرة أول الامر عن الافضاء بمعلومات عن مكان وجود القاضى ، بيد أن تريسى مازالت بها حتى قبلت أخيرا ،

وقالت لها : يمكنكَ الاتصال به في موسكو ، بفندق روسيا .. انه سيبقى هناك مدة خمسة أيام ، وبعد ذلك ...

ـ بديع .. سأتصل به فورا .. شكرى لك عظيم !..

وأرسلت البرقيات الثلاث الى القاضي هنرى لورانس بعنــوانه فى فندق روسيا ، أولاها بالنص التالى :

١ ـ « عن المجلس القضائى الاجتماع اتفق عليه ورتب »
« أكدوا التاريخ المناسب كما أن الاماكن »
مثلما طلبتم » .

« بوريس »

٢ ـ وكانت البرقية التى ارسلت اليه فى اليوم التــالى بهذا النص :

« اخطرونا ماهى خطط السفر طائرة اختكم »
« وصلت متأخرة لكنها هبطت بأمان فقدت »
« الجوازات والنقود فقط واختكم »
« وضعت فى فندق أولى سويسرى سنعمل على »
« تسوية الحساب فيما بعد ـ بوريس »

٣ ـ وكانت البرقية الاخيرة كما يلى :

« بالاتصال بالسفارة الامريكية تحاول أختكم ما أمكن »
« الحصول على جواز لا معلومات للآن » .
« عن فيزا جديدة السويسريون ينظرون الى الروس »
« بالتقدير سنرسل اختكم بالباخرة فى هذه المرة قريبا »

« بوريس »

وجلست المخابرات الروسية تنتظر لترى ان كانت هناك برقيات اخرى ... ولما لم ترد برقيات جــديدة قبض على القــاضى لورانس ...

وقد دام استجوابه عشرة أيام بلياليها :

« لمن ارسلت المعلومات ؟ .. » ..
« اية معلومات ؟ .. انا لا اعرف ماذا تقصدون » ..
« تقصد الخطط .. من الذى أعطاك الخطط ؟ » ..
« اية خطط ؟ ..
« الخطط المتعلقة بالغواصة النووية السوفيتية » ...
« لابد انكم جننتم !.. ماذا أدرانى عن غواصات سوفيتية ؟ »

« هذا مانـوى ان نكتشفه .. مع من كانت اجتماعاتك السرية ؟»
« اية اجتماعات سرية ؟ . .ليست عندى أسرار » ...
« حسنا .. اذن يمكنك أن تخبرنا من هو بوريس » ...
« بوريس ؟.. اى بوريس هذا ؟.. » .
« الرجل الذى أودع نقودا فى حسابك بسويسرا » ..
« اى حساب بسويسرا ؟ » ...
هكذا احتدم مستجوبوه غضبا ، وقالوا له : انت عنيد احمق .. اننا سنجعل منك امثولة ومن كافة الجواسيس الامريكيين الذين يحاولون هدم وطننا العظيم ...
وعندما سمح للسفير الامريكي بزيارته ، كان القاضي هنرى لورانس قد فقد خمسة عشر رطلا من وزنه ، ولم يستطع أن يتذكر آخر مرة سمح له فيها آسروه بالنوم ، وغدا حطام رجل راعش مهدم ... واصبح يقول بصوت كنقيق ضفدع : لماذا يفعلون بى هذا ؟ ... انا مواطن امريكى ! ... انا قاض ! . اخرجونى من هنا بالله ! ..
فرد عليه السفير مؤكدا : انني ابذل كل مافي وسعى ...
والحق ان السفير قد ريع لمظهر لورانس .. انه رحب بالقاضي لورانس وزملائه من أعضاء البعثة القضائية عند حضورهم منذ اسبوعين ... ان الرجل الذى قابله السفير آنذاك بدا الآن ابعد شبها بالمخلوق المروع الهلوع الذى كان الآن يتذلل امامه .
ولقد طرق السفير باب الوزير المختص واعرب له عن احتجاجه الرسمى قائلا : ان هذه المعاملة للقاضى هنرى لورانس لا عذر لها ... وان اعتبار رجل فى مثل مكانته جاسوسا هو !..
فرد عليه الوزير بفتور قائلا : اذا كنت انتهيت من كلامك ، فتفضل والق نظرة على هذه الاوراق ..
وقدم صور البرقيات الى السفير .. فقراها ، ثم تطلع متحيرا وقال : ماهو العيب فيها ؟ ... انها بريئة تماما !..
ـ احقا ؟ .. ربما كان الأفضل أن تقراها مرة ثانية ، بعد فك شفرتها ...
وقدم للسفير صورة اخرى للبرقيات ، وبها كل رابع كلمة بين قوسين :
١ ـ « عن المجلس القضائى « الاجتماع » اتفق عليه »

« و « رتب » اكدوا التاريخ المناسب « كما » »
« ان الاماكن مثلما « طلبتم » »

« بوريس »

٢ ـ « اخطرونا ماهى « خطط » السفر طائرة اختكم « وصلت » متأخرة لكنها » .
« هبطت « بأمان » فقدت الجوازات و « النقود » فقط واختكم وضعت » .
« فى فندق أولى « سويسرى » سنعمل على تسوية «الحساب» فيما »
« بعد ـ بوريس » .
٣ ـ « بالاتصال بالسفارة الامريكية « تحاول » اختكم ما أمكن الحصول »
« على جواز لا « معلومات » للآن عن فيزا « جديدة » . »
« السويسريون ينظرون الى « الروس » بالتقدير سنرسل »
« اختكم « بالباخرة » فى هذه المرة « قريبا » . » .

« بوريس »

وهكذا ارتج على السفير ولم يحر قولا ...
وقد منعت الصحافة والجمهور من حضور المحاكمة ... والتزم السجين العناد حتى النهاية ، مستمرا فى انكاره انه جاء الى الاتحاد السوفييتى فى مهمة تجسس ... وقد وعده ممثل الاتهام بتخفيف الحكم اذا هو كشف عمن هم رؤساؤه ، وكان القاضى لورانس على استعداد لبذل روحه لو كان فى قدرته أن يفعل هذا ، ولكن ماكان له الى ذلك من سبيل وا أسفاه .
وغداة يوم المحاكمة نشرت الصحف نبأ موجزا عن ادانة الجاسوس الامريكى القاضى هنرى لورانس بتهمة التجسس والحكم عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة فى سيبيريا لمدة اربعة عشر عاما ..

***

هذا ، ولم تعد الامور تسير سيرها الحسن بالنسبة لانطونى اورساتى ... واصبح « الزعيم » عاجزا عن التكهن بالاسباب ـ فلاول مرة فى حياته صار النحس حليفه ... وكانت البداية هى خيانه جو رومانو له ، وتلاه بيرى بوب ، والان هاهو ذا القاضى

لورانس قد ذهب ، متورطا فى عملية تجسس جنونية ... كان ثلاثتهم جزءا متماسكا اساسيا فى جهاز اورساتى ... كانوا اشخاصا يعتمد عليهم ! ..

لقد كان جوروماتو هو العمود الفقرى فى تنظيم « العائلة » ، ولم يجد أورساتى احدا يحتل مكانه ، واصبحت الاعمال تدار فى تخبط واضطراب ، وغدت الشكاوى تتوارد من اناس لم يكونوا يجسرون قط على الشكوى من قبل ... وأصبح متواترا على الالسنة أن تونى أورساتى بدأ يهرم ، وانه لا يستطيع توجيه رجاله ، وأن تنظيمه بدأ يتصدع ويتفكك ...

ثم كانت القشة التى قصمت ظهر البعير هى تلك المكالمة التليفونية التى تلقاها من مدينة نيوجرسى تقول : « سمعنا انك تعانى بعض المتاعب ياتونى فى موقعك ، ونحب أن نساعدك للتغلب عليها » ...

فرد أورساتى محتدما : ليس عندى اية متاعب ... نعم اننى صادفت بعض المشاكل اخيرا ، ولكننى سويتها كلها !..

ـ هذا لم نسمع به ياتونى ... الشائع أن مدينتك بدأت تخرج عليك بعض الشىء ، وليس هناك من يسيطر عليها ..

ـ انما انا المسيطر فعلا !..

ـ ربما كان الامر فوق طاقتك .. ويجوز انك تجهد نفسك فى العمل ...

وقد تكون فى حاجة الى شىء من الراحة ...

ـ هذه مدينتى ! .. ولن ينتزعها احد منى !..

ـ مهلا ياتونى !.. من قال شيئا عن انتزاعها منك ؟.. كل ما هناك اننا نريد مساعدتك ... ان « العائلات » فى المنطقة الشرقية قد اجتمعت وقررت ارسال بعض الرجال اليك لمدك بشىء من المساعدة ... وليس فى هذا اى خطأ فيما بين الاصحاب القدماء ، اليس كذلك ؟ ..

لقد شعر انطونى أورساتى بقشعريرة باردة تسرى فى كيانه .. فقد ايقن أن هذا الكلام الناعم المعسول هو النذير بنهايته ...

***

أعدت ارنستين طعام العشاء ، ولم يبق الا حضور آل لكى ينضم اليها والى تريسى .. وما أن حضر فى النهاية حتى انفجرت فيه

ارنستين صارخة : اين كنت بحق جهنم ؟.. إن العشاء بدأ يحترق فوق النار ، مثلى انا ! ...

بيد ان آل بدا في روح معنوية عالية ، اذ قال : انني كنت انقب من الاخبار يا امرأة ، فاسمعيماعندى ...

ثم التفت الى تريسي واردف : لقد دارت الدائرة على انطـوني اورساتي ... فان « العائلة » فى نيوجرسى فى طريقها الى هنـا لخلعه واخذ مكانه ! ... لقد سقط ابن اللئام اخيرا مـن فوق عرشه ! ...

غير أن ابتسامته العريضة ما لبثت أن تلاشت عندما نظـر في عيني تريسي ، وقال لها : الست سعيدة ياتريسي ؟..

يالها من دنيا غريبة ! .. سعيدة ؟! .. لقد نسيت معنى هـذه الكلمة ... وتساءلت فى خاطرها أيمكن أن تكون حقا سـعيدة من جديد ، وأن تخامرها بعد أية مشـاعر طبيعية ؟ ... لقـد لبثت زمنا مديدا وهى لا تفكر الا فى الانتقام والاقتصاص ممن فعلوا بأمها وبها مافعلوا من مظالم ... والان وقد تم أو أوشك ما كانت تريد ، فاذا الذى فى كيانها خواء اي خواء !..

ومهما يكن فقد عرجت تريسى فى صباح اليوم التالى على محل زهور وقالت للبائعة : اريد ارسال زهور الى انطونى أورساتى .. اكليل جنائزى أبيض فوق حامل وحوله شريط عريض تكتب عليـه هذه الكلمات : « ارقد فى سلام » ...

وطلبت بطاقة كتبت عليها : « من ابنة دوريس هويتنى » ...

القسم الثالث

الفصل الخامس عشر

فيلادلفيا ـ الخميس ٧ اكتوبر ـ الساعة ٤ مساء .

لقد حان الوقت لتصفية الحساب مع تشارلز ستانهوب .. كان الآخرون غرباء عنها ... اما تشارلز فكان حبيبها ووالد طفلها الذى لم ير النور ، وهو قد أدار ظهره لهما معا ...

وكانت أرنستين وآل فى توديعها فى مطار نيواورليانز ، وسالها آل : ماذا ستفعلين فى فيلادلفيا ؟..

فأجابت وهى تخفى عنهما نصف الحقيقة : ساعود الى عملى انسابق فى البنك ...

تبادلت ارنستين وآل النظر ، وقالت الاولى : هل ... يعرفون انك قادمة ؟ ..

ـ لا .. لكن نائب المدير يودني ... ولن تكون هناك مشكلة ... من الصعب ايجاد خبيرة فى أعمال الكمبيوتر مثلى ..

ـ حسنا ... حظا سعيدا ... اتصلى بنا ، وابتعدى عن المشاكل ...

وبعد نصف ساعة كانت في الفضاء ، متجهة الى فيلادلفيا .

شد ما كانت تريسى مسرفة فى حسن الظن بالناس والايام ... فعندما قصدت فى اليوم التالى الى البنك ، قابلها المدير ديزموند بالامتعاض ، مبديا لها استحالة عودتها الى البنك ، نظرا لقضائها فترة فى السجن بتهمة السطو المسلح ومحاولة القتل ، مما هو مناقض للتقاليد الخاقية المعمول بها فى البنك ..

كانت صدمة مريعة لها ، وعادت الى غرفتها بالفندق حيث امضت نهارها كله وهى حليفة التعاسة والحنق معا .. وشيئا فشيئا ثابت الى الهدوء ، ورات ان امامها مهمة اخرى فى المدينة ، وما أن تتمها حتى ترتحل الى مكان آخر ، فى نيويورك ، حيث تكون مجهولة لا يعرفها أحد ، ولا يتعرف على ماضيها ..

فلما كان المساء قصدت الى مطعم رويال لتناول العشاء ، اذ كانت فى أمس الحاجة الى مايبعث السكينة في نفسها فى جو الاضواء الخافتة والموسيقى الشجية والبيئة المختارة ... وبدات جلستها بطلب شراب ، وما أن تطلعت حولها حتى خفق قلبها فجأة ففى مقصورة صغيرة عبر المكان وقع نظرها على تشارلز وزوجته .. انهما لم يبصراها بعد ... وكان أول ما خطر لها هو أن تقوم وتنسحب ، اذ لم تكن فى الحق متأهبة لمواجهة تشارلز ، الى أن تعد خطتها الكاملة ... بيد انها لم تلبث أن قررت البقاء لاتمام العشاء ...

وعادت تنظر الى ناحية تشارلز من جديد ... ومن عجب أن ظاهرة جديدة مدهشة قد حدثت ، اذ بدا لها وكأنها تنظر الى شخص غريب عنها ... ابصرت رجلا ناحلا شاحبا ، تقدمت به السنون ، أدنى الى الصلع ، مقوس المنكبين ، تشيع فى وجهه

امارات ملل مطبق ... كان من المستحيل ان تصدق انها احبت يوما هذا الرجل ، واسلمت له نفسها ، ورسمت أن تمضي بقية عمرها معه ! ... ثم نظرت الى زوجته ... كان طابع الملل هو السمة الغالبة عليها مثله ... كانت طوالعهما تنبىء عن اثنين احتبسا في قفص مدى الحياة ، وتجمدا في مسيرة الزمن ... وكان بوسعها أن تتخيل العيش الرتيب الممض على مدار أعوامهما القادمة .. كانا ببساطة جالسين متجاورين لا ينبس أحدهما بكلمة واحدة ، لا حب بينهما ولا بهجة ...

هذا اذن عقاب تشارلز كما قدرت تريسي ، واذا هي تشعر بفيض دافق من الراحة والتحرر من تلك الاغلال العاطفية الثقال التي كانت ترزح تحت نيرها ...

لقد انتهى كل ماكان بينهما ... ودفن الماضي نهائيا ..

***

كانت تريسي قد تلقت المبلغ المقرر من ادارة السجن لدى الافراج عنها وهو ثلثمائة دولار ، بالاضافة الى المبلغ الذى استحقته عن رعايتها للطفلة ايمي ... بيد ان هذا وذاك لن يدفعا عنها شر الحاجة ، وكان لابد لها من البحث عن عمل ...

وكان اول مافعلته عند وصولها الى نيويورك والنزول في فندق صغير هو البحث في اعلانات الوظائف الخالية بالصحف ، ولما قرات عن طلب سكرتيرة في شركة تصدير بادرت بالذهاب الى الشركة ، فما أن دخلت على المدير المختص حتى فاجاها قائلا : انني رايتك في التليفزيون ... انك انقذت طفلة في السجن ، اليس كذلك ؟..

فلم ترد ، وانثنت هاربة ...

وفي اليوم التالي وفقت الى وظيفة بائعة في متجر لمستلزمات الاطفال ، وكان المرتب اقل كثيرا مما اعتادته ، لكنه كان على الاقل كافيا لاعالتها ...

وبعد يومين اثنين تعرفت عليها زبونة هستيرية وابلغت المدير انها ترفض أن تأخذ احتياجاتها من قاتلة أغرقت طفلة صغيرة ! . وهكذا فصلت توا ...

لقد خيل الى تريسي أن الرجال الذين اوقعت انتقامها بهم كانت لهم الكلمة العليا في النهاية ... فقد أحالوها الى مجرمة ، ومنبوذة وكان الظلم الذى يلاحقها الآن ساحقا ... ولم تعد تدري كيف

يتأتى لها ان تعيش ، ولاول مرة فى حياتها استحوذ عليها يأس مطبق ... وفى تلك اللحظة نظرت فى كيس نقودها لتعرف كم بقى لها من نقودها المحدودة ، فعثرت يدها على قصاصة ورق كانت بيتى فرانشيسكوس قد اعطتها لها فى السجن بعنوان كونراد مورجان الجواهرجي ومحله رقم ٦٤٠ فى « فيفث افنيو » بنيويورك ، وقالت لها أنه يعمل لمساعدة المسجونين السابقين .. فلم تتردد فى الذهاب اليه ..

وتبين لها ان محل كونراد مورجان هو فى الواقع متجر فخم ، يقوم على بابه حاجب فى كسوة خاصة ، وبداخله حارس مسلح وكانت المجوهرات المعروضة من النفائس ... وعندما ذكرت تريسى لعاملة الاستقبال انها تريد مقابلة مستر كونراد مورجان سألها : هل هناك موعد ؟ ...

ـ لا ... ان صديقا مشتركا أوصانى بمقابلته ..

ـ اسمك ؟ ..

ـ تريسى هويتنى ..

فرفعت العاملة سماعة التليفون وغمغمت كلاما لم تستطع تريسى ان تسمعه ، ومالبثت أن وضعت السماعة قائلة : مستر مورجان مشغول الان ... وهو يستفهم ان كان بامكانك الحضور فى الساعة السادسة ؟ ...

ـ نعم ... شكرا .

وخرجت من المحل ووقفت على الرصيف مترددة .. ان الحضور الى نيويورك كان غلطة ولاشك ... واغلب الظن ان كونراد لن يستطيع ان يفعل لها شيئا ، وما الذى يضطره الى هذا وهى غريبة عنه تماما ؟ ... كل مافى وسعه هو ان يعطيها محاضرة ليست فى حاجة اليها ، لا منه ولا من اى أحد آخر .. كلا ! .. لابد لها من الاعتماد على جهدها وحده مهماتكن المصاعب .. فليذهب كونراد الى الجحيم ! ... وهكذا قررت الا تعود اليه ...

وراحت تتمشى فى الشوارع الفخمة بلا هدف معين ، مارة بالمتاجر الانيقة والمبانى الشامخة دون ان تبصر شيئا وقد تملكها احباط مرير ...

فلما كانت الساعة السادسة الفت نفسها قد عادت ادراجها الى محل الجواهرجي كونراد مورجان ، فرأت حارس الباب قد

ذهب ، والمحل مغلقا ... فجعلت تطرق الباب فى شيء من التحدى ثم تحولت عنه ، ولكن لدهشتها فتح الباب فجأة ...

ألفت نفسها أمام رجل قصير أصلع تحف بأذنيه خصلات شعر أشيب مجعد ، ولكنه كان مورد الوجه بادى البشاشة ازرق العينين لامعهما ... وقد بادرها قائلا :

ـ لابد انكِ مس هويتنى ؟.

ـ نعم ...

ـ انا كونراد مورجان ... تفضلى بالدخولَ ..

دلفت تريسى الى المحل المهجور ، فى حين قال لها مورجان : انني كنت فى انتظارك ... هيا ندخل مكتبى حيث يمكننا أن نتكلم ...

وتقدمها الى باب موصد فتحه بمفتاح ... كان مكتبه انيق الاثاث ، وبدا أقرب الى سكن منه الى محل عمل ، بلا مكتب ، وانما ارائكَ ومقاعد ومناضد منسقة بفن ... وكانت الحوائط مزدانة بلوحات كبار الرسامين ...

وعرض عليها الشراب ، فاعتذرت ... والواقع أنها شعرت فجأة باضطراب عصبى ، ولكنها قالت له : أن بيتى فرانشسكوس اشارت على بأن أقصدك يامستر مورجان ... قالت انك تساعد من كانوا فى ... مشاكلَ ! ..

ولم يطاوعها لسانها على القولَ « .. فى السجن » . أما كونراد مورجان فقد شبك يديه ، ولاحظت تريسى أنهما مجملتان « بالمانيكير » ... وقال لها :

مسكينة بيتى ... سيدة محبوبة ... لكنها كانت سيئة الحظ ..

ـ سيئة الحظ ؟ ..

ـ نعم .. لكنهم ضبطوها ..

ـ لست .. لست افهم ! ...

ـ المسألة فى غاية البساطة يامس هويتنى ... ان بيتى اعتادت العمل لحسابى .. وكانت مكفولة العيش .. ثم وقعت المسكينة فى حب سائق سيارة خاصة فى نيواورليانز ، واستقلت بالعمل لنفسها والنتيجة انهم ضبطوها ...

شعرت تريسي بالارتباك والحيرة حتى قالت : هل كانت تعمل لحسابك هنا كبائعة ؟ ...

مال كونراد مورجان في مقعده الى الخلف وضحك حتى امتلأت عيناه بالدموع ، ثم قال لها وهو يمسح دموعه : كلا يا عزيزتي ... من الواضح أن بيتي لم تشرح لك كل شيء ... ان لي عملا اضافيا صغيرا يامس هويتني ، وأنا أسعد كثيرا باقتسام الارباح مع زملائي وكنت على الدوام موفقا في استخدام اشخاص مثلك ، ممن امضوا فترة في السجن ، ومعذرة لهذا التعبير ..

راحت تريسي تتفرس في وجهه وهي في عجب وحيرة متزايدين ؛ بينما استطرد يقول : انني في مركز فريد كما سترين ... فزبائني من الاثرياء المفرطي الثراء ... ومعاملاتي معهم تجعلهم اصدقاء لي ... وهم يثقون بي ويفضون الي بأسرارهم ... وانا اعرف متى يقوم زبائني بالرحلات والاسفار ... وقليل من الناس من يسافرون ومعهم مجوهراتهم في هذه الاوقات الحرجة ، وهكذا تبقى مجوهراتهم تحت القفل في بيوتهم ... وانا اشير عليهم بتدابير الامن التي يجب اتخاذها لوقاية المجوهرات ... كما اعرف بالضبط ماهي المجوهرات التي يمتلكونها لانهم اشتروها مني ... انهم ..

الفت تريسي نفسها واقفة على قدميها ، قائلا : اشكر لك ما اضعت من وقت يامستر مورجان ...

ـ مؤكد أنك لن تنصرفي الآن ؟ ..

ـ اذا كنت ستقول لي ما أظن أنك ستقوله ...

ـ نعم ، هذا ما انويه فعلا ...

شعرت بوجنتيها تلتهبان ، وقالت : أنا لست مجرمة ! .. انني جئت الى هنا للبحث عن عمل ...

ـ وانا أعرض عليك عملا يا عزيزتي ... انه سيأخذ من وقتك ساعة أو ساعتين ، ويمكنني أن أعدك بمبلغ خمسة وعشرين الف دولار ... خالية من الضرائب طبعا !

جاهدت تريسي بكل قوة للتحكم في غضبها ، وقالت : لا يهمني هذا ... هلا تركتني اخرج ؟ ..

ـ بالتأكيد ، اذا كانت هذه رغبتك ..

ونهض قائما واوصلها الى الباب ، ثم قال : لابد أن تفهمي يامس هويتني انه لو كان ثمة أدنى احتمال لخطر التعرض للضبط ،

لا عرضت نفسي لهذا العمل ... فانا حريص على حماية سمعتي ..
فقالت تريسي ببرود : اعدك الا أقول شيئا عن هذا ...
فابتسم قائلا : في الحقيقـــة ، لا يوجد مايمكن أن تقـــوليه يا عزيزتي ... اعني من ذا الذي يصدقك ؟ . انا كونراد مورجان ..
وعندما وصلا الى مدخل المحل قال مورجان : ارجو ان تخطريني اذا غيرت رأيك ... وافضل وقت يمكن أن تتصلي بي فيـــه هو بعد الساعة السادسة مساء ... سأنتظر زيارتك ..
فقالت باقتضاب : لا تنتظر ! ..
وخرجت والليل يرخي سدوله ... وعندما وصلت الى غرفتهـــا كانت ماتزال ترتجف ..
ثم طلبت من خادم الفندق الوحيد أن يجيئهـــا من الخـــارج « بسندويتش » وقهوة ، اذ كانت لا تريد مواجهة اي انسان .. فان لقاها بمورجان جعلها تشعر انها ليست نقية طاهرة .. فقد لطخها بكل ماقاله عن الاجرام والمجرمين الذين كانوا يحيطون بها في سجن النساء بولاية لويزيانا .. لكنها ليست واحدة منهم ! ... انمـــا هي تريسي هويتني ، خبيرة الكمبيوتر ، والمواطنة الصالحة المطيعة للقانون ... التي لايمكن أن يستأجرها أحد في عمل اجرامي ! ..
وظلت تريسي يقظى طول ليلها ، تفكر في مستقبلها ... كـــانت بلا عمل ، وما بقي لها من نقود قليل ... ثم انتهت آخر الامر الى قرارين : أن تنتقل الى فندق أرخص ، وأن تبحث عن عمل .. اي عمل ...
وبعد أن استاجرت غرفة رخيصة في الدور الرابع بمنزل قديم في حي شعبي غير مبرأ السمعة ، قصدت الى وكالة للأشغال قرب الحي تديرها من تدعى مسز مورفي البدينة البادية الطيبة ، وبعـــد ان استمعت الى قصتها هزت راسها قائلة : انسي انك تبحثين عن عمل لاخصائية كمبيوتر ... فان الشركات هـــذه الايام عنـــدها حساسية بسبب جرائم الكمبيوتر ، ولا تقبل استخدام شخص له سوابق ..
ـ لكنني في حاجة الى عمل ...
فكرت المراة قليلا ، ثم قالت لها : اسمعي ... انا اعرف أن هذا العمل هو دون مستواك ، لكن هناك وظيفة خالية « الجرسونة » في مطعم جاكسون هول في الحي الشرقي ...

ـ « جرسونة » ؟ ..
ـ نعم ... لن آخذ منك « عمولة » ، لكنني سمعت مصادفة عن هذا العمل ...
جلست تريسي تشاور نفسها ... انها قامت بهذا العمل فى الكلية وكان لونا من الطرافة ... لكنها الآن مسألة العيش ، للبقاء على قيد الحياة ! ...
هكذا قالت : ساجرب العمل ...
وكان مطعم جاكسون مكتظا بالرواد من مختلف رجال الاعمال ، وامضت تريسى يومها الاول فى عمل بقصم الظهر ، لـكنها نالت اجرا ... اما فى اليوم الثاني فبينما كانت تقوم على خدمة احـد الطاعمين اذ امتدت يده الى خصرها ، فما كان منها الا ان سكبت الحساء على رأسه ، وكان هذا نهاية عملها الجديد ...
ولما عادت الى مسز مورفي وأخبرتها بما حدث قالت لها : عندى لك خبر سار ... ان فندق ولنجتون فى حاجة الى مسـاعدة للمشرفة ... وسارسلك الى هناك ...
كان فندقا صغيرا فى « بارك افنيو » تؤمه طبقة الاغنيـاء والمشاهير ... وبعد اجتماعها بالمشرفة اسند اليها العمل ، الذى لم يكن ثقيلا ، مع زملاء معقولين وساعات عمل محدودة ..
ولكن بعد أسبوع من عملها الجديد هذا استدعاها المدير وسألها عما اذا كانت قد أشرفت هذا اليوم على ترتيب جناح جنيفر مارلو ممثلة هوليوود المشهورة اثناء عملها اليومى .. ولما ردت بالايجاب اخبرها ان الممثلة الكبيرة شكت من ضياع خاتم ماسى ثمين تركته فى غرفة النوم ... وعندما اكدت تريسى وهى تضغط على أعصابها أنها لم تعثر على شىء من هذا القبيل اذ ربما يكون الفاعل احدى الخادمات أو تكون الممثلة نفسها نسيت موضع الخاتم ، رد المدير قائلا : مع وجود سابقتك فى السجن ، لابد من استدعاء البوليس للتحقيق على اى حال ...
واقتيدت الى غرفة رجال الامن فى انتظار حضور الشرطة وقد شعرت كأنما تعاد الى السجن مرة اخرى ... لقد سـمعت عن سجناء سابقين تلاحقت مطاردتهم لا لشىء الا انهم كانوا من ذوى السوابق ، بيد انه لم يخطر ببالها قط ان شيئا من هذا يمكن ان يحدث لها ... لقد الصقوا بطاقة حمراء عليها ، وعليها ان تحتمل

هذا الوضع لكي تعيش ... أو تلقى حتفها دونه ! .. هكذا جرت خواطرها بمرارة ..

وبعد نصف ساعة دخل عليها المدير مبتسما وقال لها : لا بأس . ان مس مارلو وجدت الخاتم .. قالت انها وضعته في مكان ونسيته مجرد غلطة في الحقيقة ! ..

فقالت تريسى : رائع ! ...

وخرجت تريسى من الفندق واتجهت مباشرة الى محل كونراد مورجان الجواهرجى ...

***

قال لها مورجان : المسألة في غاية البساطة .. ان واحدة من عملائي ، لويز بيلامى ، قد سافرت الى اوربا ، وبيتها كائن فى ضاحية « سي كليف » في لونج ايلاند ... وخدمها يكونون فى اجازة أيام العطلات ، وهكذا يخلو البيت تماما وقتها ... وهناك دورية خصوصية تتفقد المكان كل أربع ساعات ... وبوسعك أن تدخلى الى البيت وتخرجى منه فى دقائق قليلة ...

دار هذا الكلام فى مكتب كونراد ، وقد استطرد يقول : اننى اعرف نظام الانذار ، وعندى سر « تركيبة » قفل الخزانة .. وكل ما عليك أن تفعليه ياعزيزتى هو أن تدخلى ، وتلتقطى المجوهرات ، ثم تخرجى ... وستحضرين المجوهرات الى ، فأخرجها من الحلى المركبة فيها ، وأقتطع منها لتشكيل حجارة أصغر ، ثم اتولى بيعها ..

فدمغته تريسى في وجهه : اذا كانت العملية بهذه البساطة ، فلَم لا تقوم بها بنفسك ؟..

فلمعت عيناه الزرقاوان ، ورد قائلا : اننى سأكون خارج المدينة فى بعض الاعمال ! .. ففى كل مرة تحدث فيها مثل هذه العمليات الصغيرة ، اكون دائما خارج المدينة فى عمل لى !..

ــ مفهوم ...

ــ اذا كنت تتحرجين من ان يسيء هذا الى مسز بيلامى ، فلا لزوم لذلك ... انها فى الواقع امرأة شنيعة ، وهى تمتلك بيوتا كثيرة فى كافة أنحاء الدنيا مليئة بالنفائس ... وفضلا عن هذا فقد قامت بالتامين على مجوهراتها بضعف قيمتها ... وطبعا انا الذى توليت تقييمها وتثمينها ...

جلست تريسى تنظر الى كونراد مورجان ، ولم تتمالك أن ناجت نفسها : لابد أننى جننت ، اذ أجلس هنا أتناقش بهدوء فى سرقة مجوهرات مع هذا الرجل !... ثم قالت له : لا أريد أن أعود الى السجن يامستر مورجان ...

ـ لا خطر من هذا ... لم يحدث أبدا أن ضبط أحد من أعوانى فى قيامهم بالعمليات التى أسندها اليهم ... لا بأس ... ما قولك ؟ .

كان واضحا انها ستقول له لا . فان الفكرة كلها جنونية .. ولكنها قالت له : قلت اننى سأنال خمسة وعشرين الف دولار ؟..

ـ نقدا عند التسليم ..

كانت ثروة تكفيها لاعالة نفسها الى أن يتهيأ لها تدبير حياتها ومستقبلها ... فكرت آنذاك فى غرفتها الرخيصة التى تسمع من خلالها صراخ الجيران من السكارى والبغايا ، وفى شكوى زبونة محل الملبوسات من أنها ترفض أن تأخذ حاجاتها من قاتلة ، وفى قول مدير الفندق الذى عملت به يوما واحدا : مع وجود سابقتك لابد لنا من استدعاء البوليس للتحقيق !..

بيد أن تريسى مازالت لا تستطيع أن تروض نفسها على الموافقة ..

ذلك وقد مضى مورجان يقول : اننى اقترح ان تتم العملية السبت القادم ليلا .. ان خدم البيت يبرحونه أيام السبت ظهرا .. وسأجهز لك رخصة قيادة وبطاقة شخصية باسم مستعار ... وستقومين باستئجار سيارة هنا فى « منهاتان » وتتجهين بها الى « لونجايلاند» فتصلين فى الساعة الحادية عشرة مساء ... وبعد أن تأخذى المجوهرات تعودين الى نيويورك وتعيدين السيارة ... تعرفين القيادة طبعا ؟ ..

ـ نعم ...

ـ بديع .. هناك قطار يتجه الى سانت لويس فى الساعة السابعة والخامسة والاربعين صباحا .. وسأحجز فيه مقصورة لك ، ثم أقابلك فى محطة ماندلويس ، فتعطيننى المجوهرات ، وأعطيك مبلغ الخمسة وعشرين الف دولار ...

كانت هذه هى اللحظة الفاصلة لكى تقول لا ، لكى تقوم وتخرج لكن تخرج الى أين ، كما ناجت نفسها ؟..

قالت له بتؤدة : سأحتاج الى « باروكة » شقراء ..

وعندما انصرفت تريسى جلس كونراد مورجان في الظلام فى مكتبه يفكر فى امرها .. هى امراة جميلة ... جميلة جدا حقا .. ومن العار أن يسند اليها هذا العمل ... وربما كان يجدر به أن يحذرها بقوله انه ليس فى الواقع على تمام الدراية بجهاز الانذار ضد السرقة ذاك المعمول به فى البيت الخلوى !..

الفصل السادس عشر

استعانت تريسى بالالف دولار التى اعطاها اليها كونراد مورجان سلفا لشراء « باروكتين » احداهما شقراء والثانية سوداء ، تتدلى منهما ضفائر غزيرة ... اشترت بذلة كحلية اللون وفوقها «اوفراول» أسود وحقيبة للادوات ... والى هنا كان كل شيء يسير على مايرام فقد تلقت من مورجان مظروفا به رخصة قيادة باسم الين برانش ، ورقم تخطيطى لنظام الامن فى بيت لويزبيلامى ، وسر « تركيبة » قفل الخزانة فى غرفة النوم ، وتذكرة سفر بالقطار الى محطة سانت لويس فى مقصورة خاصة ...

وهكذا حزمت تريسى حقيبتها واستأجرت سيارة واتجهت الى لونج ايلاند ، فى طريقها لارتكاب عملية سـطو ... والواقع أن ما أخذت تفعله بدا وكأنه من الاحلام ، حتى كانت مرتاعة .. ماذا لو ضبطوها ؟ . هل هذه المجازفة تستحق ما سوف تقوم به ؟..

كانت تحاول بمثل هذه الخواطر ان تثير السخط فى نفسها والتمرد على ارتكاب الجريمة ... بيد أنها لم تفلح ... وما ان وصلت الى ضاحية « سى كليف » حتى بلغت من الاضطراب العصبى أشده .. ومرتين انحرفت بالسيارة عن الطريق ، مؤملة أن يستوقفها البوليس للقيادة باستهتار ، لكن لم تبدلها سـيارة بوليس واحـدة فى الطريق ، فهم هكذا لا يوجدون عندما يحتاج الانسان اليهم ، كما قالت لنفسها ..

ولاح لها البيت أخيرا ، مطلا على البحر ، عتيقا كقصر على الطراز الفكتورى ، باديا كقصر جنى مسحور فى كابوس ، مهجورا لاحس فيه ولا حركة .. مهما يكن فقد أوقفت السيارة فى موضع خلف أشجار صفصاف ماردة ، حيث كانت محجوبة عن العيان ، وأوقفت

محركها ... لم يكن ثمة صوت يعكر السكون الشامل ، وكان البيت بمعزل عن الطريق العمومى ، ولم تكن ثمة حركة مرور فى هذا الوقت من الليل ...

لقد استعادت في ذاكرتها ما قاله مورجان لها : البيت ياعزيزتى محجوب بين الاشجار ، واقرب جار له يبعد مدى عدة فدادين ، وهكذا لا تشغلى بالك بأن يراك احد ... ثم ان دورية الامن تقوم بطوافها في الساعة العاشرة مساء ثم فى الساعة الثانية صباحا ، وهكذا ستكونين بعيدا عند حلول دورية الثانية صباحا ...

نظرت تريسى الى ساعتها ... كانت الحادية عشرة ... فقد انتهى طواف دورية العاشرة . وامامها الآن ثلاث ساعات قبل موعد الدورية الثانية .. او مجرد ثوان معدودة لكى تدير السيارة ولتعود أدراجها الى نيويورك وتنسى هذا العمل الجنونى !.. لكن لتعود الى ماذا ؟ . الى الذين عيروها بسابقتها فى السجن وقطعوا عليها السبيل الى عمل شريف تقتات منه ؟..

ومضت تناجي نفسها : ما هذا الذى افعله ؟.. انا لست لصة !.. لست لصة حقيقية محترفة ، بل مجرد هاوية متخبطة توشك أن تصاب بانهيار عصبى ! لو كان لى نصف عقل لابتعدت من هنا ومازال فى الوقت متسع ، قبل أن يداهمنى رجال الشرطة ويطلقون على النار ويحملون جثتى المثخنة بالرصاص الى المشرحة !... بوسعى أن أرى عناوين الصحف بارزة : « قتل مجرمة خطرة أثناء محاولة للسطو على منزل شخصية كبيرة » ! ... من ذا الذى سيقوم على جنازتى ويبكينى ؟ .. ارنستين وايمى ؟ ...

أفاقت تريسى ونظرت الى ساعتها .. رباه ! .. لقد لبثت ثلث ساعة فى هواجس وأحلام !.. ان كان لامناص من القيام بالعملية ، فلأتحرك للعمل ...

لكنها لم تقو على الحركة ... شعرت بأنها تجمدت من الخوف ثم قالت لنفسها : لا يمكن ان أجلس هنا الى الابد .. لماذا لا انزل والقى فقط نظرة على المنزل ؟.. نظرة سريعة !..

أخذت تريسى نفسا عميقا ونزلت من سيارة وركبتاها تصطكان اقتربت من البيت وانية الخطى ، وبدا لها حالك الظلام .. واخرجت من جيبها قفازا ولبسته ... رباه ! ... هاأنذا بدأت العملية ، وماضية فى تنفيذها !..

وشعرت بقلبها يدق عنيفا عاليا حتى لم تعد تسمع صوتا غيره ..
استعادت تعليمات مورجان اليها : « ان جرس الانذار الى يسار الباب الامامى ... وهناك خمسة ازرار .. وسيكون الضوء الاحمر قائما ومعناه ان الانذار شغال ... والشفرة لابطاله هى « ٣-٢-٤-١ - ١ » ... وعندما ينطفىء الضوء الاحمر تعرفين أن نظام الانذار قد توقف ... واليك مفتاح الباب الامامى ... وعندما تدخلين تأكدى من اقفال الباب خلفك ... استخدمى هذه البطارية ... لا تضيء شيئا من أنوار البيت احتمالا لمرور احد بسيارته قرب البيت ... وستجدين غرفة النوم الكبرى فوق ، الى يسارك ، مطلة على الخليج .. وستجدين الخزانة خلف صورة زيتية للويز بيلامى انها خزانة بسيطة جدا . وكل ماعليك أن تفعليه هو العمل «بتركيبة» القفل كما بينتها لك » ..

وقفت تريسى جامدة ، راجفة ، متحفزة للهروب لدى ادنى سوت سكون شامل مطبق ... فمدت يدها وضغطت على ازرار الانذار بالتعاقب ، داعية الا تعمل ... فانطفأ الضوء الاحمر . لابد أن الخطوة التالية ستفضحها ... تذكرت فى هذه الآونة ان قائدى الطائرات يعرفون عبارة يطلقون عليها : « نقطة اللاعودة » !.

وضعت تريسى المفتاح فى القفل ، فانفتح الباب ... انتظرت دقيقة كاملة قبل ان تدلف الى الداخل ... شعرت بأن كل عصب فى جسدها ينبض بعنف شديد وهى واقفة فى الردهة ، ترهف السمع ، خائفة أن تتحرك ... كان البيت مليئا بالسكون الموحش ثم أخرجت البطارية وأنارتها ، فرأت السلالم .. تقدمت واخذت تصعد . كان كل ما تريده الآن هو أن تنجز العملية بأسرع ماتستطيع ، ثم تلوذ بالهروب ..

بدت الردهة العليا مفزعة فى وهج البطارية .. وجعلت تمعن النظر فى كل غرفة وهى تتقدم ... كانت جميعا خاوية ..

كانت غرفة النوم الكبرى فى نهاية الردهة ، مطلة على الخليج ، تماما كما وصفها مورجان لها ... كانت جميلة انيقة مزخرفة بورود منقوشة .. فتقدمت الى موضع الصورة التى أرشدها اليها مورجان ... بدت لها لويز بيلامى كالحة الوجه متغطرسة ، مصداقا لقول مورجان انها امراة شنيعة ... والآن الى القفل ، والى التركيبة السرية كما لقنها مورجان ..

كانت الخزانة مليئة بمظاريف سميكة وأوراق شتى ، بيد أن تريسى تجاهلتها ... كان فى جانبها الخلفى رف صغير ، يعلوه كيس مجوهرات من جلد « الشاموا » ... وفى هذه اللحظة فقط انطلق جرس الانذار ضد السطو ، وانبعث منه رنين كان أعلى ماسمعته تريسى فى حياتها ... بدا وكأنه يتموج فى كل ركن من أركـــان البيت ، زاعقا بالنذير والتحذير ..

وقفت مكانها ، مشلولة ، مروعة ...

ماهو وجه الخطأ ؟ ... الم يكن مورجان يعرف بوجود نظـام انذار داخل الخزانة يعمل حين ترفع المجوهرات من مكانها ؟!..

كان عليها أن تبادر بالخروج حالا ... فدست كيس الشـاموا فى جيبها وانشأت تجرى نحو السلالم ... وعندئذ ، ومن فـوق رنين جرس الانذار ، انبعث دوى « سارينة » تقترب ...

وقفت تريسى لدى السلالم مروعة فزعة وقلبها يدق عنيفـــا وحلقها قد تيبس ، ثم أسرعت الى النافذة ورفعت الستار وتطلعت الى الخارج ... رأت سيارة دورية سوداء وبيضاء تد وقفت امام البيت ، ولمحت شرطيا فى زيه الرسمى يجرى نحو الباب الخلفى ، وآخر يتقدم الى الباب الامامى ..

لا مفر الآن .. وما فتئت أجراس الانذار تتجاوب أصـــداؤها حتى بدت فى سمعها كأجراس سجن النساء فى لويزيانا !..

قالت لنفسها : كلا ... لن أدعهم يردوننى الى هناك !..

وفجأة رن صوت جرس الباب الأمامى ...

***

كان الضابط ديركن يعرف لويزبيلامى ويعرف قدر مجمـــوعة المجوهرات الثمينة واللوحات الفنية النفيسة التى تمتلكها .. وفى غيابها كان يحرص على تفقد البيت من وقت لآخر ، ايمانا منـــه بانه هدف يغرى بالسطو ... والآن بدا له انه يوشك ان يقتنص السارق ولقد كان على بعد مسافة قصيرة من البيت عندما تلقى بالراديو الانذار الذى بعثت به شركة التامين ... فايقن ان هذه فرصة طيبة لترقية قريبه ...

وضغط الضابط ديركن على زر الباب الامامى مرة اخرى ، حتى يتهيأ له أن يذكر فى تقريره انه ضغط على زر الجرس ثلاث مرات

قبل اقتحام الباب وقد تولى زميله تغطية الباب الخلفى ، وهكذا لن تتاح الفرصة أمام اللص للافلات ...

وعندما هم الضابط ديركن بالضغط على الجرس للمرة الثالثة ، اذ فتح الباب الامامى فجأة ... فوقف مكانه محملقا .. راى فى المدخل امرأة فى ثوب نوم شفاف أسفر عن تكوينها البديع .. وكان وجهها مغطى بالمعاجين المطرية ، وشعرها مضموما تحت قلنسوة .. وقد قالت له : ما الذى يجرى هنا وحق السماء ؟..

ابتلع الضابط ديركن ريقه ، ثم اجاب : انا .. من انت ؟..

ـ أنا الين برانش ... أنا ضيفة عند لويز بيلامى .. وهى مسافرة فى أوربا ..

فقال الضابط مرتبكا : اعرف هذا ... انها لم تذكر لنا أن عندها ضيفة مقيمة ...

فهزت المرأة الواقفة بالباب راسها هزة العارف الخبير ، قائلة : اليس هذا من طبع لويز ؟ .. معذرة .. لا أستطيع احتمال هذه الضوضاء ..

وفيما هو يراقب ، راى ضيفة لويز بيلامى تمد يدها الى أزرار جرس الانذار وتضغط عليها بالتعاقب ، فانقطع الرنين .. وتنهدت قائلة : هذا أفضل .. لا استطيع ان اقول لكم كم أنا مسرورة برؤياكم ..

وضحكت ضحكة مهتزة واردفت : كنت استعد للنوم عندما انطلق جرس الانذار ، فتأكدت من وجود لصوص فى البيت وانا هنا بمفردى .. ان الخدم انصرفوا عند الظهر ..

ـ هل من مانع اذا قمنا بالتفتيش ؟..

ـ لو سمحتم .. اننى أصر على هذا ..

ولم تستغرق عملية التفتيش سوى دقائق قليلة للتأكد من عدم اختباء أحد فى البيت ... وقال الضابط : كله تمام .. هو انذار كاذب .. لابد ان شيئا جعله ينطلق تلقائيا ... لا يمكن الاعتماد دائما على هذه الاجهزة الالكترونية .. ياليتك تتصلين بشركة الامن وتطلبين منها فحص الجهاز ...

ـ سافعل هذا بكل تأكيد ..

ـ حسنا ... اظن انه يمكننا الآن ان نعود ادراجنا ...

ـ اشكركم كل الشكر للحضور بسرعة ... اننى أشعر الآن بالامان ...

بدا الضابط ديركى مفتونا بقوامها ، حتى تساءل فى نفسه ماذا يكون حالها لو ازالت عن وجهها المعاجين المطرية وقلنسوه الشعر ؟.
ثم قال لها : هل ستقيمين هنا طويلا يامس برانش ؟..

ـ حوالى اسبوع او اسبوعين ، الى ان ترجع لويز ...

ـ اذا كان عندك ما يمكن ان اقوم به لك ، فما عليك الا ان تطلبى ...

ـ شكرا لك ... سأفعل ..

وقفت تريسى تراقب سيارة البوليس وهى تبتعد فى جوف الليل ... تنفست الصعداء وهى أقرب الى الاغماء .. وعندما غابت السيارة عن نظرها صعدت السلالم مسرعة وأزالت معاجين التطرية التى وجدتها فى الحمام ، ونزعت رداء نوم لويز وقلنسوتها واستعادت ملابسها الخارجية ، ثم خرجت من الباب الامامى بعد أن أعادت نظام الانذار الى وضعه الاول باتم حذر ...

وما أن بلغت بالسيارة منتصف المسافة الى مانهاتن وهى فى طريق العودة حتى صدمتها جسارة هذا الذى فعلته .. فضحكت ، واستحالت ضحكتها الى رجة عنيفة لم تستطع مغالبتها حتى اضطرت الى التوقف بالسيارة على جانب الطريق ... وظلت تضحك حتى انهمرت الدموع على وجهها ... وكانت أول مرة ضحكت فيها منذ عام ...

الفصل السابع عشر

لم تبدأ تريسى فى الاسترخاء الا بعد أن تحرك القطار من محطة بنسلفانيا ... بعد كل ثانية كانت تتوقع أن تهبط يد ثقيلة على كتفها وصوت يقول : انت مقبوض عليك ! ..

لقد راقبت بعناية الركاب الآخرين وهم يستقلون القطار ، ولم يكن فى طوالعهم ماينذر بأى خطر ... ان كونراد مورجان سيكون بانتظارها فى سانت لويس ومعه خمسة وعشرون الف دولار ... مبلغ جسيم تستطيع أن تفعل به مايحلو لها .. تسافر الى أوربا .. الى باريس ! .. الى لندن ، حيث لا تكون طريدة السجون !..

ولم تلبث أن أرصدت باب المقصورة واخرجت كيس الشامو وفتحته ... قوس قزح من الالوان المتلألئة انسكب بين يديها ... ثلاثة خواتم ماسية كبيرة ، ومشبك من الزمرد ، وسوار من الياقوت الازرق ، وثلاثة اقراط ، وعقدان ، احدهما من العقيق والثاني من اللآلىء ... ثروة قدرت تريسي أنها تناهز المليون دولار ..

وفيما هي مستسلمة لاحلامها الوردية اذ طرق باب مقصورتها ، فردت المجوهرات بسرعة الى الكيس ووضعته في حقيبة ملابسها .. ثم أخرجت تذكرة السفر وفتحت باب المقصورة للمحصل ...

وقع نظرها على رجلين في ملابس رمادية واقفين في الممشى ... بدا احدهما في أوائل الثلاثين من عمره ، والثاني يكبره بنحو عشر سنوات .. كان الرجل الاصفر جذابا ، له قوام رياضي ، وذقن قرية ، وشارب قصير منمق ، وعينان زرقاوان نابهتان خلف نظارته العريضة ... اما الثاني فكان كثيف الشعر فاحمه ، متين البنية . بارد النظرات ...

قالت لهما تريسي : هل من خدمة ؟..

فأخرج الرجل الاكبر من حافظته بطاقة بها هذا التعريف :

« مكتب المباحث الفيدرالية ـ وزارة العدل الامريكية » ، وقال لها : انا المندوب الخاص دنيس تريفور ... وزميلي هو توماس باورز ...

فجاة شعرت تريسي بجفاف في فمها ... لكنها اغتصبت ابتسامة ، وقالت : انا ... انا لا افهم .. هل هناك خطا ..

فرد المندوب الاصفر قائلا : نعم ياسيدتي .. منذ بضع دقائق دخل هذا القطار حدود ولاية نيوجرسي ... ان نقل بضائع مسروقة عبر حدود الولاية هو جريمة فيدرالية ...

شعرت تريسي فجاة بغشاوة حمراء امام عينيها طمست المرئيات وسمعت دنيس تريفور يقول بلهجة الامر : هلا فتحت حقيبتك ؟ ...

كان أملها الوحيد ان تحاول « التهويش » ، فقالت : هل ... معكم أمر رسمي بالتفتيش ؟ ..

فتولى الرجل الاشقر الرد قائلا : لسنا بحاجة الى مثل هذا

الامر يامس هويتنى ... اننا نقبض عليك متلبسة بارتكاب جريمة ...

هاهم يعرفون اسمها ايضا !... لقد وقعت فى القفص ... ولا مخرج لها الآن ... بتاتا !..

واثناء ذلك فتح تريفور الحقيبة ... ايقنت الا فائدة من منعه .. وراقبته وهو يستخرج كيس المجوهرات ، ولما فتحه نظر الى زميله وهز راسه .. فتهالكت تريسى فى المقعد عاجزة عن الوقوف ..

ولم يلبث تريفور أن اخرج كشفا من جيبه واخذ يراجع محتويات الكيس على الكشف ، ثم وضع الكيس فى جيبه قائلا لزميله : المجموعة كلها هنا ياتوم ...

قالت تريسى وهى فى اشد تعاسة : كيف .. كيف توصلتم الى هذا ؟ ..

فاجاب تريفور : غير مسموح لنا باعطاء معلومات .. أنت الآن مقبوض عليك ... من حقك ان تلتزمى السكوت ، وأن تستعينى بمحام قبل أن تقولى أى كلام ... مفهوم ؟..

وقال توم باورز : أنا آسف لهذا .. أعنى اننى أعرف ماضيك ، ولهذا أكرر اسفى ...

فقال زميله : يا الهى ! لسنا هنا فى زيارة خاصة !

وابرز قيدا حديديا اراد أن يقيد به يدى تريسى وهى منعقدة اللسان مشدوهة ، لولا أن زميله همس فى اذنه كلمات بدا انهـا توسط للدفاع عنها ، فهز الرجل الاكبر راسه غاضبا ولكنه قال : لا بأس ... لن نقيدك الآن ... سناخذك الى المحطة التالية ... وسنرسل بالراديو اشارة الى مكتب التحقيقات الفيدرالى لطلب سيارة ... وعايك الا تبرحى هذه المقصورة .. واضح ؟..

أومات تريسى براسها عاجزة عن الكلام .. ونظر اليها الرجل الاصغر توم باورز وهز كتفيه فى عطف وكأنه يقول : ليتنى كنت استطيع ان افعل شيئا اكثر ..

ووقف الرجلان فى المشى يكلمان المحصل وهما يشيران اليها كلاما لم تستطع أن تتبينه ، فهز المحصل راسه ، ثم اغلق الباب عليها ، فكان عندها مثل اغلاق باب زنزانة السجن ...

لقد جلست تريسى مكانتها مشلولة من الخوف وهى تشعر فى اذنيها بدوى اعلى من دوى القطار ... انها لن تجد فرصة هذه

المرة ، فهي من ارباب السوابق ، ولسوف يحاكمونها ويحكمون عليها بالعقوبة القصوى ، ولن تجد هذه المرة ادانة مدير سجن لانقاذها ، ولن يبقى أمامها سوى سنوات السجن بلا نهاية ...

وشعرت أخيرا بالقطار يبطىء ثم يتوقف في احدى المحطات .. لقد حان وقت الذهاب ... فقامت تريسى واغلقت حقيبتها وارتدت معطفها وجلست تنتظر فتح باب المقصورة ...

توالى مرور الدقائق .. ولم يظهر الرجلان ... ترى ماذا يفعلان ؟. واخيرا سمعت صوت المحصل ينادى : الكل يركبون !..

فزعت تريسى .. ربما قصد الرجلان ان يقولا انهما سينتظرانها على رصيف المحطة ... ولو بقيت فى مكانها فقد تتهم بمحاولة الهرب منهما ، وفى هذا مايزيد موقفها سوءا ... هكذا اختطفت حقيبتها وفتحت باب المقصورة وهرعت الى الممشى ..

رأت المحصل يقترب ، وسألها : هل تنزلين هنا ؟..

يحسن أن تسرعى ... دعينى أساعدك .. ان امرأة فى حالتك يجب الا تحمل شيئا ثقيلا ...

فحدقت فيه مرددة : فى حالتى ؟!.

ـ لا داعى للارتباك ... ان شقيقيك أخبرانى انك حامل وان الاحظ حالتك ...

ـ ... شقيقاى ؟! ..

ـ هما شخصان لطيفان ... والظاهر انهما مشغولان عليك كثيرا ..

شعرت تريسى بالدنيا تدور من حولهما ، وكل شىء ينقلب راسا على عقب .. بينما حمل المحصل الحقيبة حتى باب المركبة وساعدها على نزول درجات السلم ... ثم بدأ القطار يتحرك .. فنادت تريسى : هل تعرف أين ذهب شقيقاى ؟..

ـ لا ياسيدتى ... انهما قفزا فى سيارة أجرة عندما توقف القطار ...

مع مجوهرات مسروقة قيمتها مليون دولار !!!

***

اتجهت تريسى الى المطار ... كان هو المكان الوحيد الذى امكنها ان تفكر فيه ... مادام الرجلان قد ركبا سيارة اجرة ، فمعنى هذا

أنهما بدون وسيلة انتقال خاصة بهما ، وأنهما مهتمان بالتأكيد لمغادرة البلدة بأسرع مايمكن ...

لقد جلست في سيارة الاجرة التي استقلتها وقد امتلأ صدرها غضبا مما فعلاه بها ، وخزيا من استغفالهما بمثل هذه السهولة ، حتى لم تتمالك أن احمر وجهها اذ ابتلعت الطعم ازاء هذه اللعبة البوليسية المعروفة ...

مندوبا المباحث الفيدرالية ؟! أغلب الظن انهما هاربان من القانون ... فليكن اذن .. لابد أن تسترد هذه المجوهرات ... لقد جازفت بما جازفت في سبيلها ، ولن تسمح لهذين المحتالين بالانتصار عليها ... وهكذا استحثت سائق السيارة للوصول الى المطار بسرعة ...

وفي المطار ، وعند بوابة الدخول الى الطائرة ، اهتدت اليهما واقفين بين المسافرين في الصف ... عرفتهما رغم أن الاصفر المدعو توم باورز بدا الآن بلا نظارة ولا شارب وتغير لون عينيه من الازرق الى الرمادي ، والمدعو دنيس تريفور الاكبر الذى كان كثيف الشعر أسوده بدا هو الآخر أصلع تماما ... أما ملابسهما فلم تتغير لضيق الوقت ...

أدركتهما عند بوابة الدخول ، فقالت لهما : نسيتما شيئا ..

نظرا اليها مجفلين ، وقطب الاصفر قائلا : ماذا تفعلين هنا ؟.. ان سيارة المباحث كان المفروض أن تكون في المحطة لاخذك !..

فقالت تريسي : اذن لماذا لا نرجع للبحث عنها ؟..

فرد تريفور قائلا : لا يمكن ... امامنا قضية أخرى ...

فقالت تريسي : هاتوا المجوهرات ! ..

فقال توم باورز : لا يمكن أن تفعل هذا ... هي الدليل ضدك ، ولا يمكن أن نفرط فيها ...

وأشرفا على بوابة الدخول ، وقدم تريفور تذكرته الى المشرف .. فتطلعت تريسي حولها باستماتة ، ووقع نظرها على أحد شرطة المطار واقفا عن كثب ، فنادت : حضرة الضابط ! ... حضرة الضابط ! ...

نظر الرجلان أحدهما الى الآخر مفزوعين ، وقال لهما تريفور بصوت خافت كالفحيح : ماذا تفعلين بحق جهنم ! .. هل تريدين أن يقبض علينا جميعا ؟

واقترب الشرطي وقال لها : نعم يا آنسة ... هل من مشكلة ؟.
فقالت تريسى بلهجة المرح : لا مشكلة ولا شيء .. ان هـــذين السيدين عثرا على بعض مجوهرات فقدتها ، وسيعيدانها الى ... وقد اشارا على ان تتكرم بحراستى الى سيارة اجرة ...
ـ بالتأكيد ... يسعدنى هذا ...
فانثنت تريسى الى الرجلين قائلة : اصبحت الآن فى امـان لكى تردا الى المجوهرات ... سيحرسنى الآن هذا الضابط النشيط ..
ولما حاولا الاعتراض عاجلتهما قائلة : انا متمسكة برايى .. وانا اعرف انه يهمكما جدا أن تلحقا بهذه الطائرة !..
نظر الرجلان الى الشرطى ، ثم تبادلا النظر يائسين مغلوبين على امرهما .. لم يكن أمامهما مايمكن عمله .. فأخرج توم باورز كيس الشاموا من جيبه مكرها ... فقالت تريسى : هو المطلوب ...
واخذت الكيس من يده وفتحته ونظرت فى داخله ، ثم قالت : الحمد لله ! .. كلها هنا !..
وفتحت حقيبة يدها ودست كيس المجوهرات فيها ، ثم اخرجت ورقتى بنكنوت من فئة الخمسة دولارات واعطيت ورقة لكل منهما قائلة : هذا مجرد رمز بسيط تقديرا منى لما فعلتماه من اجلى !..
كان باقى المسافرين قد دخلوا ، وقال المشرف : هذه هى المناداة الاخيرة ... على جميع السادة الركاب ان يصعدوا الى اماكنهم ..
وقالت تريسى للشرطى متهللة الوجه وهى تسير معه :
ـ اشكرك من كل قلبى ... من النادر أن يعثر الانســـان على شخص شريف فى هذه الايام ! ..

الفصل الثامن عشر

عندما جلس توم باورز ـ المولود باسم جيف ستيفنز ـ فى مقعده بالطائرة ينظر من النافذة عند اقلاعها ، لم يلبث ان رفع منديله الى عينيه واخذ كتفاه يعلوان ويهبطان ... فلم يتمالك زميله الاكبر سنا والجالس بجانبه أن نظر اليه فى دهشة ، قائلا : ماهذا ؟ .. هى مسالة فلوس لا اكثر ... انها لا تستحق أن تبكى لضياعها !..
فالتفت اليه جيف ستيفنز والدموع تنهال على وجهه ، وكم كانت

دهشته عندما تبين أن جيف كان متشنجا من فرط الضحك ... وقال له :

ـ ماذا جرى لك بحق الشيطان ؟ ... ليس فى المسألة مايضحك ابضا !..

لكنها فى نظر جيف كانت تبعث على الضحك ـ فان الاسلوب الذى غلبتهما به تريسى فى المطار كان أحذق خدعة شهدها فى حياته لقد أبلغه كونراد مورجان هو وزميله أن المراة مجرد هاوية ، حتى لم يتمالك جيف أن قال لنفسه : يا الهى ! .. ترى ماذا يكون من أمرها لو كانت محترفة ؟!. ولقد كانت تريسى هويتنى بغير شك اجمل امراة راى جيف مثلها ... وكانت ذكية بارعة أيضا ، وكان جيف يفاخر بأنه أبرع محتال فى هذا المضمار ، ومع ذلك فقد بذته وتفوقت عليه !...

كانت حياة جيف سلسلة من المغامرات جلبتها عليه وسامته ووفرة شبابه وصلابة عوده ... كان أبوه متزوجا من امراة غنية لم يلبث أن بدد ثروتها ... ولما توفيت وهو بعد فى الثانية عشرة من عمره ، تزوج أبوه فتاة فى العشرين من عمرها لم تتورع أن تراود جيف عن نفسه فى غيبة أبيه وزوجها ، ولكنه هرب منها ومن البيت كله ، والتجأ الى عمه ويلى صاحب السيرك المتنقل ... وفى السيرك تعلم كثيرا من فنون الشعوذة وخفة اليد ، ثم استقل بنفسه واخذ يمارس طائفة من أعمال النصب والاحتيال الصغيرة .. ولما كان يحب حياة البحر فقد استقر به المطاف بحارا فى يخت مليونيرة شابة مزواجة لم تلبث أن افتتنت به وتزوجته حيث عاش حينا يتقلب فى الاوساط الاجتماعية الراقية التى بدت له من الداخل فسادا وافسادا وتبذلا وانحلالا ، الى حد أن زوجته لم تتورع عن خيانته ، حتى لم يجد مفرا من طلاقها بعد أن انتقم منها ومن بطانتها بخدعة فاز منها بربع مليون دولار ... وفى مدينة رينو حيث تمت اجراءات الطلاق التقى بالجواهرجى كونراد مورجان الذى كان يعرف عمه ويلى صاحب السيرك السابق بعد أن أدى له عملا ... وفى هذا اللقاء قال له مورجان :

ـ ما رايك ياجيف فى ان تؤدى الى خدمة صغيرة ؟ ... هناك فتاة شابة مسافرة فى قطار من نيويورك الى سانت لويس ومعها بعض المجوهرات ...

تلك كانت البداية ... بداية مغامرة جيف مع تريسى التى انتهت على هذه الصورة الغريبة المحزنة والمضحكة معا ، حتى لم يتمالك جيف وهو فى الطائرة مع زميله ان راح يفكر طويلا فى أمر تريسى والابتسام لا يفارق شفتيه ...

***

واما تريسى فما ان عادت الى نيويورك حتى ولت وجهها شطر محل كونراد مورجان الجواهرجى .. فادخلها مورجان الى مكتبه واغلق الباب عليهما ... وقد فرك يديه قائلا : اننى كنت فى قلق شديد عليك ياعزيزتى .. لقد انتظرتك فى سانت لويس و ..

ـ انت لم تذهب الى سانت لويس ...

فقال وقد لمعت عيناه الزرقاوان : ماذا ؟ ماذا تقصدين ؟

ـ اقصد انك لم تذهب الى سانت لويس ... ولم يكن فى نيتك ابدا أن تقابلنى ...

ـ لكننى ذهبت فعلا ! ... ان المجوهرات معك ، وانا ..

ـ انك أرسلت رجلين لاخذها منى ..

بدت علائم الحيرة على وجه مورجان وقال : لست افهم !..

ـ فى أول الامر حسبت أن هناك خيانة من احد عندك ، لكن تأكدت أن الخيانة من جانبك انت ... لقد أخبرتنى انك رتبت شخصيا لحجز تذكرة لى بالقطار ، وهكذا كنت انت الوحيد الذى كان يعرف رقم مقصورتى ... اننى استخدمت اسما مختلفا وتنكرت ولكن رجالك عرفوا بالضبط أين يجدوننى ...

ارتسمت الدهشة على وجهه الملىء وهو يقول لها : هل تحاولين ان تقولى لى ان بعض الرجال سلبوا منك المجوهرات ؟..

فابتسمت تريسى وقالت : انما احاول ان اقول انهم لم يفعلوا .

فى هذه المرة كانت دهشة حقيقية على وجه مورجان وهو يقول: الجواهر معك ؟! .

ـ نعم ... ان اصحابك كانوا فى عجلة شديدة للحاق بالطائرة الى حد انهم تركوها خلفهما !..

جعل مورجان يتفرس فى وجه تريسى مليا ، ثم قال لها : عن اذنك ...

ودخل من باب خاص ، بينما جلست تريسى فوق الاريكة وهى فى تمام الاسترخاء ...

غاب كونراد مورجان نحو ربع ساعة ، وعندما عاد كانت تبدو على وجهه امارات الجزع ، وقال لها : آسف لوقوع غلطة .. غلطة كبيرة .. انت شابة بارعة جدا يامس هويتنى .. لقد استحققت الخمسة وعشرين الف دولار ...
واردف وهو يبتسم اعجابا : هاتى المجوهرات و ...
ـ بل خمسون الفا ...
ـ معذرة !؟ ..
ـ كان لابد ان اسرق المجوهرات مرتين ... والمبلغ المستحق هو خمسون الف دولار يامستر مورجان ...
فقال وقد فقدت عيناه بريقهما : لا ... آسف اذ لا يمكننى أن اعطيك مثل هذا المبلغ عن المجوهرات ...
فنهضت تريسى قائمة وهى تقول : لا بأس اذن ... ساحاول ان اجد فى لاس فيجاس من يرى أنها تساوى هذا المبلغ ...
واتجهت الى الباب ... فقال كونراد مورجان : خمسون الف دولار !؟ ..
فأومأت تريسى برأسها ايجابا ، فقال : واين المجوهرات ؟..
ـ فى خزانة ودائع فى محطة بنسلفانيا ... وحالما تعطينى المبلغ عدا ونقدا ، وتركبنى سيارة اجرة ، ساعطيك مفتاح الخزانة ..
تنهد كونراد مورجان مهزوما ، وقال : اتفقنا ...
فقالت تريسى منشرحة : شكرا لك ... كان من دواعى السرور ان اقوم بعمل معك ...

الفصل التاسع عشر

عقد مؤتمر هام فى مكتب ج . رينولدز رئيس اتحاد شركات التأمين حضره دانييل كوبر كبير المحققين للتداول فى حادث السطو على مجوهرات لويز بيلامى الذى تم فى الاسبوع السابق ... وفى معرض المناقشات قال رينولدز : قرأتم جميعا التقارير المتعلقة بالحادث ... والجديد فى الموضوع ان السيدة المذكورة تبين أنها بنت عم مدير البوليس ، ومن هنا رأيناه يقيم الدنيا ويقعدها !..
فقال أحد المحققين : وما هى الاجراءات التى اتخذها البوليس ؟.
ـ البوليس يتحاشى مواجهة الصحافة ... ولا لوم عليهم فى هذا

فان رجالهم فى منطقة الحادث تكلموا فعلا مع السارقة التى ضبطوها فى المنزل وتركوها تهرب آمنة مطمئنة !..

فقال محقق آخر : انهم اعطوا أوصافا عجيبة لها .. لقد انصرف اهتمامهم الى النظر الى قوامها وهى فى جلباب النوم الشفاف الى حد أسال لعابهم واذاب أمخاخهم ! .. لم يذكروا اكثر من أنها كانت تضع معاجين التطرية على وجهها وتكسو قلنسوة شعرها ، وانها فى منتصف العشرينات من عمرها ... وهكذا ليس ثمة أى دليل يرشد الى شخصيتها ، ولا حتى معلومات عامة ...

وهنا تدخل دانييل كوبر لاول مرة ، قائلا :

ـ بل عندى الدليل والمعلومات ... وانا اعرف من هى ...

***

كان دانييل كوبر فى اليوم السابق قد قام وحده برحلة خاطفة الى قصر لويز بيلامى وعاين موقعه المنعزل واستخلص من الملابسات أن الفاعل لابد أن يكون قد ذهب الى المكان فى سيارة مستأجرة .. وبالتحرى لدى وكالات تأجير السيارات امكنه الاستدلال على سيارة من نوع « شيفى كابريس » استؤجرت فى الساعة الثامنة مساء يوم الحادث ، وان المسافة التى سجلها العداد بعد اعادة السيارة فى الساعة الثانية صباحا هى اربعة وستون ميلا ذهابا وايابا ، وان المستأجر كان امراة باسم الين برانش ...

وفى هذا الاجتماع فاجأ دانييل كوبر الجميع بقوله :

ـ ... ان اسمها الحقيقى هو تريسى هويتنى ...

حملق اليه الجميع ، وقال احدهم : كيف عرفت هذا بحق الشيطان ؟ ...

ـ انها ذكرت اسما وعنوانا زائفين ... لكننى اخذت عقد الايجار الذى وقعت عليه بخطها وعرضته على قسم البصمات فى البوليس ، فوجدتها مطابقة لبصمات تريسى هويتنى التى أمضت فترة فى سجن النساء فى ولاية لويزيانا ، وتذكرون اننى تحدثت معها منذ نحو سنة بصدد حادث لوحة رينوار المسروقة ...

فقال رينولدز : اتذكر ... لكنك قلت آنذاك انها بريئة ..

ـ كانت بريئة وقتها ... اما الآن فلم تعد بريئة .. انها سارقة مجوهرات لويز بيلامى ..

فقال رينولدز مكرها رغم نفوره من كوبر : هذا جهد مشكور يا كوبر .. الآن يمكننا ابلاغ البوليس لاعتقالها و ...

فقال كوبر بهدوئه المثير : وبأى تهمة ؟ ... استئجار سيارة ؟ لا يستطيع البوليس التعرف عليها ، ولا دليل ثمة ضدها ...

وقال محقق آخر : وماذا تظننا نفعل ؟ ... هل نتركها حرة طليقة تسرح وتمرح ؟.

فرد كوبر قائلا : نعم هذه المرة ... لكننى اعرف الان من هى ولسوف تكرر العملية ـ وعندما تفعل ، سأكون بالمرصاد لاقتناصها .

الفصل العشرون

قالت تريسى لنفسها بعزم : حان الوقت لكى ابدأ حياة جديدة . لكن اى نوع من الحياة ؟ .. اننى تحولت من فتاة بريئة ساذجة الى ـ ماذا ؟ .. الى لصة ... هذا هو الوصف ...

وذهبت تفكر فى جو رومانو وانطونى اورساتي وبيرى بوب والقاضى لورانس .. كلا .. بل تحولت الى منتقمة .. هذا هو الوصف الحقيقى .. وربما مغامرة .

لقد تفوقت على البوليس ، وعلى اثنين من المحتالين المحترفين ، وعلى جواهرجى نصاب عديم الشرف .. ولما فكرت فى ارنستين وايمى تملكها الشجن ... واذا هى تقصد من فورها الى محل كبير لبيع الالعاب وتشترى مسرحا مصغرا للعرائس وتبعث به الى ايمى ابنة مدير السجن مع بطاقة بهذه الكلمات : « هؤلاء اصدقاء جدد لك ... اوحشتنى .. محبتى لك .. تريسى » ..

وفى محل لبيع الفراء ارسلت الى ارنستين علبة بها لفاع للعنق من الفرو مع حوالة بمبلغ مائتى دولار ، وبطاقة بهذه الكلمات الموجزة : « شكرا يا ارنى ـ تريسى » ...

وبعد هذا ناجت نفسها : لقد سددت الآن كل ديونى ..

كان هذا احساسا طيبا .. وهى الآن حرة تذهب الى حيث تشاء ، وتفعل مايحلو لها ...

وقد احتفت باستقلالها ذاك بالنزول فى فندق هلمسلى الفاخر ، ومن الطابق السابع والاربعين كانت تطل على جسر جورج واشنطن على مبعدة ، وعلى الجانب الاخر كان موقع المسكن الحقير الذى اقامت فيه مؤخرا ، « لا أعاده الله » كما قالت لنفسها !..

ولم تلبث أن فتحت زجاجة الشمبانيا التى بعثت بهـــا ادارة الفندق وجلست تحتسيها راضيـــة وهى تراقب مغيب الشمس فوق رءوس ناطحات السحاب فى مانهاتن ... وما ان بزغ القمر حتى حزمت تريسى أمرها ... لسوف تذهب الى لندن .. انهـــا الآن مستعدة لتذوق المباهج والمناعم التى سوف تزجيها الحياة اليها ... واختتمت قائلة لنفسها : لقد سددت ديونى .. وانا استحق بعض السعادة ...

وفى وقت مبكر من صباح اليوم التالى قصدت تريسى الى احدى وكالات السياحة وطلبت حجز جناح لها على الباخرة كوين اليزابيث الثانية ... وكانت من فرحتها اقرب الى الاطفال بصـــــدد أول رحلة لها خارج امريكا ، حتى أمضت ثلاثة ايام وهى تبتاع الملابس واللوازم الشخصية .. وكان الجناح الذى دلفت اليه بعد اتمام اجراءات الصعود الى الباخرة من النوع المكلف ، ولكن تريسى قررت ان تستمتع بحياتها ...

ووقفت تريسى على سطح السفينة تراقب اقلاعها من الميناء وقد تملكها انفعال مفاجىء ... فهى مرتحلة الى مستقبل مجهول حقا ولكى تنفض عنها الهواجس راحت تختلط بالركـــاب وتتفقـــد انحاء الباخرة الضخمة التى كانت اشبه بمدينة عائمة ، بها أربعة مطاعم ، وستة بارات ، وقاعتان للرقص ، وملهيان ليليان ، واربعة احواض للسباحة ، وملعب رياضى ، الى جانب عشرات الحوانيت المنوعة ، حتى لم تتمالك تريسى أن قالت لنفسها مبهورة : ليتنى كنت أستطيع العيش فى هذه الباخرة على الدوام !..

ثم حجزت لنفسها فى موعد العشاء مائدة خاصة فى قاعة الشواء اذ كانت أصغر واكثر اناقة من قاعة الطعام الكبرى .. على انها لم تكد تجلس الى المائدة حتى سمعت صوتا مالوفا يقول لها : أهـــلا بك هنا ! ..

تطلعت تريسى الى مصدر الصوت ، واذ المتكلم هو توم باورز مندوب المباحث الفيديرالية المزيف ، وقد اردف قائلا : هل تمانعين اذا جلست معك ؟ ... انها مفاجاة سارة !..

ـ امانع جدا ...

بيد انه انزلق فى المقعد المواجه لها واختصها بابتسامة آسرة ،

قائلا : يمكننا أن تكون أصدقاء .. على أى حال ، نحن الاثنين هنا لغرض واحد ، أليس كذلك ؟..

لم يكن لديها أدنى فكرة عما يقصده ، فقالت : اسمع يا مستر باورز ..

فقال في يسر : ستيفنز .. جيف ستيفنز ..

ـ مهما كان اسمك ! ..

وهمت بالنهوض عن المائدة ، فعاجلها قائلا : مهلا ... احب ان اشرح لك بخصوص المرة الاخيرة التى تقابلنا فيها ..

ـ ليس هناك مايدعو الى الشرح ... لو كانت طفلة لتصورت الحقيقة ...

ـ أننى كنت مدينا لكونراد مورجان الجواهرجى بمعروف سابق ومع ذلك أظنه الآن غير راض عنى ...

فقالت بلهجة العداء : وانا غير راضية عنك أيضا ... ماذا تفعل على ظهر هذه الباخرة ؟ ... اما كان أولى لك أن تكون فى سفينة نهرية ؟ .

فقال ضاحكا : مع وجود مكسميليان بيربونت على ظهر الباخرة ، فهى سفينتى النهرية !..

ـ من ؟ ...

فنظر اليها بدهشة وقال : خلى عنك هذا !.. تعنين انك لا تعرفين فعلا ؟..

ـ أعرف ماذا ؟ ..

ـ ان مكسميليان هو واحد من أغنى الرجال فى العالم .. وهوايته هى دفع الشركات المتنافسة الى الافلاس ... وله هيام بالخيول الاصيلة والنساء الجميلات ...

ـ وتنوى انت ان تريحه من بعض ثرائه المفرط ؟..

فاجاب وهو يتاملها : بل من جانب كبير منه فى الواقع .. هل تعرفين ماأحب أن نفعله أنت وأنا ؟ ..

ـ أعرف بالتأكيد يامستر ستيفنز ... يجب ان نتبادل الوداع .

وظل جالسا فى مكانه يراقب تريسى وهى تنهض وتنسحب من قاعة الطعام ...

وتناولت العشاء فى قمرتها وهى تعجب من سوء الطالع الذى وضع جيف ستيفنز فى طريقها مرة اخرى .. وبدا لها أن تنسى

الخوف الذى شعرت به وهي في القطار عندما توهمت انها أصبحت مقبوضا عليها ، فقالت لنفسها : حسنا ... لن أدعه يفسد على هذه الرحلة ... ولهذا سوف أتجاهله ...

وبعد العشاء صعدت تريسى الى سطح الباخرة ... كانت ليلة صافية الاديم لالاءة الانجم ... ووقفت لدى الحاجز فى ضوء القمر تراقب انعكاس الاضواء الفوسفورية على الامواج وتنصت الى خفق الريح الساجية ، عندما احست به الى جانبها .. وقال لها : ليست عندك فكرة الى أى حد تبدين جميلة وانت واقفة هنا ... هل تؤمنين بالغراميات على سطح الباخرة ؟..

ـ بالتأكيد ... لكن مالا أؤمن به هو انت !..

وهمت أن تبتعد ، فعاجلها قائلا : انتظرى .. عندى لك بعض الاخبار ... لقد اكتشفت الآن فقط أن مكسميليان بيربونت ليس على ظهر الباخرة آخر الامر .. فقد الغى رحلته في آخر دقيقة .

ـ آه ! .. ياله من عار !.. لقد خسرت اجرة سفرك !.

ـ ليس بالضرورة ... ما رأيك في التقاط ثروة صغيرة أثناء الرحلة ؟..

هذا رجل غير معقول ! . فردت قائلة : مالم تكن معك غواصة أو هليكوبتر فى جيبك ، فلا اظن انك ستفلت بعد أن تسلب احلاما على ظهر هذه الباخرة ..

ـ من قال اى شيء عن سلب اى انسان ؟ هل سمعت عن موريس مالنكوف البلغارى وبيتر نيجولسكو الرومانى ؟... حسنا .. انهما بطلا الشطرنج العالميان في طريقهما الى ميناء سوشى على البحر الاسود للعب مباراة دولية ... واذا امكننى أن ارتب مباراة لكى تلعبى مع الاثنين معا ، فبالامكان ان نربح مبلغا طائلا ... ان خطتى جاهزة ، وهى مضمونة تماما ..

تطلعت اليه تريسى غير مصدقة ، وقالت : اذا صح تقديرك ، فلتعرف أن هناك ثغرة فى مشروعك ، وهى أننى لا العب الشطرنج ...

فقال وهو يبتسم متسامحا : لا مشكلة هنا .. ساعلمك ..

فقالت تريسى : أنت مجنون ... اذا اردت نصيحة مخلصة ، فابحث لنفسك عن طبيب نفسانى ! ..

وعلى الرغم من هذا فما زال بها جيف حتى اقنعها بالموافقة على

مشروعه الذى عدته جنونيا أول الامر ... وبدأ يدربها على لعب الشطرنج ... بل قال ان خطته تقوم على أن تلاعب الاثنين فى وقت واحد فى جولة واحدة نظير عشرة آلاف دولار يقبضها كل من اللاعبين فى حالة فوزهما ، فى مقابل صورة فوتوغرافية لكل منهما ممهورة بتوقيع البطل ، تنالها تريسى اذا خسرت المباراة ...

ومن عجب ان البطلين قبلا اللعب فى هذه المباراة الغريبة وثوقا من قدرتهما وطمعا فى كسب المبلغ الجزيل دون عناء ... وهكذا اتفق جيف ستيفنز مع رئيس خزانة الباخرة على عقد المباراة فى « قاعة الملكة » يوم الجمعة ليلا ، وسلمه شيكات سياحية بمبلغ عشرين الف دولار ... وسرعان ماانتشرت القصة فى كافة ارجاء الباخرة ، وما أن علم الركاب أن صراف الباخرة نفسه راهن بمبلغ على الطرف الفائز حتى تدفق الرهان من معظمهم ، بل امتد أيضا الى مهندس غرفة الالات ومن معهم من البحارة ...

ومع ذلك فقد ابلغ رئيس الخزانة ربان الباخرة بأمر هذه المباراة الغريبة قائلا : ان معظم الركاب اشتركوا فى المراهنة ، الى حد أن المبلغ الذى تجمع عندى من المراهنات يقرب الآن من مائتى الف دولار ..

وبعد ان تداول الربان مع رئيس الخزانة مترددا بين السماح باجراء المباراة الغريبة أو منعها هز راسه قائلا : يبدو من رائحة العملية أن وراءها لعبة أخرى ... ولكن نظرا لخبرتى بالصدفة فى لعب الشطرنج ، فأنا أعرف أن الغش فى هذه اللعبة غير ممكن ..

وتقدم الربان الى مكتبه وجذب حافظته واردف : راهن لى بمبلغ خمسين جنيها .. على البطلين ...

وفى الساعة التاسعة من مساء يوم الجمعة اكتظت « قاعة الملكة » بركاب الدرجة الاولى والمتسللين من ركاب الدرجتين الثانية والثالثة ، وكذلك بضباط الباخرة والبحارة من غير القائمين بالعمل وبناء على طلب ستيفنز منظم المباراة ، فقد خصصت لها غرفتان ، ووضعت طاولة فى وسط « قاعة الملكة » واخرى فى الصالون المجاور ، واسدلت ستائر للفصل بين القاعتين ، وقال تفسيرا لهذا : لئلا ينشغل كل من اللاعبين بوجود منافسة معه ... كما اننا نريد أن يلزم المتفرجون اماكنهم فى الحجرة التى يختارونها ...

وبالاضافة الى هذا مدت حبال من القطيفة حول كل من الطاولتين لمنع تزاحم المتفرجين حولهما ... وكان هؤلاء يوشكون أن يشهدوا شيئا لن يروا له مثيلا مرة أخرى ... وكانوا لا يعرفون شيئا عن الشابة الامريكية الحسناء ، فيما عدا أنه يستحيل عليها — أو أى أحد آخر — أن يلاعب البطلين الكبيرين فى وقت واحـــد وينتهى بالتعادل مع أى منهما ، طبقا لشروط المباراة ...

وهكذا جاءت اللحظة الحافلة ... وشعرت تريسى بركبتيهـــا ترتعدان ، بعكس اللاعبين اللذين كانا فى منتهى الاعتداد والمرح ..

قال جيف لملنيكوف : حرصا على العدالة لكل طرف ، فاننى أقترح أن تلعب القطع البيضاء حتى تبدأ أنت أولا ... وفى اللعب مـــع مستر نيجوليسكو تلعب مس هويتنى بالقطع البيضاء وتبـــدأ هى بتحريك القطع ...

فقبل البطلان ..

وبين صمت المتفرجين وكان على رءوسهم الطير حـــرك ملنيكوف قطعة وهو يقول لنفسه : لن اهـــزم هـــذه المراة فقط ، بل ساسحقها ...

وتطلع الى تريسى ... فتمعنت فى الرقعة ، وأومأت برأسها ، ثم نهضت دون أن تحرك أية قطعة ... وافسح لها بحار الطريق بين الزحام فدلفت الى الصالون الثانى حيث كان نيجولسكو جالسا ينتظر ... وكان فى الحجرة مائة من المتفرجين على الاقل غصت بهم عندما جلست فى المقعد المواجه له ، فبادرها قائلا : اهـــــلا يا حماتى الصغيرة .. هل هزمت بوريس ؟..

وضحك ضحكة رنانة طربا من نكتته .. فقالت تريسى بهدوء : انا متجهة الى هذا ...

ومدت يدها الى رقعة الشطرنج وحركت مثيل القطعـــة البيضـــاء التى حركها ملنيكوف ... فحرك نيجولسكو قطعة سوداء مماثلة .. وعندئذ نهضت تريسى ورافقها البحار فى عودتها الى ملنيكوف ، حيث حركت مثيل قطعة نيجوليسكو السوداء .. وحانت منهـــا التفاتة الى ناحية جيف فى المؤخرة ، فلمحت منه ايماءة الموافقـــة التى لم يكد يلحظها أحد ..

ومضى اللعب على هذه الوتيرة مما اثار دهشة البطلين وجعلهما يدركان أنهما يواجهان خصما بارعا ... فعلى الرغم من كل حركة

حاذقة صدرت من كل منهما ، استطاعت هذه الهاوية أن تقابلها بحركة مضادة ..

وبسبب الفصل بين البطلين ، لم يدر ملنيكوف ولا نيجوليسكو أنهما كانا في الواقع يتعبان أحدهما ضد الآخر ... ففي كل حركة قام بها ملنيكوف مع تريسي ، كانت تريسي تكررها مع نيجوليسكو وعندما كان يواجهها بحركة مضادة ، كانت تريسي تستخدم تلك الحركة ضد ملنيكوف ...

لم يكن من سبيل لوقف تريسي عند حدود قدرتها ... فقد استمر اللعب اربع ساعات ، لم يتحرك خلالها أحد من المتفرجين في القاعتين ولا تململ في مكانه ...

وفي هذا قال ملنيكوف لنفسه : الملعونة ! .. انها درست مع نيجوليسكو ، وقد لقنها ولاشك !..

وبالمثل قال نيجوليسكو لنفسه : أنها محسوبة ملنيكوف !.. انه أعطاها أسرار لعبته !..

وكانا كلما شددا الوطأة على تريسي ، كلما أدركا انه لا قبل لهما بهزيمتها ... وبدا لهما ان المباراة سوف تنتهي على غير ما كانا يقدران ...

وفي الساعة السادسة من بدء المباراة ، عندما وصل البطلان الى نهاية اللعب ، لم يبق في كل من رقعتي الشطرنج سوى ثلاثة بيادق ، ورخ ، وملك ... ولم يعد من سبيل أمام أحدهما لكي يفوز ...

وما أن أعلنت هذه النتيجة حتى دوى الهتاف في القاعتين ... فلم يكن أحد يصدق أن امرأة جاءت من حيث لا يعلم أحد ، استطاعت أن تقهر أعظم لاعبين للشطرنج في العالم ...

وجاء جيف الى جانبها وقال لها باسما : هلمي بنا ... كلانا في حاجة الى شراب ...

وعندما انسحبا كان كل من ملنيكوف ونيجوليسكو مطرقان في مقعديهما ، يحدقان في رقعة الشطرنج في غير وعي ...

وحول المائدة التي جلست اليها تريسي وجيف في البار العلوي قال لها ضاحكا : كنت رائعة ! .. هل رأيت ما ظهر على وجه ملنيكوف ظننت أنه سيصاب بنوبة قلبية ...

فقالت تريسى : بل انا الذى ظننت اننى ساصاب بنوبة قلبية .. كم ربحنا ؟ .

ـ حوالى مائتى الف دولار .. وسنقوم بتحصيل المبلغ من رئيس الخزانة فى الصباح عند وصول الباخرة الى ميناء سوثمبتون وسأقابلك لنتناول الافطار فى قاعة الطعام ...

وبعد ان افترقا ليأوى كل منهما الى قمرته التقى جيف بأحد ضباط الباخرة الذى قال له : مباراة عظيمة يامستر ستيفنز ... ان نبأ المباراة قد تسرب الى الراديو .. وفى تصورى أن الصحافة سوف تلتقى بكما فى سوثمبتون .. هل انت مدير اعمال مس هويتنى ؟...

ـ كلا .. اننا مجرد متعارفين على ظهر الباخرة ..

بيد أن ذهنه اخذ يعمل بسرعة البرق ... فلو أنه وتريسى ظهرا مرتبطين ببعضهما لبدت العملية مدبرة ... وربما أجرى تحقيق فى الامر ...

وهكذا قرر أن يحصل المبلغ قبل ان تثار اية شكوك ...

وسطر جيف رسالة موجزة الى تريسى بعث بها مع بحار الى تريسى قال فيها : « حصلت المبلغ وسأقابلك فى وليمة افطار فى فندق سافوى » ...

وقصد من فوره الى مكتب رئيس الخزانة وقال له معتذرا : آسف لازعاجك ... سترسو الباخرة بعد ساعات معدودة ، وأنا أعرف أنك ستكون مشغولا جدا ، ولهذا بودى أن أعرف أن كان بمكنك دفع المبلغ لى الآن ؟ ..

فقال رئيس الخزانة باسما : لا ازعاج هناك ..

واخرج الرجل من خزانته مظروفين كبيرين وهو يقول : هذا مبلغ نقدى جسيم قد يصعب التنقل به ... هل تحب أن اعطيك شيكا به ؟..

ـ لا .. لا تشغل بالك .. وهل يمكن ان اطلب منك معروفا ؟. ان قارب البريد سيصل لمقابلة الباخرة قبل رسوها على الرصيف ، اليس كذلك ؟ ..

ـ اجل ياسيدى ... والمنتظر وصوله فى الساعة السادسة صباحا ...

ـ ستكون مكرمة منك لو امكن تدبير نزولى فى قارب البريد ..

ان والدتي في حالة مرضية خطيرة ... وبودى أن ادركها قبل .. قبل فوات الوقت ..

قال كلماته الاخيرة بصوت متهدج ، فبادره رئيس الخزانة : انا في شدة الاسف يامستر ستيفنز .. بالطبع يمكنني تدبير هـذه المسألة من أجلك ... وسأتولى الترتيبات اللازمة مع الجمارك ..

وكانت الساعة السادسة والربع صباحا عندما اخذ جيف ستيفنز يهبط في سلالم الباخرة الى قارب البريد .. وقد تلفت لالقاء نظرة اخيرة على الباخرة الضخمة من فوقه ... كان الركاب لا يزالون يغطون في النوم ... وسيكون جيف على الرصيف قبل أن ترسو الباخرة بمدة كافية ... ولم يتمالك أن قال لاحد البحارة في قارب البريد : كانت رحلة جميلة ..

واذا صوت يرد عليه : نعم ... كانت جميلة فعلا ... اليس كذلك ؟ ..

تلفت جيف حوله .. فاذا تريسى جالسة فوق كومة حبال وشعرها يتموج خافقا في الهواء حول وجهها ..

ـ تريسى ! .. ماذا تفعلين هنا ..

ـ وماذا تظنني فاعلة ؟! ...

فطن الى النظرة التي ارتسمت على وجهها ، فبادر يقول : انتظرى لحظة ! .. لعلك لم تظنني أنني سأغدر بك ؟..

فقالت بلهجة المرارة : ولماذا اظن هذا ؟..

ـ تريسى ! ... انني بعثت اليك بكلمة لكى تسلم اليك في الصباح وقلت فيها انني سأقابلك في فندق سافوى و ...

فقالت بلهجة لاذعة : طبعا كنت ستفعل هذا ... ان حججك لا تنفذ أبدا ! ..

فراح يتطلع اليها دون أن يجد مايقوله ...

وفي جناح تريسى بفندق سافوى جعلت تراقب جيف وهو يعد النقود بعناية ... وقال لها : ان نصيبك بلغ مائة الف وخمسمائة دولار ...

فقالت ببرود : شكرا لك ...

فقال جيف : انت غلطانة في حقى ياتريسى .. بودى لو منحتني فرصة لكى اشرح لك ... هلا تناولت العشاء معى هذه الليلة ؟

ترددت ، ثم قالت : لا بأس ...

ـ جميل ... ساصحبك فى سيارة الساعة الثامنة .

وعندما وصل جيف الى الفندق فى ذلك المساء وسال عن تريسى اخبره موظف الاستقبال أن مس هويتنى قد غادرت الفندق، فى وقت مبكر بعد الظهر ، ولم تترك عنوانا ..

الفصل الحادي والعشرون

كانت الدعوة المكتوبة التى تلقتها تريسى هى التى غيرت مجرى حياتها ...

فبعد أن حصلت على نصيبها من المال من جيف ستيفنز ، انتقلت من فندق سافوى الى فندق آخر فى بارك ستريت كان هادئا واقرب الى السكنى العائلية وامتاز بغرفه البهيجة وخدماته الممتازة ..

وفي يومها الثاني فى لندن جاءها أحد الخدم بدعوة مكتوبة بخط انيق فضتها وقرات منها مايلي: « اقترح على صديق مشترك أن نتعارف لما قد يفضى اليه هذا التعارف من مزايا للطرفين . فهلا قبلت دعوتى لتناول الشاى فى فندق ريتز فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم ؟ ومعذرة اذا قلت اننى ساضع فى صدرى قرنفلة » .. وقد ذيلت الدعوة بتوقيع جانتر هارتوج ...

لم تسمع تريسى فى حياتها بهذا الاسم ، وقد مالت أول الامر الى تجاهل الرسالة ، بيد أن الفضول تغلب عليها ، وفى الساعة الرابعة والربع كانت فى مدخل قاعة الطعام الفخمة بفندق ريتز .. وفى الحال لاحظت وجود الداعى .. كان فى الستينات من عمره ، نحيفا ، تلوح عليه علائم النجابة ، شفاف البشرة ، مرتديا بذلة رمادية غالية ، وفى عروة صدره قرنفلة حمراء .

وعندما تقدمت تريسى الى مائدته نهض وانحنى يسيرا ، قائلا : اشكرك لقبول دعوتى ...

وعلى مائدة الشاى وملحقاته الحافلة قالت له تريسى : اشرت فى رسالتك الى صديق مشترك ... فهلا عرفتنى من يكون ؟..

ـ هو كونراد مورجان الجواهرجى ... اننى اقوم معه ببعض الاعمال بين وقت وآخر .. وهو من أكبر المعجبين بك ...

راحت تريسى تتفرس فى مضيفها ... كانت له هيئة ارستقراطية ومظهر يدل على الثراء ، فتركت له أن يمضى فى التعريف بما يريده

منها ، بيد انه لم يشر الى كونراد مورجان مرة أخرى ، ولا الى المزايا المشتركة التى ستعود على الطرفين : جانترهارتوج وتريسى هويتنى بدلا من ذلك أخذ يحدثها عن ماضى حياته ، فعرفت انه المانى من اب كان من رجال المصارف وام يهودية ، وانه نشأ نشأة مترفة مدللة يتقلب بين التحف الاثرية الثمينة واللوحات الفنية العالمية ، الى أن جاء هتلر فسلب أسرته كل شيء ، وقتل أبواه اثناء الحرب ، اما هو فقد هربه بعض الاصدقاء الى سويسرا ، وبعد انتهاء الحرب العالمية قرر الاقامة فى لندن حيث افتتح متجرا صغيرا للتحف فى مونت ستريت ، حيث يؤمل أن تزوره تريسى ذات يوم وهنا لم تتمالك أن قالت لنفسها بدهشة لعله يريد اذن ان يبيعها شيئا ! ...

لكنها كانت مخطئة كما تبينت فيما بعد ...

وفيما كان يدفع فاتورة الحساب قال لها عرضا : لى بيت ريفى صغير فى هامبشير ..

وقد دعوت عددا قليلا من الاصدقاء لتمضية عطلة نهاية الاسبوع عندى ، ويسرنى جدا أن تنضمى الينا ..

ترددت تريسى ... كان الرجل غريبا عنها تماما ، وهى ما زالت تجهل ما يريده منها ... ثم قررت فى النهاية أنها لن تخسر شيئا ...

وكانت عطلة نهاية الاسبوع شائقة حقا .. ورات تريسى أن البيت الريفى الصغير ، كان قصرا جميلا من القرن السابع عشر فى وسط عزبة مساحتها ثلاثون فدانا ... وكان جانتر أرملا يقيم وحده ، باستثناء خدمه ... وقد طاف بها العزبة التى كانت تضم حظيرة للخيول ومزرعة لتربية الدواجن ، وقال لها برصانة : هذا لكيلا نموت يوما من الجوع ! ...

والآن دعينى أفرجك على هوايتى الحقيقية ...

وقادها الى برج حمام كان مليئا عن آخره ... وقال لها فى معرض الشرح وهو يزهو فخرا : وانظرى الى هذه الحمامة الرمادية ، هى من نوع الحمام الزاجل ، واسمها « مارجو » ، وتستطيع فى عودتها الى برجها هنا أن تطير بسرعة متوسطها اربعون ميلا فى الساعة ، وأن تقطع مسافة تزيد على خمسمائة ميل ! ..

ثم عرفها بضيوفه وكانوا من النخبة : وزير فى الحكومة القائمة

وزوجته ، ولورد ، وجنرال مع صديقته ، وعقيلة مهراجا سابق .. وكانت الصحبة ممتعة انست تريسي الغرض من تعارفها بالداعي ..

وعلى أي حال فقبل ان تعود تريسي الى لندن بعد ظهر الاحد ، اجتمع بها جانتر في مكتبه وقال لها بغير مقدمات : اعرف انك في شوق لمعرفة سبب دعوتي لك ... فهل عندك مشروعات للمستقبل؟

ترددت تريسي ، ثم اجابت : كلا ... كلا ... لم اقــرر بعد ما انوى ان أقوم به ..

ـ اظن انه يمكننا ان نعمل معا اعمالا مثمرة .

ـ تقصد في محلك للتحف والعاديات ؟ ..

فضحك قائلا : كلا يا عزيزتي ... من المخجل ان نبدد مواهبك الممتازة ... الحقيقة انني عرفت مغامرتك مع كونراد مورجان .. وقد تصرفت بمنتهى البراعة .

ـ اسمع ياجانتر ! .. كل هذا اصبح الآن من الماضي !..

ـ ولكن ماذا عن المستقبل ؟ ... لا بد ان تفكري في مستقبلك . من المؤكد ان ماعندك الآن من المال لابد ان ينفد يوما ما ... وانا اقترح عليك المشاركة في العمل ... انني اختلط بدوائر راقيــة محليا وعالميا ... واشهد حفلات الرقص الخيرية الكبرى ، ورحلات الصيد والقنص ، وسباقات اليخوت .. انني اعرف دخائل ومخارج اهل الغنى وارباب الثراء ...

ـ لست أرى ماعلاقة هذا بي ؟..

ـ بامكاني ادماجك في هذا الدائرة الذهبية .. بوســعي ان امدك بالمعلومات عن المجوهرات الاسطورية واللوحات الفنية العريقة، وكيف يمكنك ان تضعي يدك عليها في امان ... اما انا فاستطيع ان اتصرف فيها بطرقي الخاصة ... وسيكون في قــدرتك ان تسوى الميزان مع أولئك الذين اثروا على حساب الاخرين .. وكل ما نستحوذ عليه سيكون قسمة بيننا .. ماقولك ؟

ـ اقول كلا ..

فتفرس فيها ساهما ، ثم قال : معلوم .. هل تتصلين بي اذا غيرت رايك ؟ ..

ـ لن اغير رايي ياجانتر ...

وفي مستهل هذا المساء عادت تريسي الى لندن ..

***

صدق حساب جانتر هارتوج ... فقــد عاشت تريسي اياما

واسابيع عيشة البذخ تغشى أفخر المطاعم والمنتديات وترتاد اشهر المسارح وتقتنى اغلى الازياء مما كاد يأتى على مالها وجعلها تفكر فى المستقبل تفكيرا جديا ...

وفى خلال ذلك تكررت دعوات جانتر هارتوج لها لقضاء عطلة نهاية الاسبوع فى بيته الريفى ، فكانت تسعد بضيافته ...

وفى احدى هذه الدعوات قال لها عضو فى البرلمان اثناء مأدبة العشاء : اننى لم التق يوما يامس هويتنى بأحد أبناء ولاية تكساس فما هى طباعهم ؟..

فأخذت تريسى فى تقليد غنية محدثة من أبناء الولاية الامريكية بصورة مسرفة فى السخرية حتى ضج الضيوف بالضحك ..

وعندما صارت تريسى مع جانتر وحدهما بعد ذلك قال لها : مارأيك فى جمع ثروة صغيرة من مثل هذا التقليد المتقن ؟..

ـ انا لست ممثلة ياجانتر ...

ـ انت تبخسين نفسك ومواهبك ! ... هناك متجر كبير للمجوهرات فى لندن يعرف باسم باركر وباركر يجد سعادته فى « انتزاع ريش » زبائنه الاغنياء ، على حد تعبيركم فى أمريكا .. وقد أعطيتنى فكرة عن كيفية جعلهم يدفعون ثمن استغلالهم للزبائن ..

وأفضى اليها بفكرته .. فقالت تريسى : كلا ...

بيد أن رفضها هذه المرة كان مشوبا بالتردد بعد ان تذكرت لذة المغامرة وكيف تفوقت على البوليس فى عملية لويز بيلامى فى لونج ايلاند وعلى بطلى الشطرنج العالميين فى الباخرة « الملكة اليزابيث الثانية » وعلى جيف ستيفنز نفسه ! ..

***

ما أن توقفت السيارة البيضاء الفخمة أمام محلات « باركر وباركر » الجواهرجية بشارع اكسفورد حتى اسرع السائق بفتح الباب فترجلت منها امراة شابة شقراء الشعر مسرفة فى «الماكياج» ترتدى فوق فستانها الايطالى الضيق معطفا من فرو السمور ... وقد وقفت تريسى برهة امام المحل تستعرض انعكاس صورتها فى الواجهة ، ولما اطمأنت الى هيأتها التى تمثل امراة محدثة الغنى من ولاية تكساس ، دلفت الى المحل حيث استقبلت بحفاوة رغم

اسلوب حديثها الصاخب المختلف عن مسلك مرتادى هذا المتجر الكبير من الطبقات الانجليزية الراقية ...

وخف اليها البائع شيلتون يلبى طلباتها ، فقالت له : اريد شيئا مطعما بالزمرد ، وهو مايحبه زوجي بنيكي ...

فقادها الى « فترينة » بها مجموعة من هذه اللآلىء ، ولكنها قالت له باحتقار : هذه مجرد « أولاد » زمرد ! ... أين « الامهات » و « الآباء » ؟! ..

وقهقهت عاليا طربا من تكتتها ، فقال البائع بجمود : ان ثمنها يقارب ثلاثين الف دولار للقطعة الواحدة ...

ـ يا لجهنم ! . انا أمنح حلاقى « بقشيشا » بهذا المبلغ !.. سيغضب زوجي بنيكي متى اذا رجعت اليه بهذه « الحصوات » !.

ـ وماهو مستوى الثمن الذى تراه سيدتى ؟..

ـ لماذا لا نبدأ بمائة الف دولار مثلا ؟..

فقال البائع وهو يبتلع ريقه : فى هذه الحالة يحسن أن تتصلى بمدير المحلات ...

وقدمها البائع الى جريجورى هالستون المدير النحيل المعروق قائلا :

مستر هالستون ... هذه مسز ..

والتفت الى المراة الشقراء الفاقعة الزينة ، فقالت : بنيكى باحلو ... مارى لوبنيكى .. زوجة المليونير بنيكى .. اراهن أنكم سمعتم عن ب . ج بنيكى !..

فرد المدير ايجابا من قبيل المجاملة ، ولما قال له البائع أن القادمة تريد زمردا يبدأ ثمنه من مائة ألف دولار هش وبش فى وجهها ، وقادها الى باب موصد فتحه بمفتاح ، وادخلها الى غرفة صغيرة باهرة الضوء ، ثم اغلق الباب خلفه باحكام قائلا : هنا نحتفظ ببضاعتنا المخصصة للزبائن الممتازين .

كان فى وسط الغرفة الصغيرة « فترينة » عرض مليئة بتشكيلة » مذهلة من الماس واليواقيت والزمرد يتلألأ بريق الوانها وقال لها : هل ترى سيدتى شيئا يعجبها هنا ؟

فتقدمت نحو العلبة التى تضم الزمرد وقالت : دعنى ارى هذه « التشكيلة » ..

فأخرج هالستون مفتاحا صغيراً آخر من جيبه وفتح العلبة

ورفع منها صحفة الزمرد ووضعها فوق المنضدة .. كان بها عشر قطع من الزمرد ، ووقف هالستون يراقبها وهى تتناول أكبرها ، وكانت ترصع مشبكا من البلاتين ، وقالت بعد أن فحصتها بامعان: سآخذ هذه القطعة ياحلو ..

ان عملية البيع هذه لم تستغرق أكثر من ثلاث دقائق ، وقال لها المدير من فوره : رائع .. وثمنها بالدولارات يصل الى مائة الف .. باى عملة ستدفع سيدتى ؟..

ـ لا تشغل بالك ياجميل ... لى حساب بالدولارات فى بنك هنا فى لندن ... سأكتب لك شيكا بالمبلغ ، وبعد ذلك سيرده لى ب . ج . بنيكى ..

ـ عظم ... سنقوم بتنظيف المشبك وتسليمه لك فى الفندق .

لم يكن المشبك بحاجة الى تنظيف ، ولكن هالستون كان حريصا على عدم خروج القطعة الثمينة من حيازته الا بعد تحصيل قيمة الشيك فى البنك ، اذ كان يعرف من السوابق أن الكثير من الجوهريين قد تعرضوا لعمليات نصب واحتيال ماكرة ، وهو ما يفاخر بأنه لم يتعرض لمثلها فى حياته ...

ـ وأين يكون تسليم المشبك ياسيدتى ؟ ...

ـ فى فندق دورتشستر ، حيث يتعامل زوجى مع أثرياء البترول أن « ب . ج . بنيكى » رجل حاذق !!..

ـ هذا مؤكد ياسيدتى ...

ووقف يراقبها وهى تملأ الشيك الذى اخرجته من دفترها ، ولاحظ أنه من بنك باركليز ، فاطمأن ، اذ له صديق فى البنك يمكن أن يتحقق من حساب بنيكى ...

ولما تناول الشيك قال لها : ستسلم اليك الزمردة شخصيا فى الفندق صباح باكر ...

فهشت فى وجهه قائلة : انا متأكدة أن ب . ج . بنيسكى سوف يسعده أن يقدم لى هذه الهدية فى عيد ميلادى ..

ورافقها الى الباب الخارجى حيث استقلت سيارتها الفخمة ، واسرع عائدا الى مكتبه حيث اتصل تليفونيا بصديقه وقال له : بيتر يا عزيزى ... عندى الآن شيك بمبلغ مائة الف دولار محرر على حساب مسز مارى لوبنيكى ... هل هو سليم ؟..

فاستمهله بيتر فترة ، ثم رد عليه قائلا : لا مشكلة ياجريجورى هناك رصيد كاف يغطى هذا الشيك ..

لتنفس هالستون الصعداء قائلا : شكرا لك ... موعدنا للغداء الاسبوع القادم . على حسابى ..

وتم تحصيل قيمة الشيك فى صباح اليوم التالى ، وسلم المشبك الثمين مع رسول معتمد الى مسز ب . ج . بنيكى فى فندق دورتشستر ...

وبعد ظهر نفس اليوم ، قبيل موعد اغلاق متجر المجوهرات ، جاء سكرتير هالستون وقال له : حضرت الى هنا سيدة باسم مسز بنيكى طالبة مقابلتك ...

غاص قلبه .. لابد انها عادت لارجاع المشبك الثمين ، ولم يكن ممكنا أن يرفض ... الا لعنة الله على النساء جميعا ، وعلى الامريكيين ، وعلى كل اهل تكساس ! ..

ومع ذلك اغتصب هالستون الابتسام ، واستقبلها بحفاوة قائلا : اخشى أن يكون زوجك لم يعجبه المشبك ...

ـ اخطأت فى تصوراتك يا مجنون ... ان ب . ج . بنيكى افتتن به الى حد الجنون ! ..

فأخذ قلبه يرقص من جديد ، بينما استطردت تقول : انه فى الحقيقة اعجب به جدا لدرجة انه يريد منى ان احصل على زمردة مطابقة لكى نصنع قرطا من الاثنتين ... والآن اريد توام الزمردة التى اشتريتها منكم ...

فقطب هالستون يسيرا وقال : اخشى اننا سنواجه مشكلة هنا يامسز بنيكى . ان الحجر الكريم الذى اشتريته منا هو فريد فى نوعه ، وليس هناك ما يشابهه ... عندنا تشكيلة جميلة من نوع آخر ، ويمكن ...

ـ لا اريد اى نوع آخر ... اريد زمردة مثل التى اشتريتها ..

وعبثا حاول أن يؤكد لها استحالة العثور على زمردة مماثلة ، فقد أصرت على طلبها ، واضافت قائلة : ان يوم السبت هو عيد ميلادى ، و ب . ج . بنيكى يريد ان تكون هديته هى هذا القرط ، وما يريده ب . ج . بنيكى لابد أن يتم ..

ثم فكرت لحظة وقالت : كم دفعت فى هذا المشبك الزمردى ؟. مائة الف دولار ؟ .. انا أعرف ان ب . ج . بنيكى على استعداد لرفع المبلغ الى مائتى الف او حتى ثلثمائة الف دولار ثمنا للزمردة التوأم المطلوبة ..

راح هالستون يفكر بسرعة ... لابد من وجود مثيل لهذه الزمردة فى مكان ما ، واذا كان ب . ج . بنيكى على استعداد لدفع مائتى الف دولار اخرى ثمنا لها ، فهذا مكسب جسيم فى الواقع .. وفى هذا قال هالستون لنفسه : بامكانى ان ادبر هذه المسالة بحيث احصل منها على مكسب طيب لنفسى ! .. وهكذا قال لها : سأقوم بالبحث فى كل مكان يامسز بنيكى ... ومع ثقتى بعدم وجود توام هذه الزمردة عند اى جواهرجى آخر فى لندن ، الا انه توجد دائما تركات تعرض فى المزادات ، وسانشر عددا من الاعلانات فى الصحف وارى ماذا تكون النتيجة ..

فقالت الشقراء المزوقة : امامك فرصة حتى نهاية الاسبوع ... وبينى وبينك فان ب . ج . بنيكى قد يرفع المبلغ الى ثلثمائة وخمسين الف دولار ...

وانسحبت مسز بنيكى ومعطفها فرو السمور يتموج خلفها ..

وجلس هالستون فى مكتبه سابحا فى الحلم .. ان الاقدار وضعت بين يديه رجلا مختبل العقل بشقرائه المزوقة الى حد استعداده لدفع مبلغ ثلثمائة وخمسين الف دولار عن زمردة قيمتها مائة ألف دولار ، مما يعنى ربحا صافيا قدره مائتان وخمسون الف دولار ... وقد رأى هالستون انه لا حاجة لكى يثقل على « باركر اخوان » بتفاصيل هذه العملية .. فمن السهل تسجيل بيع الزمردة الثانية بمائة الف دولار ، ويضع هو الباقى فى جيبه .. ان هذا الفرق وهو مائتان وخمسون الف دولار كفيل بأن يغنيه مدى الحياة وكل ما عليه الآن هو البحث عن زمردة توأم للتى باعها الى مسز ب . ج . بنيكى ...

غير انه تبين أن العملية أصعب مما توقع هالستون .. فقد أسفرت اتصالاته التليفونية بمحال المجوهرات الكبرى وبصالات المزاد الشهيرة عن عدم العثور على زمردة مطابقة للزمردة المطلوبة ، وبقى الامل الاخير فى الاعلانات التى نشرت فى الصحف .. وفى خلال ذلك اتصلت به مسز ب . ج . بنيكى تليفونيا مرتين تستعجل النتيجة ، وفى المرة الثانية قالت له : غدا السبت هو عيد ميلادى واذا لم تتمكن من العثور على الزمردة المطابقة صباح الغد ، فاننى سأعيد الزمردة التى اشتريتها منكم .. ان ب . ج . بنيكى بارك الله

فيه قال لى انه سيشترى لى بدلا منها ضيعة كبيرة فى مكان يسمى سسكس .. هل تعرفه ؟..

فرد هالستون بسرعة وهو غارق فى درقه : هذا مكان ريفى شنيع يامسز بنيكى لن تطيقى الاقامة فيه ؛ وتصوره فى حالة يرثى لها من القدم ، وهى خالية من التكييف و ..

فقاطعته قائلة : بينى وبينك ، انني افضل القرط الزمردى .. بل ان ب . ح . بنيكى ابدى استعدادا لرفع المبلغ الى اربعمائة الف دولار لتوام الزمردة التى اشتريتها ... انت لا تعرف كم هو عنيد ! ..

وقطعت المكالمة التليفونية وهو يشعر بان الثروة توشك أن تفلت من يديه ... وجلس يلعن سوء حظه مستغرقا فى تأملاته المحمومة الى حد انه لم يفطن الى رنين جرس التليفون الداخلى الا فى المرة الثالثة ، عندما افاق ورفع السماعة ساخطا ، فقال له سكرتيره : على الخط سيدة تدعى الكونتيسة ماريسا ، وهى تقول ان المسألة خاصة بالاعلان المنشور عن الزمردة ...

مكالمة جديدة ؟!. انه تلقى هذا الصباح عشر مكالمات على الاقل ، وكلها كانت ضياعا للوقت ! .. ومهما يكن فقد جاءه فى التليفون صوت رقيق تقول صاحبته الايطالية اللهجة : اننى طلعت على اعلانكم فى الجرائد ، وعندى زمردة تطابق أوصافها المطلوب ، وهى لدى أسرتى منذ سنين طويلة .. لكن ظروفى الحالية تضطرنى بكل أسف الى بيعها ... ألم تذكروا فى الاعلان أنها وزن عشرة قراريط وخضراء اللون ؟ ..

رد هالستون بصوت يكاد يختنق : اذا كانت كما تقولين ، فهل يمكن أن تشرفينا بالحضور للمعاينة ؟..

ــ آسفة .. فانا مشغولة ... اننا الآن نعد حفلة فى السفارة لزوجى ... وربما اتمكن فى الاسبوع القادم ..

ــ هل يمكن ان احضر عندك ؟ .. اين تقيمين ياكونتيسة ؟ ..

ــ فى فندق سافوى ..

ــ سأكون عندك فى خلال ربع ساعة .. لا .. عشر دقائق ..

ــ مناسب جدا .. واسمك ؟.

ــ هالستون .

ــ انا فى الجناح رقم ٢٦ ..

وفي سيارة الاجرة التى استقلها هالستون كان ذهنه يسابق الريح ... ان الربح الذى سيناله شخصيا كفيل بأن يهيىء له شراء فيلا في الريفييرا ، وربما يخت ايضا ... وبالفيلا واليخت ستتهافت عليه الحسان زرافات ووحدانا !..

وعندما طرق هالستون باب الكونتيسة ماريسا الفى نفسه أمام سيدة انيقة رشيقة فى الخمسينات من عمرها ، سوداء العينين والشعر ، يخالطه لون رمادى ... وبعد أن دعته الى الدخول باللهجة الايطالية المنغومة قال لها وهو يغالب لهفته : اين الزمردة ؟.

ـ هلا جلست بالله ؟ ... اتشرب القهوة أم الشاى ؟..

ـ لا ، اشكرك يا كونتيسة .. الزمردة ؟..

فراحت تقول : ان الزمردة أهديت لى من جدى ، وبودى أن اهديها بدورى الي ابنتى عندما تبلغ الخامسة والعشرين ، لكن زوجي ينوى الانتقال الى عمل جديد في ميلانو ، ويهمني ان اقدم له يد المساعدة في مشروعه .. وربما كنت مخطئة في عرض ..

فعاجلها قائلا : لا لا يا كونتيسة .. من واجب الزوجة أن تساند زوجها ... اين الزمردة ؟..

ـ هي عندي هنا ..

ومدت يدها الي جيبها واخرجت جوهرة ملفوفة بقماش ، وعرضتها علي هالستون ..

جعل يحدق فيها ، وسرعان ما حلقت روحه المعنوية .. كانت قريبة جدا فى مظهرها ولونها وحجمها من الزمردة التى باعهـا لمسز بنيكى ، الي حد أن الفارق بين الاثنتين لا تكاد تدركه العين .. وشعر بيديه ترتعشان فتمالك وجعل يقلبها بين يديه ويعرض مختلف جوانبها للضوء ، ثم قال :

ـ انني اسدى معروفا الى سيدة صديقة ياكونتيسة .. ان في محلاتنا حجارة كريمة أثمن من هذه بكثير ، ولكن الصديقة تصر على زمردة كالتي اشترتها منا لعمل قرط من الاثنتين ... وأعتقد انها مستعدة لدفع ستين الف دولار ثمنا لزمردتك ..

فتنهدت الكونتيسة قائلة : ان شبح جدى سوف يطاردني من قبره اذا بعتها بهذا المبلغ ...

فقال هالستون باسما : سأقول لك ماذا ... ربما امكنني اقناع صديقتى برفع المبلغ الى مائة الف دولار ... وهذا مبلغ جسيم

فى الواقع ، لكن الصديقة متلهفة للحصول على الزمردة ..
فقالت الكونتيسة : هذا مبلغ معقول .. لكن يؤسفنى ان اقول ان مشروع زوجي يتطلب ثلثمائة وخمسين الف دولار ، وليس عندى اكثر من مائة الف دولار ... وهكذا لا يمكن ان ابيع باقل من مائتين وخمسين الف دولار ..
وعبثا راح هالستون يساومها لتخفيض المبلغ ، لكنها تمسكت بالقيمة التى حددتها ، ولم يستطع ان يزحزحها ... وهكذا قر قراره آخر الامر ... ان ربح مائة وخمسين الف دولار لنفسه خير من لا شيء ... نعم ان الفيلا واليخت سيكونان اصغر ، لكنها ثروة على اى حال ... وهذا مايستحقه « باركر اخوان » من المعاملة التى وجدها منهم طيلة خدمته عندهم ... ولسوف ينتظر يوما أو يومين ثم يقدم استقالته .. ولن يحل الاسبوع القادم الا وهو فى الريفييرا ...
قال فى النهاية وهو يدس الزمردة فى جيبه : لا باس .. ساعطيك شيكا من حساب المحلات بمائتين وخمسين الف دولار ..
وحرر الشيك وقدمه للكونتيسة .. وسيطلب من مسز ب .ج. بنيكى ان تدفع مبلغ الاربعمائة الف دولار شيك ، ثم يتولى صديقه بيتر فى بنك باركليز اضافة شيك الكونتيسة بمبلغ ٢٥٠ الف دولار، بحيث يؤول فرق التسوية الى جيبه الخاص ، مع مراعاة عدم ظهور هذا الشيك الاخير فى كشف الحساب الشهرى لمحلات « باركر اخوان » ... وهكذا يكون نصيبه من هذه الصفقة ١٥٠ الف دولار !..
وعاد هالستون الى مكتبه وهو يكاد يطير من الفرح ، واغلق الباب على نفسه ، ووضع الزمردة فوق المكتب ، ثم رفع السماعة وطلب رقما ... وبعد أن ردت عليه عاملة التليفون فى فندق دورتشستر ، طلب منها توصيله بمسز ب . ج . بنيكى ... فاستمهلته العاملة ، اخذ خلالها يصفر منشرح الصدر ..
ثم جاءه سوتها يقول : آسفة .. مسز بنيكى تركت الفندق ..
ـ هذا مستحيل ! .. انها ..!
ـ ساوصلك بمكتب الاستقبال ...
ـ هل من خدمة ياسيدى ؟..
ـ فى اى جناح توجد مسز ب . ج . بنيكى ..

ـ ان مسز بنيكى تركت الفندق نهائيا هذا الصباح ...
لابد من وجود تفسير ! ... لابد ان شيئا غير متوقع قد حدث!..
ـ هل يمكن أن اعرف عنوانها الجديد من فضلك ؟ .. هــذه محلات .
ـ آسف .. انها لم تترك أى عنوان ! .. اننى كنت فى توديعها بنفسى ...
احس هالستون بلطمة فى معدته .. وقد وضع السماعة وجلس مكانه مشدوها .. لابد له من ايجاد طريقة للاتصال بها وتعريفها بانه قد وجد الزمردة التوام المطلوبة اخيرا ... وفى خلال ذلك لابد له من استرداد شيك الـ ٢٥٠ الف دولار الذى حــرره باســم الكونتيسة ماريسا ! ...
اسرع بطلب فندق سافوى تليفونيا ، جناح رقم ٢٦ ..
ـ من تطلب ياسيدى ؟ ..
ـ الكونتيسة ماريسا ..
ـ لحظة من فضلك ..
ولكن حتى قبل أن تعود عاملة التليفون للرد عليه ، حدثه قلبـه بالكارثة التى يوشك ان يسمع نباها ... قالت العاملة : الكونتيسة ماريسا تركت الفندق ..
أعاد السماعة .. وكانت أصابعه ترتعد ارتعادا عنيفا وهو يدير فى التليفون رقم البنك .. وصلنى برئيس الحسابات .. حالا !..
اريد وقف دفع شيك ! ...
ولكن الطلب جاء بالطبع بعد فوات الاوان وبعــد أن تم صرف الشيك ... لقد باع زمردة بمبلغ مائة الف دولار ، ثم عاد واشترى نفس الزمردة بمبلغ مائتين وخمسين الف دولار ! ..
كيف يستطيع بالله أن يشرح هذا لاصحاب محلات « باركـر اخوان » ؟! ..

الفصل الثانى والعشرون

كانت بداية حياة جديدة لتريسى ...
فقد اشترت بيتا جميلا من الطراز الجريجورى القديم فى « ايتون سكوير » له حديقتان امامية وخلفية تنبت ازهارهما المونقة طوال

العام وتكسب البيت بهاء وبهجة ورواء ، وساعدها جانترهارتوج في تأثيثه ، حتى كان البيت تحفة رائعة ! ..

وتولى جانتر تقديم تريسى للمجتمع كأرملة شابة غنية كون زوجها ثروته من أعمال الاستيراد والتصدير ... ومنذ البداية لقيت نجاحا طيبا وهي الجميلة ، الذكية ، الجذابة .. وسرعان ماانهالت عليها الدعوات ...

وبين فينة واخرى كانت تقوم برحلات قصيرة الى فرنسا وسويسرا وبلجيكا وايطاليا ، وكل هذه الرحلات كانت مثمرة مربحة لهـا ولجانتر ..

وتحت اشراف جانتر ورعايته ، درست التقاويم والموسوعات المتخصصة التي تقدم معلومات تفصيلية عن الملوك والامـراء وذوى الالقاب في أوربا ... وأصبحت خبيرة في فنون التنكر والتحدث بشتى اللهجات ، وحازت عشرات جوازات السفر المختلفة لكثير من البلدان والجنسيات : فمرة هي دوقة بريطانية ، واخرى هي مضيفة في الخطوط الجوية الفرنسية ، وثالثة هي وارثة من امريكا الجنوبية ... وفي عام واحد تكدست لديها أموال كانت أكثر من حاجتها ... وقد خصصت من هذه الاموال صندوقا خاصا راحت تغدق منه تبرعات بأسماء مجهولة للهيئات التي تعمل على مساعدة نزيلات السجون السابقات ، وخصصت معاشا شـهريا سـخيا لاوتو شميدت وكيل مصنع امها السابق ... بيد انها لم تعد ترحب بفكرة التخلى عن عملها هذا ... فقد اصبحت مشغوفة بالتفـوق على الاذكياء والناجحين ... وكانت نشوة كل عملية جريئة تقوم بها حافزا لها على المزيد من عمليات اضخم واجرأ ... شيء واحد فقط جعلته نصب عينيها ، اذ كانت حريصة على عدم ايذاء الابرياء وكان أولئـك الذين تقض مضاجعهم عملياتهم المثيرة في النصـب والاحتيال ، من طينة الجشعين والمجردين من كل خلق ..

وقد بدأت الصحف تنشر مختلف القصص عن المغامرات الجريئة التي اخذت تحدث في كل ارجاء اوربا .. وبسبب استعانة تريسى بشتى أساليب التنكر والتخفي ، اصبح البوليس مقتنعا بان عمليات الاحتيال والتدليس والسرقات التي كانت تتسم بالابتكار والتهـور هي من فعل عصابة من النساء ...

وبدأ البوليس الدولي « الانتربول » بتحرك ...

وفى هذا اجتمع رينولدز رئيس اتحاد شركات التأمين فى نيويورك بالمحقق الداهية دانييل كوبر وقال له : ان عددا كبيرا من عملائنا الاوربيين اضيروا بهذه العمليات ـ التى يبدو انها من فعل عصابة من النساء ، حتى تعالى صراخهم فى كل مكان ، وهم يطالبون بالقبض على هذه العصابة .. وقد وافق « الانتربول » على التعاون معنا ... وهذه مهمتك يا دانييل ... عليك أن تسافر الى باريس فى الصباح ...

وفى مبنى مقر البوليس الجنائى الدولى « الانتربول » المكون من سبع طبقات على مسافة ستة اميال الى الغرب من باريس ـ عقد اجتماع حافل فى هذا الصباح الباكر من شهر مايو ، تحت رئاسة المفتش اندريه ترينيان ، وهو رجل جذاب مهيب فى منتصف الاربعينات من عمره ، تلوح عليه أمارات الذكاء والدهاء واضحة جلية ، وشهد الاجتماع مفتشون للبوليس من انجلترا وبلجيكا وفرنسا وايطاليا ..

وراح المفتش ترينيان يقول للحاضرين : أيها السادة ـ لقد تلقيت طلبات ملحة من كل من بلادكم لامدادها بمعلومات عن الجرائم المتهورة التى وقعت مؤخرا فى كل انحاء اوربا ... ان حوالى ست دول قد اصيبت بوباء من عمليات النصب والاحتيال والسطو المتسمة بالحذق والافتتان ، والقاسم المشترك فيها هو التشابه .. ان الضحايا كانوا دائما من غير ذوى السمعة المحمودة ، ولم يحدث فى اى منها شىء من العنف ، وكان الفاعل دائما امرأة ... وقد وصلنا الى الاقتناع باننا فى مواجهة عصابة دولية من النساء ... ولدينا الآن صور تقديرية قائمة على اساس الاوصاف التى أدلى بها الضحايا والشهود العابرون .. وكما ترون من هذه الصور ، فليست واحدة من النساء تشبه الاخرى .. فبعضهن شقراوات ، وبعضهن سمراوات ... وقد تفاوتت التقارير المقدمة عنهن ، بين انجليزيات ، وفرنسيات ، واسبانيات ، وايطاليات ، وأمريكيات ـ أو بالاحرى من ولاية تكساس .. هذا ، وليست لدينا فكرة عن شخصية زعيمة هذه العصابة ، ولا اين مقرها .. فانها لا تترك خلفها اية آثار مرشدة ، وهى تختفى مثل حلقات دخان ... ولسوف نقبض على احداهن عاجلا أو آجلا ، وعندما نصل الى هذا ، فسنضع ايدينا عليهن جميعا .. وفى غضون ذلك أيها السادة ، والى أن

بوافينا احد منكم بمعلومات محددة ، فأخشى ان اقول اننا امام طريق مسدود ...

***

وعندما وصل دانييل كوبر محقق اتحاد شركات التامين الامريكية الى مقر « الانتربول » استقبله المفتش ترينيان بتحفظ ، وقال له : لابد لى أن أبلغك أن وضعك هنا غير عادى ... فانك لست من أية هيئة بوليسية ، ووجودك معنا أمر غير رسمى ... ومع ذلك فقد طلبت الينا ادارات البوليس فى عدة دول أوربية أن نمد يد التعاون ...

لم يقل دانييل كوبر شيئا ، فاستطرد المفتش ترينيان قائلا : لقد فهمت انك محقق لاتحاد شركات التامين ..

ـ ان بعض عملائنا الاوربيين قد منوا بخسائر فادحة مؤخرا .. وقد فهمت انه لا توجد دلائل ترشد الى اى شىء ..

فتنهد المفتش ترينيان قائلا : يؤسفنى أن أقول ان هذه هى الحقيقة .. نحن نعرف اننا نتعامل مع عصابة من النساء البارعات الى حد كبير ، ولكن فيما عدا ذلك ...

ـ الا توجد معلومات من اى مرشدين ؟.. كلا ؟.. الا تلفت نظرك غرابة شىء كهذا ؟ ..

ـ ماذا تقصد ياسيدى ؟.

ـ عندما يتصل الامر بعصابة عاملة ، يكون هناك دائما شخص يتكلم اكثر من اللازم ، وينفق أكثر من اللازم ، ويشرب اكثر من اللازم ... من المستحيل على أية جماعة كبيرة من الناس أن تبقى سرها طى الكتمان ... هلا تفضلت وزودتنى بتقاريركم عن هذه العصابة ؟...

هم المفتش ترينيان اول الامر أن يرفض ، فقد بدا له دانييل كوبر شخصية منفرة متعالية .. ومع ذلك فهو مطالب بالتعاون الكامل ... ولهذا قص على كره : سأطلب نسخ صور من التقارير وارسلها اليك فى الفندق ...

وعكف دانييل كوبر فى غرفة بالفندق فى باريس على دراسة التقارير التى بعث بها المفتش ترينيان .. وظل ساهرا حتى الرابعة صباحا يدرسها بامعان ، محللا هذا الخليط الكبير من عمليات السرقة والاحتيال ... وكان بعضها معروفا له ، ولكن بعضها كان

جديدا عليه ، وكان جميع الضحايا من غير ذوى السمعة الحميدة كما قال المفتش ترينيان ...
وقد استرعى نظره من هذه التقارير واحد عن حادث سرقة وقع فى بروكسل ، وفحواه أن مستر فان روزين السمسار البلجيكى فى البورصة تعرض لسرقة مجوهرات من خزانة فى الحائط قيمتها مليونا دولار ، وكان السمسار قد تورط فى عمليات مالية مشبوهة ... وبدا من تفاصيل الحادث الذى تم فى غيبة السمسار وروجته فى اجازة أن اللصوص ابطلوا نظام الانذار ، وعندما وصل رجال الشرطة تلقتهم لدى الباب امرأة ترتدى ثوب نوم شفافا ، وكان شعرها معقودا تحت قلنسوة ، ووجهها مكسوا بمعاجين التطرية . وقد زعمت لهم انها ضيفة أصحاب البيت ، فتقبل رجال الشرطة قصتها ، وبعد أن تم اتصالهم بالاسرة للتحقق مما قيل لهم ، كانت المرأة والمجوهرات قد تبخرت ...
وهنا هز المحقق دانييل كوبر راسه هزة العارف الخبير ...
وعندما عاد الى الاجتماع بالمفتش ترينيان وافضى اليه بوجهة نظره قال له هذا متضجرا : انت مخطىء ... اقول لك انه يستحيل على امرأة واحدة أن تكون مسئولة عن كل هذه الجرائم ...
فقال كوبر : هناك وسيلة للتحقق من هذا ...
ـ كيف ؟ ..
ـ اود أن نستعين بالكمبيوتر فى صدد تواريخ واماكن عمليات السرقة والاحتيال التى تنطبق عليها هذه النوعية ...
ـ هذا سهل جدا ، لكن ...
ـ واود أيضا الحصول على تقارير ادارات الهجرة عن كل سائحة امريكية كانت موجودة فى تلك المدن ذاتها فى الاوقات التى ارتكبت فيها الجرائم ... من الجائز أن المرأة استخدمت جوازات سفر مزورة فى بعض الحالات ، ولكن من المرجح أنها استخدمت أيضا شخصيتها الحقيقية ...
اخلد المفتش ترينيان الى التأمل برهة ... بيد انه لم يلبث ان تغلب على نفوره من هذا الضيف الثقيل ، وقال له : لا بأس ... سأتخذ مايلزم فى هذا الشأن ...
كانت عملية السرقة الاولى فى هذه السلسلة قد ارتكبت فى ستوكهولم ... وقد جاء تقرير فرع « الانتربول » فى السويد معددا

اسماء السائحات الامريكيات فى ذلك الاسبوع ، وتم تزويدالكمبيوتر بهذه الاسماء ... وكانت المدينة الثانية التى طلبت منها التحريات هى ميلانو ... وعندما روجعت فى الكمبيوتر اســـماء السائحات الامريكيات فى ميلانو وقت حادث السرقة هناك مع أسماء السائحات فى ستوكهولم ، كانت القائمة تضم خمسة وخمسين اســما ... ثم اجريت مراجعة القائمة كلها مع اسماء السائحات الامريكيات فى ايرلندا وقت حادث الاحتيال الذى وقع هناك ، فانخفض عــدد الاسماء الى خمسة عشر ... وعندئذ قدم المفتش ترينيان الورقة المطبوعة الى دانييل كوبر قائلا : سابدا بمراجعة هذه الاسماء مع اسماء حادث الاحتيال فى برلين و ...

ولكن دانييل كوبر تطلع اليه قائلا : لا تتعب نفسك .

فقد كان الاسم المطبوع فى أول القائمة هو تريسى هويتنى ...

وبهذا الاساس المادى الذى يمكن الاستناد اليه فى النهاية لمواصلة التحقيق ، شرع « الانتربول » فى العمل ... وهكذا أعدت منشورات دورية حمراء ، ومعناها الاولوية القصـوى ، وارســلت الى كل دولة عضو فى منظمة البوليس الجنائى الدولية ، تخطرها بالبحث عن تريسى هويتنى ...

وفى اليوم التالى كانت بين ايدى رجال « الانتربول » صــور فوتوغرافية باللاسلكى من سجن النساء فى ولاية لويزيانا الامريكية.

واتصل دانييل كوبر تليفونيا برئيسه رينولدز وأيقظه من نومه فى الساعة الرابعة صباحا قائلا : أريد منك أن توافينى بكل شىء يمكنك ايجاده عن تريسى هويتنى ، مثل قصاصات الصحف ، واشرطة الفيديو وغيرها ...

ولم يعبأ كوبر بعبارات السخط التى انهالت على راسه لايقاظ رئيسه من النوم فى هذه الساعة ، ووضع السماعة ورينولدز يقول صاخبا : يوما ما ساقتل هذا الخنزير العديم الاحساس !..

الفصل الثالث والعشرون

اعتاد الكونت دى مالينى ان يقيم حفلة « راقصة » خيرية سنوية فى باريس ، السبت الاول من شهر يونيو لمساعدة مستشـــفى الاطفال وكانت تذاكر حضور الحفلة تعرض بالف دولار للتذكرة ،

وكان يؤمها صفوة المجتمع من كل أرجاء العالم ...

وكان قصر ماتينى ذاته القائم فى كاب دانتين من أفخم القصور فى فرنسا ، ويرجع تاريخه الى القرن الخامس عشر ... وفى مساء يوم الحفل الكبير كانت قاعة الرقص الكبرى والقاعة الصغرى تمتلآن بالضيوف فى أزيائهم الانيقة وبالخدم فى ملابسهم المزركشة وهم يقدمون كئوس الشمبانيا بلا توقف .. أما موائد البوفيه الممدودة فكانت معرضا لالوان المشهيات مصفوفة فى صحاف من فضة ..

وكانت تريسي تبدو وهي تراقص الكونت دى ماتينى مضيفها فى أبهى صورة وهى مرتدية فستانها الابيض المطرز بالدانتيللا وقد عقدت شعرها فوق راسها تحت تاج من الماس . أما الكونت نفسه وهو ارمل فى أواخر الستينات من عمره فهو نحيل أنيق دقيق التقاطيع فى شحوب ... وكان صديقها جانترهارتوج قد قال لها فيما قال وهو يلقنها مايجب : « ان الحفل الخيرى الذى يقيمه الكونت كل عام لصالح مستشفى الاطفال هو عملية نصب حقيقية ... فان عشرة فى المائة فقط من الحصيلة تؤول الى المستشفى ، اما التسعون فى المائة فتدخل جيب الكونت » !..

وقال لها الكونت وهو يراقصها : انت راقصة رائعة !.

فابتسمت تريسى قائلة : الفضل فى ذلك لشريكى فى الرقص ..

ـ كيف تأتى أنك وأنا لم نلتق من قبل ؟..

ـ لاننى مقيمة فى أمريكا الجنوبية . فى الغابات ..

ـ ولماذا بالله ؟!

ـ ان زوجى يمتلك عددا من المناجم فى البرازيل .

ـ آه ... وهل زوجك هنا هذه الليلة ؟.

ـ لا من سوء الحظ .. فهو مضطر للبقاء فى البرازيل للاشراف على أعماله ..

فقال الكونت وهو يحكم ذراعه حول خصرها : لسوء حظه هو ، ولحسن حظى انا ! .. اننى اتطلع الى ان نصبح صديقين حميمين ...

فغمغمت تريسى قائلة : وأنا أيضا ...

ومن فوق منكب الكونت ، لمحت تريسى فجأة جيف ستيفنز ، تلوح عليه سمرة الشمس ويبدو فى اتم صحة وحيوية .. وكان يراقص امراة سمراء جميلة ممشوقة فى فستان من « التافتا »

القرمزى تعلقت به مفتتنة ... وقد لمحها جيف بدوره وابتسم لها ...

جرت خواطر تريسى فى كآبة .. انه محق فى ابتسامته .. فخلال الاسبوعين الماضيين خططت تريسى بكل امكان لعمليتى سطو .. وقد اقتحمت البيت الاول وفتحت الخزانة ، غير انها وجدتها خاوية .. فقد سبقها جيف اليها ... وفى المناسبة الثانية بينما كانت تريسى تتسلل بين حدائق القصر للوصول الى مكان الغنيمة اذ سمعت فجأة صوت سيارة تسرع بالابتعاد ، ولمحت بداخلها جيف .. هكذا هزمها مرة ثانية ... انه لانسان مثير للغيظ .. والآن هاهو ذا قد جاء الى القصر الذى خططت تريسى للسطو عليه !..

ولم يلبث جيف أن اقترب مع رفيقته من مكانها وهى تراقص الكونت ، وابتسم قائلا : مساء الخير ياكونت ...

فرد الكونت باسما : آه .. جيف ! .. مساء الخير ... يسرنى كثيرا انك تمكنت من الحضور ..

ـ ما كان يمكن ان تفوتنى هذه المناسبة الكبيرة .. اقدم لك صديقتى مس ولاس ... الكونت دى ماتينى ..

فقال الكونت مشيرا الى تريسى : تشرفنا .. يادوقة !. اقدم لك مس ولاس ومستر جيف ستيفنز .. الدوقة دى لاروزا ...

فقال ستيفنز وهو يتفرس فى تريسى : دى لاروزا ... دى لاروزا ؟ يبدو أن الاسم مالوف جدا .. طبعا ، طبعا .. انا اعرف زوجك .. هل هو موجود معك ؟ .

ـ انه فى البرازيل ..

فابتسم جيف ستيفنز قائلا : آه ... هذا مؤسف جدا .. كنا نخرج فى رحلات الصيد والقنص سويا ... قبل أن تحدث له تلك الحادثة طبعا ..

فقال الكونت : حادثة ؟ .

فاجاب جيف باستياء : نعم .. فقد طاشت رصاصة من بندقيته واصابته فى مكان حساس .. هل هناك امل يا دوقة فى أن يكون طبيعيا كما كان ؟ ..

فاجابت تريسى على الفور : انا متاكدة انه سيعود طبيعيا مثلك تماما يا مستر ستيفنز ...

ـ جميل .. وارجو ابلاغه صادق تحياتي عندما تتصلين به يا دوقة ..

وتوقفت الموسيقى ... فاعتـــذر الـكونت دي ماتيني لتريسي لاضطراره للقيام ببعض واجبات الضيافة ، وضغط على يدهـــا واضاف : لا تنسى انك ستكونين على مائدتي وقت العشاء .

وما ان ابتعد الكونت حتى قال جيف لصديقته : يا ملاكي... معك اسبرين في حقيبة يدك .. فهل يمكنك ان تحضري لي قرصا، لشعوري بصداع شديد ؟ ...

فقالت وعيناها تلتهمانه افتتانا : مسكين يا حبيبي ... سأذهب واعود حالا يا معبودي ! ...

وقال جيف اثر ذهابها : كيف احوالك يا دوقة ؟ ..

فاجابت تريسي وهي تتكلف الابتسام مراعاة لمن حولها : ليس هذا من شأنك في الواقع ...

ـ الحقيقة انني في قلق شديد عليك مما يدعوني الى أن أقدم لك نصيحة مخلصة ... لا تحاولي سلب هذا القصر ...

ـ لماذا ؟ ... هل خططت لسلبه انت اولا ؟ ...

فتناول جيف ذراعها وتقدم بها الى ناحية غير مطروقة قـــرب البيانو حيث كان عازف شاب يذيب قلبه بالحان يرددها ، ولهـذا لم يكن صوت جيف مسموعا الا في اذن تريسي وحدها وهو يرد قائلا : في الواقع انني كنت اخطط لعملية صغيرة ، لكنها شـديدة الخطر ...

فقالت تريسي وقد بدأ الحديث يطيب لها بعد هذا التصنع الذي استمر بينهما فترة : اتقول حقا ؟..

فأجاب جيف بلهجة انحازت الى الجد : استمعي الي ياتريسي .. لا تقومي بهذه المحاولة ... اولا لانك لن تشقي طريقك الى داخـل القصر وانت حية ... فانهم يطلقون في الليل كلبا ضاريا يقتـل الطارق في الحال ...

فجأة راحت تريسي تصغي باهتمام .. ان جيف يخطط فعـــلا للسطو على القصر ... بينما مضى يقول : ان كل نافذة وباب محصن بالاسلاك ... واجراس الانذار متصلة بمركز الشرطة مباشرة ... وحتى اذا افلحت فعلا في الدخول الى البيت ، فالمكان كله تتقاطع فيه خطوط الاشعة دون الحمراء غير المرئية .

ـ انا اعرف كل هذا ..
ـ اذن يجب أن تعرفي ايضا أن الشعاع لا يطلق جرس الانذار عندما تخطين فيه ... انه يطلق الانذار عندما تجتازينه .. فهو يعمل بنظام تغير الحرارة ... فلا سبيل هناك لكى تمرى منه دون جعله ينطلق ...
انها لم تكن تعلم هذا ، فكيف عرف جيف ؟ .
ـ لماذا تقول لى كل هذا ؟..
فابتسم .. وبدا لها انه لم يكن قط باكثر من هذا جاذبية ، ورد عليها : انني فى الحقيقة لا اريد ان يقبض عليك يادوقة ... انني احب ان اراك حولى ... الواقع ياتريسى انه يمكننا انت وانا ان نصبح أصدقاء حميمين ...
فردت بيقين : أنت مخطىء ... هاهى عزيزتك راجعة .. تمتع بوقتك ! .
وكانت مادبة العشاء فاخرة ، كل دورة فيها مصحوبة بالانبذة الخاصة الملائمة لها ، يقدمها خدم بقفازات بيضاء .. وبعد القهوة والبراندى للرجال ، وزعت على السيدات قنانى بلورية انيقة من عطور فواحة ..
وقال الكونت دى ماتينى لتريسي فى نهاية المادبة : قلت انك مشتاقة لمشاهدة بعض لوحاتى الفنية ... فهل تحبين أن تلقى عليها نظرة الآن ؟...
ـ هذا احب شيء عندى ..
كانت قاعة اللوحات الفنية متحفا فريدا حقا بما اجتمع فيه من لوحات كبار الفنانين العالميين مما يعد ثروة لا تقدر ، وقد راحت تريسى تتأملها طويلا ماخوذة بجمالها ، حتى قالت أخيرا : لعل هذه النفائس تحت حراسة قوية ..
فرد الكونت باسما : فى ثلاث مناسبات حاول اللصوص الوصول الى كنوزى هذه .. فقتل احدهم بانياب كلبى ، وشوهت معالم الثانى ، أما الثالث فكان نصيبه السجن المؤبد ... ان هذا القصر قلعة منيعة يادوقة ..
ولاحت أضواء بارقة فى الخارج ، فقال لها الكونت : لقد بدا عرض الالعاب النارية .. واظن أنها ستعجبك ...
واخذ يدها الرقيقة الغضة فى يده اليابسة الناحلة وقادها الى

خارج قاعة اللوحات الفنية وهو يقول لها : انني مسافر الى دوفيل فى الصباح ، حيث امتلك فيللا على شاطيء البحر .. وقد دعوت مجموعة محدودة من الاصدقاء لقضاء عطلة نهاية الاسبوع القادمة ... فلعلها تروقك ؟..

فقالت تريسى بأسف : انا واثقة من هذا .. لكن اعتقد أن زوجي سيقلق ... وهو يصر على عودتي ...

واستمر عرض الالعاب النارية حوالى ساعة ، انتهزت تريسى خلالها فرصة الهرج السائد لاستطلاع وتفقد القصر .. فتبين لها ان ماقال جيف هو الحق ، وان عملية سطو ناجحة دونها المخاطر .. بيد انه من أجل هذا السبب ذاته كان تحدى الخطر باعثا على الاغراء الغلاب ... فهى تعرف أن غرفة نوم الكونت العليا تضم مجوهرات نفيسة قيمتها مليونا دولار ، وعدة لوحات لاساطين الفن منهم ليوناردو دافنشي ...

الفصل الرابع العشرون

فى الليلة التالية كان الطقس قارس البرد والسماء ملبدة بالسحب ولاحت اسوار قصر الكونت دي ماتينى العالية مكفهرة كالحة بينما وقفت تريسى فى الظلال مرتدية « أوفرول » اسود وحذاء مطاط النعل وقفازا أسود لونا ، وقد حملت حقيبة منكب ...

كانت قد قادت سيارة النقل المستاجرة بمحاذاة السور الحجرى فى الجانب الخلفى للقصر ... ومن الجانب الاخر للسور انبعثت زمجرة شرسة خافتة مالبثت ان تطورت الى نباح مسعور عندما وثب الكلب فى الهواء محاولا الهجوم بجسده القوى الثقيل وانيابه المبتة ..

وعندئذ نادت بصوت خفيض شخصا كان فى السيارة قائلة : الآن ! ...

فخرج من السيارة رجل قصير متوسط العمر فى رداء أسود مثلها حاملا كيسا على ظهره به انثى كلب من نوع « الدوبرمان » .. كان احضار الكلبة فى أوانه ، ومالبث النباح الصادر من الجانب الآخر للسور أن تغير فجاة من الشراسة الى الحمحمة المنفعلة ..

وتولت تريسى مساعدة الرجل فى رفع الكلبة الى أعلى السيارة

التي كانت في مستوى ارتفاع السور ، وهمست : واحد .. اثنان ثلاثة ! ...

ودفعا الكلبة من فوق السور الى داخلية القصر ... فانبعثت بعثتان حادتان ، اعقبتهما سلسلة همهمة وشمشمة ، ثم صوت جري كلبين ... وبعد هذا ساد سكون تام .. فالتفتت تريسي الى شريكها وقالت : هيا بنا ...

أوما لويس جان برأسه ... لقد وجدته في انتيب .. كان لصا أمضى معظم حياته في السجن ... وهو لم يكن معدودا من الاذكياء، لكنه كان عبقريا في معالجة الاقفال ونظم الانذار ، مؤهلا تماما لهذه العملية ...

وخطت تريسي من فوق السيارة الى أعلى السور . وبسطت سلما من الحبال وشبكت طرفه المعقوف في الحائط .. ثم هبط الاثنان من السلم الى الحشائش من تحت ... وبدا القصر مختلفا تماما عما كان يبدو في الليلة الفائتة ، عندما كان متلألئا بالانوار ومكتظا بالضيوف الضاحكين .. كان كل شيء الآن مظلما ومتجهما ..

ومشى جان لويس في أثر تريسي وهو على تمام الحذر من كلبى « الدوبرمان » ... وكان القصر مكسوا بطبقات كثيفة من اللبلاب المتراكم على مدى القرون متعلقا فوق الجدران حتى السقف ... وكانت تريسي قد اختبرت متانته عرضا في الليلة السابقة .. فبدات في التسلق وهي تنظر الى الارض من تحتها ، فوجدته يحتمل ثقلها ... وحتى الآن لم يبد اى اثر للكلبين ، فجعلت تدعو في سرها أن يظلا مشغولين أطول فترة ممكنة ...

وعندما وصلت تريسي الى سطح المنزل اشارت الى جان لويس وانتظرت حتى صعد الى جانبها ... وفي خيط ضئيل من ضوء البطارية التى أنارتها شاهدا منورا زجاجيا ، موصدا باحكام من تحت ... ووقفت تراقب جان لويس وهو يخرج من كيسه قاطعة زجاج لم تستغرق منه أكثر من دقيقة لرفع زجاج المنور ...

ولما نظرت تريسي الى أسفل رات ان طريقهما مسدود بشبكة عنكبوتة من أسلاك الانذار ، فقالت لصاحبها همسا : أيمكنك يلجان معالجة هذه الاسلاك ؟ .

ـ بإمكاني هذا ... ليست مشكلة ...

واخرج من الكيس قطعة سلك بطول قدم بها عازل في كل من

طرفيها .. وبكل حذر اخذ يتلمس بداية سلك الانذار ، فصله .
واوصل السلك العازل بطرف الانذار ... ثم اخرج زردية وقطع سلك الانذار بحذر ... وكانت تريسى تراقب هذا وهى متوترة ، متوقعة أن ينطلق الانذار ، لكن ظل كل شيء هادئا .. وتطلع اليها جان لويس باسما وقال : انتهينا ! ..

واستخدما سلم حبال آخر للهبوط فى المنور .. واستطاعا أن يصلا بسلام الى الغرفة العلوية ... ولكن عندما فكرت فيماهو آت بعد ذلك بدأ قلبها يدق ...

ثم أخرجت نظارتين عدساتهما حمراء قدمت احداهما لجان لويس وطالبت أن يضعها فوق عينيه ... لقد دبرت وسيلة لصرف انتباه كلب الدوبرمان الوحشى عنهما ، ولكن الانذار المتسبب عن الاشعة دون الحمراء غير المرئية هو مشكلة اعوص ، خصوصا والاشعة متداخلة متشابكة ... وقد ظلت تريسى تفكر وقتا طويلا طول ليلها فى التماس الحل ، الى ان اهتدت اليه فى بكرة الصباح ...

هكذا وضعت نظارتها ذات الاشعة دون الحمراء فوق عينيها ، وفى لحظة خاطفة اكتسى كل شيء فى الغرفة بوهج احمر مرعب .. وابصرت تريسى امام باب الغرفة شعاعا من الضوء كان ممكنا الا تراه العين بدون النظارة ... وقالت لجان لويس محذرة : تسلل من تحته ...

وزحفا من تحت الشعاع وافضيا الى ردهة مظلمة مؤدية الى غرفة نوم الكونت .. فأضاءت تريسى البطارية وتقدمت صاحبها .. ومن خلال نظارة الاشعة دون الحمراء استطاعت أن تبصر شعاعا آخر ، ولكنه كان هذه المرة واطئا بعرض مدخل غرفة النوم ... فقفزت من فوقه بكل حذر ، وفى أثرها جان لويس ...

وراحت تريسى تدير ضوء البطارية حول الجدران ، فاذا أمامها اللوحات الفنية النفيسة ماثلة ، اخاذة ومبهرة ... عندئذ تذكرت ماقاله جانتر هارتوج لها : عدينى أن تأتينى بلوحة ليوناردو دافنشى وبالمجوهرات طبعا ! ...

هكذا انزلت تريسى اللوحة وادارتها ووضعتها على الارض ، وبحرص شديد نزعت الرسم من الاطار وطوته ثم وضعته فى حقيبة ... ولم يبق الآن سوى الوصول الى الخزانة التى كانت قائمة فى حيز جانبى مستور فى أقصى غرفة النوم ..

فتحت تريسي الستائر ... فاذا اربعة خيوط من الاشعة دون الحمراء قد تقاطعت في الحيز من الارض الى السقف ، وكان من المستحيل الوصول الى الخزانة دون اقتحام واحد منها ...

راح جان لويس يحدق في الاشعة مرتاعا ، قائلا : ياالله الرحمة ! لا يمكننا المرور من بين هذه الاشعة ... انها اوطأ من أن نزحف من تحتها ، واعلى من ان نقفز من فوقها !..

فردت تريسي قائلة : اريد منك فقط أن تفعل بالضبط ما اقوله لك ...

وانثنت وجاءت خلف ظهره وطوقت خصره بذراعيها فى أحكام ، وقالت : الآن ، سر معي ... القدم اليسرى أولا ...

وتقدما خطوة نحو الاشعة ، ثم خطوة أخرى .. فقال جان لويس لاهثا : مهلا !.. اننا ندخل فى نطاق الاشعة !..

ـ بالضبط ...

وتحركا الى قلب الاشعة تماما ، ثم توقفت تريسى وقالت له : الآن اصغ الى بدقة ... اريد منك ان تتقدم الى الخزانة ..

ـ لكن الاشعة ! ..

ـ لا تقلق .. سيكون كل شيء على مايرام .

وذهبت تدعو فى سرها أن يتحقق هذا !..

وبعد تردد اخذ جان لويس يخطو الى خارج نطاق الاشعة دون الحمراء ... فاذا كل شيء ساكن هادىء ... فنظر من خلفه الى تريسى بعينين فزعتين ، فرآها واقفة فى وسط الاشعة ، لان الحرارة المنبعثة من جسدها منعت « المستشعر الحرارى » من اطلاق الانذار ، اذ ان هذا المستشعر يكتشف الفرق الحرارى عند دخول أحد فيه ، فينطلق الانذار فورا ، وهو مالم يحدث بوجود تريسى فى قلب الاشعة ... وهكذا هرول جان لويس الى ناحية الخزانة ... ووقفت تريسي جامدة متصلبة وهى تدرك انه لحظة أن تتحرك ، فلسوف ينطلق الانذار ...

ومن طرف احدى عينيها كانت تلمح جان لويس وهو يخرج بعض العدد من كيسه ويبدأ عمليته فى قرص الخزانة الدائر .. وظلت تريسى جامدة لا تبدى أدنى حراك وهى تأخذ انفاسا بطيئة عميقة وبدا كأن القرص توقف ، وكان جان لويس يستغرق دهرا فى عمليته . وبدات سمانة ساقها اليسرى تؤلمها ، ثم أخذت تلتوى فلم تستطع

الا أن تضغط على أسنانها دون أن تجسر على التحرك قيد انملة ..

وبرغمها همست : الى متى ؟ ...

ـ عشر ، أو خمسة عشر دقيقة .

لقد خيل الي تريسى انها ظلت واقفة عمرا مديدا ... وبدأت عضلات ساقتها اليسرى تتقلص ألما حتى شعرت كأنما توشك ان تصرخ توجعا ... لقد سمرت في موضعها في وسط الاشعة ، مشلولة ... واخيرا سمعت طقطقة .. وفتحت الخزانة . وسمعت جان لويس يهتف : رائع ! .. هذا البنك بما فيه ! . هل تريدين كل شيء ؟ ..

ـ لا أوراق بالمرة .. المجوهرات فقط .. كل مايوجد من نقود هو لك ..

ـ شكرا ...

وسمعته تريسى وهو يقلب فيما بداخل الخزانة ، وبعد فترة قصيرة عاد اليها وقال : هائل ! .. لكن كيف نخرج من هنا دون أن نكسر الشعاع ؟..

فقالت له : لن نفعل هذا ...

فقال محملقا : ماذا ؟..

ـ قف أمامي ...

ـ لكن ...

ـ افعل ما أقول لك ...

فخطا جان لويس الي داخل الشعاع مرتعبا .. وحبست تريسى انفاسها ... فلم يحدث شيء ... فقالت : حسنا ... والآن ، سنعود أدراجنا ، بكل بطء ، الى خارج الغرفة :

فقال جان لويس وعيناه تكادان تجحظان خلف النظارة : وبعد ذلك ؟ ..

ـ بعد ذلك ياصديقي ، سنجرى بكل قوة ...

واخذا يتراجعان بظهرهما نحو الستائر بوصة بوصة ، الى حيث نبدأ الاشعة ... وعندما وصلا اليها اخذت تريسى نفسا عميقا وقالت : حسنا ... عندما أقول : « الآن » ، نخرج بنفس الكيفية التي دخلنا بها ...

ابتلع جان لويس ريقه ـ وأومأ برأسه ... وكان بوسعها أن تشعر بجسده الضئيل وهو يرتعد ...

ـ الآن ! ..

وانثنت تريسى مستديرة وركضت الى الباب ، وجان لويس فى اثرها .. وفى اللحظة التى خرجا فيهـا من نطـاق الاشعة ، انطلق الانذار ...

اسرعت تريسى الى غرفة السطح وتسلقت سلم الحبال وكان لويس في أعقابها ... وركضا فوق السطح ركضا ثم هبطا ممسكين بجدائل اللبلاب ، وبعدها أسرعا فى اتجاه السور حيث كان السلم الثانى فى انتظارهما ... ولم تمض لحظات حتى وصلا الى أعلى سيارة النقل ثم هبطا اليها حيث وثبت تريسى الى مقعد القيادة وجان لويس بجانبها ...

وبينما كانت السيارة تسرع فى الطريق الجانبى ، لمحت تريسى هيكل سيارة ذات مقعدين واقفة بين الاشجار .. وعندما اضاءت انوار سيارة النقل الامامية داخل السيارة الواقفة مدى لحظـة ، لمحت تريسى ـ جيف ستيفنز جالسا الى عجلة القيادة ، وبجانبه كلب « دوبرمان » كبير ... فلم تتمالك أن ضحكت عاليا وأرسلت الى جيف قبلة فى الهواء وسيارتهما تسابق الريح ...

وعلى البعد سمع عويل « سارينات » البوليس تقترب ...

الفصل الخامس والعشرون

يعتبر فندق ريتز فى العاصمة الاسبانية مدريد أفضل الفنادق فى أسبانيا ، وعلى مدار أكثر من قرن من الزمان استضاف الفندق العديدين من حكام أوربا ملوكا ورؤساء ودكتاتورين وأصحاب بلايين ولطالما سمعت تريسى عن شهرة الفندق الذائعة ، فلم تلبث أن خابت ظنونها عندما حلت به فعلا ، اذ بدت ردهته الكبرى باهتة ورثة ... ومهما يكن فقد رافقها المدير المساعد الى الجناح الذى امرت بحجزه فى الطرف الجنوبى للفندق ، مطلا على متحف برادو الشهير ... وقال لها : أرجو أن يعجبك هـــذا الجنـاح يامس هويتنى ...

فتقدمت تريسى الى النافذة ونظرت منها .. كان متحف برادو امامها مباشرة ، فى الجانب الآخر للميدان ، فقالت للرجل : هذا مكن لطيف ، شكرا ...

كان الجناح مليئا بالاصوات الزاعقة من ضجيج حركة المـــرور الكثيفة فى الشوارع المحيطة بالفندق ، ولكن كانت له ميزة الاطلال على المتحف ، وهو غايتها من الحضور الى العاصمة الاسبانية ..

كان جانتر هارتوج قد اجتمع بها قبل ذلك وقال لها : عنـــدى لك مهمة دقيقة ... هناك زبون ثرى متلهف لاقتناء لوحة فنية معينة ، هى اللوحة المعروفة باسم « الميناء » للرسام الشهير جويا وهو على استعداد لدفع نصف مليون دولار نقدا لاى شخص يمكنه الحصول عليها ، هذا غير عمولتى ..

ففكرت تريسى برهة ثم قالت : وهل هناك آخرون يقـــومون بالمحاولة ؟ ..

ــ بصراحة ، نعم .. وفى رأيى أن فرص النجاح محدودة .

ــ وأين اللوحة ؟ ..

ــ فى متحف برادو بمدريد ..

ــ متحف برادو ؟! ..

قالت هذا وكان اول خاطر يرق فى ذهنها هو : الاستحالة ... فقال لها : ان هذه العملية تتطلب قدرا كبيرا من الابتكار والحذق .. ومن اجل هذا فكرت فيك أنت ياتريسى ..

فردت قائلة : هذا اطراء منك ... قلت نصف مليون دولار ؟ ..

ــ نقدا وفورا ..

ولقد طلبت تريسى عشاء خفيفا فى غرفتها بالفندق هذه الليلة الاولى واوت الى فراشها مبكرة ...

وعند منتصف الليل قام المخبر السرى الذى كان مكلفا بالمراقبة فى ردهة الفندق وسلم المهمة الى زميله قائلا : انها لم تبارح غرفتها واظن انها سوف تلزمها بقية الليل ..

ففى اليوم السابق تلقى سانتياجو راميرو مدير الامن العـام فى مدريد برقية عاجلة من ادارة « الانتربول » يخطره بقـرب وصـــول تريسى هويتنى ... وقد قرأ الرجل الفقرة الاخيرة من البرقيـــة مرتين ، ثم اتصل تليفونيا بالمفتش اندريه ترينيان مدير البوليس الجنائى الدولى قائلا : اننى لا افهم رسالتكم ... انتم تطلبون منى

أن اقدم المعاونة الكاملة لرجل امريكى ليس حتى من رجال البوليس فلأى سبب ؟ ..

ـ ياقومندان ... اظن انك ستجد مستر دانييل كوبر نافعا جدا . فهو يعرف مس تريسى هويتنى ويفهمها ..

فرد مدير الامن الاسبانى قائلا : وما الذى يتطلب المعرفة والفهم ؟ .. انها مجرمة .. وقد تكون بارعة ... لكن السجون الاسبانية مملوءة بالمجرمين البارعين ! .. وهذه المذكورة لن تفلت من شباكنا ! ...

ـ جميل ... وسوف تتشاور مع مستر كوبر ؟.

فقال مدير الامن فى غضاضة : لا مانع عندى ..

ـ شكرا ياسيدى .

ـ العفو ياسنيور ...

كان القومندان ، راميرو ، مثل نظيره فى باريس ، لا يعشق الامريكيين لما يراه فيهم من الجفوة والمادية والسذاجة ، ولكنه قال لنفسه لعل هذا القادم قد يختلف عن ابناء جلدته ، وربما ملت اليه ...

بيد انه كره دانييل كوبر من اول نظرة ...

قال له كوبر لدى دخوله الى مكتبه : انها غلبت نصف قوات البوليس فى اوربا .. والمرجح انها ستفعل المثل معكم ...

وبجهد جهيد تمالك « القومندان » اعصابه ، وقال : ياسنيور .. لسنا بحاجة الى اى كائن لتعريفنا بواجبنا ... ان السنيوريتاهويتنى وضعت تحت المراقبة منذ لحظة وصولها الى مطار العاصمة ... واؤكد لك انه حتى لو وقع فى الشارع اى دبوس والتقطته مس هويتنى ، لزج بها فى السجن ... انها لم تعرف من قبل ماهو البوليس الاسبانى ...

ـ انها لم تحضر الى هنا لالتقاط دبوس !..

ـ ولماذا تظن انها جاءت الى هنا ؟..

ـ لست متأكدا ... يمكننى فقط ان اقول انها جاءت لشىء كبير ...

فقال مدير الامن منتفشا : كلما كبر كان احسن ... سوف نراقب حركاتها وسكناتها !..

وعندما استيقظت تريسي في الصباح بعد ليلة مؤرقة طلبت

افطارا خفيفا وقهوة سوداء ، ثم تقدمت الى النافذة المطلة على متحف برادو ... كان المبنى أشبه بقلعة مهيبة ، شيد بالاحجار والقرميد الاحمر ، وحفت به الاعشاب والاشجار ، وقام عن جانبيه عمودان منقوشان ، وسلالم مزدوجة تؤدى الى المدخل الامامى .. وعند مستوى الشارع كان ثمة مدخلان جانبيان ... وكان تلامذة المدارس والسياح من شتى الاقطار يصطفون أمام المتحف انتظارا لفتح أبوابه فى العاشرة صباحا ... وفى هذا الموعد كان الحراس يفتحون بابى المدخلين الكبيرين الاماميين ويبدأ الزائرون يتحركون من خلال الباب الدوار فى الوسط ومن المدخلين الجانبيين عند مستوى الشارع ...

وفجاة رن جرس التليفون حتى انتفضت تريسى ... فلم يكن احد يعرف بوجودها فى مدريد سوى جانترهارتوج ... وقد رفعت السماعة وقالت : آلو ؟.. فسمعت صوتا معهودا يقول لها : نهارك سعيد ياسنيوريتا ... اننى أتكلم بالنيابة عن الغرفة التجارية فى مدريد ، وقد طلبوا منى أن أفعل كل مافى وسعى للتأكد من انك ستقضين وقتا حافلا فى مدينتنا ...

ـ كيف عرفت أننى فى مدريد ياجيف ؟..

ـ ياسنيوريتا ، ان الغرفة التجارية تعرف كل شىء ... هل هذه أول زيارة لك هنا ؟..

ـ نعم ..

ـ جميل ... اذن فبامكانى أن أفرجك على بعض الاماكن .. الى متى تنوين أن تبقى هنا ياتريسى ؟..

فأجابت بخفة : المدة الكافية للشراء من المحلات والفرجة السياحية ... وماذا تفعل أنت فى مدريد ؟..

فأجاب بمثل لهجتها : نفس الشىء ... الشراء من المحلات والفرجة السياحية .

لم تؤمن تريسى بالمصادفات .. ان جيف ستيفنز جاء الى هنا لنفس السبب الذى جاءت من اجله : لسرقة لوحة « الميناء » للرسام جويا ...

ثم سألها : هل أنت خالية لتناول العشاء ؟..

فردت بجراة : نعم ...

ـ بديع .. ساحجز مائدة فى مطعم جوكى .

ومن الحق أن تريسى لم تكن لديها أوهام خادعة حيال جيف ؛ ولكنها عندما خرجت من المصعد الى الردهة وشاهدته واقفا هناك فى انتظارها ، شعرت على عكس المعقول بسرور لرؤيته ... وقال وهو يتناول يدها فى يده : يا للروعة ! .. كم انت فاتنة بهذه الاناقة ! ..

وكان دانييل كوبر الجالس الى مائدة صغيرة فى ركن الردهة وامامه زجاجة شراب خفيف يراقب تريسى وهى تحيى رفيقها ، فزاد هذا من اصراره على اقتناصها فى المرة القادمة ، رغم افلاتها من يده حتى الآن ...

وفى مطعم جوكى الصغير الانيق قال لها جيف : الطعام هنا فاخر ...

لقد بدا لها جيف الآن وسيما بصفة خاصة ... وقد آنست فى نفسيته انفعالا داخليا يضاهى انفعالها ، وعرفت السبب .. فكلاهما ينافس الآخر ، مباريا بذكائه ذكاء الآخر ، فى لعبة مغانمها كبيرة .. ومن ثم قالت تريسى لنفسها : لكننى سأفوز عليه .. سأتوصل الى طريقة لسرقة تلك اللوحة الفنية من متحف برادو قبل ان يسرقها هو ! ...

وسمعته يقول لها : هناك شائعة غريبة هنا .

فركزت اهتمامها عليه قائلة : اى نوع من الشائعات هى ؟..

ــ هل سمعت مرة عن دانييل كوبر ؟ .. هو محقق فى اتحاد شركات التأمين ، آية فى الدهاء ..

ــ لا .. وماذا عنه ؟..

ــ كونى على حذر .. هو رجل خطير .. لا ارضى أن يحدث لك شىء .

ــ لا تشغل بالك ..

ــ لكن بالى انشغل فعلا ياتريسى ...

فضحكت قائلة : من اجلى ؟ . لماذا ؟..

فوضع يده على يدها واجاب بخفة : ان لك منزلة خاصة عندى ... والحياة تكون أكثر امتاعا وانت من حولى ، ياحبى !..

قالت تريسى لنفسها : كم يبدو مقنعا ... ولو لم اكن اعرف حقيقته ، لصدقته .

وبصوت مسموع قالت له : لنطلب العشاء .. أنا ميتة من الجوع ! ...

وفي الايام التالية راح جيف وتريسي يطوفان بأرجاء مدريد .. غير انهما لم يكونا وحدهما في أي وقت ، اذ كان يتبعهما على الدوام اثنان من رجال الامن التابعين لراميرو ، يصحبهما الامريكي دانييل كوبر ، الذي سمح له مدير الامن أن يكون جزءا من قوة المراقبة لسبب بسيط هو أن يزيده جنونا ... انه مقتنع الى حد الهوس بأن المدعوة تريسي هويتني تدبر لسرقة كنز ثمين من تحت انوف الشرطة الاسبانية !.. فيا للسخف ! ..

هكذا راح دانييل كوبر يتبعهما كظلهما مع المخبرين السريين ، متسائلا في نفسه عن دور جيف ستيفنز في الدراما التي يتفرج عليها ... فمن يكون هذا الرجل ؟.. ضحية تريسي التالية .. أم انهما يدبران معا لشيء ؟ ..

وعندما فاتح كوبر مدير الامن عن جيف ستيفنز طالبا معلومات بصدده ، اجابه قائلا : لا شيء عندنا بخصوصه .. ليس له سجل جنائي وهو مسجل هنا كسائح ... واظنه مجرد رفيق لها التقطته في طريقها ..

بيد أن غريزة كوبر حدثته بالعكس ، ومع ذلك فلبس جيف ستيفنز هو الذي يطارده ... انما كانت طريدته هي تريسي هويتني ... ولسوف يضع يده عليها عاجلا أو آجلا ، كما أسر لنفسه !..

وعندما عادت تريسي وجيف الى فندق ريتز في ختام سهرة متأخرة ، صحبها جيف الى باب جناحها قائلا : لماذا لا ادخل للمسامرة بعض الوقت ؟ ..

شعرت تريسي بميل الى الموافقة ، بيد انها مالت نحوه ووضعت قبلة خفيفة على خده قائلة : فكر في كأخت لك ياجيف ..

واغلقت الباب دونه ..

لقد ظلت يقظى شطرا طويلا من الليل وفكرها مليء بخواطر لاحق لها في التفكير فيها ... فقد مضى عهد مديد منذ أن ارتبطت برباط عاطفي مع رجل .. ان تشارلز قد جرحها جرحا عميقا ، ولم تعد لها قابلية لكي تتلقى جرحا جديدا ... ان جيف ستيفنز رفيق لطيف جذاب ، غير انها كانت تعرف انه ماينبغي لها أن تسمح له

بأن يكون أكثر من هذا ... من السهل ان تدع نفسها تقع فى حبه ..
لكنها حماقة .. وهزل .. ثم دمار .
ولم يأخذ النوم بمعاقد أجفانها الا بعد لأى ..

الفصل السادس والعشرون

فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى كانت تريسى واقفة فى الصف الطويل عند مدخل متحف برادو ... وعندما فتحت الابواب تولى أحد الحراس فى زيه الرسمى تشغيل الباب الدوار الذى يسمح بدخول زائر واحد بعد الآخر .. وقد اشترت تريسى تذكرة وتحركت مع الجمهور الداخل الى القاعة المستديرة .. وكان دانييل كوبر والمخبر السرى يسيران خلفها من مبعدة ، وبدأ كوبر يخامره انفعال متزايد ـ لقد أصبح موقنا أن تريسى هويتنى لم تجىء كزائرة ... ومهما يكنْ من أمر الخطة التى تدبرها ، فهذه هى بدايتها ...

وراحت تريسى تتقدم الهوينا من قاعة الى قاعة امتلأت كلها بلوحات من مشاهير الفنانين ... اما لوحات جويا فكانت قائمة فى معرض خاص فى الطابق الارضى ..

ولاحظت تريسى أن حارسا رسميا كان يقف فى مدخل كل قاعة ، وعن كثب منه زر أحمر انذارى ... فعلمت انه فى اللحظة التى ينطلق فيها الانذار ، تقفل كافة مداخل ومخارج المتحف باحكام ، ولا تبقى اى فرصة للهرب ..

وشاهدت فى عديد القاعات فنانين قد نصبوا مراسمهم وانهمكوا بكل جهد فى نقل رسوم مشاهير الفنانين ، طبقا لما يسمح به المتحف ، غير أن تريسى لاحظت أن الحراس كانوا يراقبون عن كثب تلك اللوحات المقلدة ...

وبعد ان اتمت تريسى طوافها فى الطابق الرئيسى ، هبطت فى السلالم الى الطابق الارضى ، حيث يوجد معرض لوحات فرنسيسكو دى جويا ..

وقد بدا لتريسى أن معرض جويا تحت حراسة اشد من غيره ، وهو اهل لهذا حقا ، بما ضم من روائع اللوحات العالمية .. وأخيرا توقفت عند لوحة « الميناء » تحدق فيها مبهورة مأخوذة وقد بدا

قلبها يدق ... وقع نظرها فى امامية الرسم الزيتى على مجموعة من الرجال والنساء فى ملابس جميلة واقفين امام سور حجرى ، وفى الخلفية ظهرت ، من خلال ظلالة نورانية ، قوارب صيد فى ميناء ومنارة بعيدة ... وكانت اللوحة ممهورة بتوقيع جويا فى الزاوية اليسارية السفلى ..

ذلك هو الهدف المطلوب ! ... ومكافاته نصف مليون دولار !.

راحت تراسى تدير النظر حولها .. رات حارسا يقف عند المدخل ... ومن بعده فى الممشى الطويل المؤدى الى القاعات الاخرى حراس آخرون .. وقد وقفت مكانها طويلا تحدق على لوحة «الميناء» وعندما همت بالابتعاد لمحت جمعا من السائحين يهبطون فى السلالم ... وكان فى وسطهم جيف ستيفنز . وسرعان ما أشاحت تريسى براسها وهرولت مبتعدة من المدخل الجانبى قبل أن يتمكن من رؤيتها .

لسوف يكون الامر سباقا بينهما ، ولسوف تكسب هى السباق ، كما ناجت نفسها ...

قال دانييل كوبر لمدير الامن الاسبانى : انها تدبر لسرقة لوحة من المتحف ..

فنظر راميرو الى كوبر غير مصدقة ، قائلا : هراء ! .. لا يستطيع انسان أن يسرق لوحة من متحف برادو !..

فقال كوبر باصرار وعناد : انها كانت هناك طوال الصباح ..

ـ لم تحدث قط سرقة فى متحف برادو ، ولن تحدث أبدا ... وهل تعرف السبب ؟ . لان هذا مستحيل ...

ـ انها لن تمارس الطرق العادية .. لابد ان تعمل على وقاية منافذ المتحف ، فى حالة هجوم بالغازات ... واذا كان الحراس يشربون القهوة اثناء الحراسة ، فلتراقب الجهة التى ياخذونها منها ، وهل يمكن دس مخدر فيها ؟.. وافحص أيضا مياه الشرب ..

هكذا طفح الكيل لدى راميرو ، ولم يعد فى قوس الصبر منزع امام هذا « الامريكى القبيح » الذى جاوز كافة الحدود وجاء الآن يلقنه ما يفعل وما يدع ... ولذا قال : فى رايى ان هذه السيدة جاءت الى مدريد فى اجازة وسآمر بوقف المراقبة ...

ونهض مدير الامن منتفضا واردف : والآن أرجو الا تفرض نفسك

على ، واذا لم يكن ماتقوله غير هذا ، فاننى رجل مشغول جدا ..
فوقف كوبر، وقال شاعرا باحباط بالغ : اذن سأستمر فى المراقبة وحدى .

فقال مدير الامن باسما : لكى تجعل متحف برادو فى امان من خطر هذه المرأة الداهم ؟.. بالطبع ياسنيور كوبر .. بوسعى الآن ان انام ليلا ! ..

الفصل السابع العشرون

عادت تريسى الى متحف برادو فى اليوم التالى .. لم تجد شيئا قد تغير باستثناء وجوه الزائرين ... وجعلت تريسى تبحث بين الجميع فلم تجد اثرا لجيف ستيفنز .. قالت لنفسها : لابد انه وضع خطته لسرقة لوحة جويا ... ابن اللئام هذا ! .. ان كل هذه الرقة وهذا التلطف اللذين طالعهما بهما لم يكون اكثر من ذر الرماد فى عينيها وتشتيت فكرها لمنعها من الاستيلاء على اللوحة أولا ! ..

غير انها كظمت غيظها ولاذت بالمنطق الهادىء البارد ...

ثم يممت تريسى شطر لوحة « الميناء » مـــرة أخرى ومسحت بعينيها بين اللوحات القريبة ، والحراس المتيقظين ، والرسامين الهواة جالسين على مقاعدهم الصغيرة أمام مراسمهم ، والجماهير المتقاطرة دخولا وخروجا .. وفجأة خفق قلبها ... وقالت لنفسها : عرفت الآن كيف أتم العملية ! ..

وخرجت الى كشك تليفون عمومى قريب حيث اتصلت بجانتر هارتوج وتبادلت معه حديثا قالت فى ختامه : لابد أن تتأكـــد ياجانتر انه سيعمل بسرعة .. لن يكون أمامه الا حوالى دقيقتين .. ان كل شىء يتوقف على السرعة ..

***

بعد يومين كانت تريسى جالسة فوق مقعد بحدائق رتيرو الجميلة التى تتوسط مدريد ، منهمكة فى اطعام الحمام ...

وبعد فترة مر سيزار بوريتا وهو رجل مسن اشيب الشـــعر محدب الظهر قليلا فى المشى ، وعندما وصل الى المقعد جلس بجانب تريسى ، ثم فتح كيسا من الورق وراح ينثر فتـــات الخبز الى

الطيور .. وقال لها : صباح الخير ... فـردت قائلة : صـباح الخير .. هل وجدت اى مشكلة ؟.

ـ لا توجد اية مشكلة ياسنيوريتا .. كل ما أحتاج اليه هـو الوقت والتاريخ ..

فقالت تريسى : لم يصل هذا الى علمى .. قريبا ..

فابتسم عن اسنان ذاهبة وقال : ان البوليس سوف يفقـد عقله .. مامن احد قام بمثل هذه المحاولة من قبل !..

فقالت تريسى : وهذا هو السبب فى أنها ستنجح .. سوف تسمع منى ...

رطوحت بآخر الفتات للحمام ونهضت وسارت مبتعدة وثوبهـا الحريرى يتماوج جذابا حول ساقيها ..

وفى صباح اليوم التالى عندما غادرت تريسى فندق ريتز لم يكف دانسل كوبر عن متابعتها دون ان تبصره .. وظل يراقبها وهى ترتاد المحال وتتفرج على المعروضات فى واجهاتها ... وعنـدما دخلت الى متجر كبير رآها تكلم احدى العاملات ، ثم تتجـه الى « تواليت » السيدات ، فلم يملك الا أن يقف قرب الباب محبطا .. فهذا هو المكان الوحيد الذى لا يستطيع اقتحامه ... ولو تهيأ له ان يدخل لشاهد تريسى تكلم امرأة متوسطة العمر شديدة البدانة ، اذ قالت لها وهى تضع الاحمر على شفتيها امام مرآة : باكر صباحا الساعة الحادية عشرة .

فهزت المرأة رأسها قائلة : لا ياسنيوريتا ... انه لن يحب هذا . لا يمكنك ان تختارى أسوأ من هذا اليوم ... غدا سـيصل أمير لكسمبورج فى زيارة رسمية ، وقد ذكرت الصحف أنه سيقـوم بجولة فى متحف برادو ... وسوف يوضع قواتاضافية مـن الحراس والبوليس فى كل انحاء المتحف ..

ـ البركة فى الكثرة ! ..

وخرجت تريسى من الباب والمرأة البدينة تتمتم متحيرة ...

***

كان المقرر ان يصل الموكب الملكى الى متحف برادو فى تمـام الحادية عشرة صباحا ، وقد غصت الشوارع حول المتحف برجـال الحرس الوطنى ... ولكن بسبب تأخير فى الحفل الذى أقيم فى القصر الرئاسى ، لم يصل الموكب الا حوالى الظهر .. وأخيرا دوت

فى الجو اصوات « السارينات » عندما لاحت موتوسيكلات البوليس الراكب للأنظار وهى تتقدم موكبا قوامه ست سيارات ليموزين سوداء حتى السلالم الامامية للمتحف ...
وعند المدخل كان مدير المتحف كريستيان ماخادا ينتظر فى توتر وصول سمو الزائر الكبير .. لقد قام فى الصباح بتفقد كل شىء ، والتنبيه على الحراس بأن يكونوا فى تمام اليقظة .. فهو فخور بمتحفه ، وهو يريد أن يترك أثرا طيبا فى نفس الامير الزائر ...
وفى هذا قال لنفسه : ليس بضار ابدا أن يكون للانسان أصدقاء فى الدوائر العليا ... من يدرى ؟ .. فقد ادعى لتناول العشاء مع سموه هذا المساء فى قصر الرئاسة !..
وكان مبعث الاسف الوحيد لدى كريستيان ماخادا هو أنه لاتوجد وسيلة لوقف تدفق أمواج السياح الذين يتجولون فى المعرض ... غير أن حرس الامير الخاص وحراس امن المتحف سوف يؤمنون سلامة الامير قطعا .. فكل شىء على تمام الاهبة فى هذا الصدد ..
وقد بدأ الموكب الملكى بزيارة الجناح العلوى حيث رحب به مدير المتحف بحرارة وطلاقة ورافقه فى الطواف ، يتبعه الحرس المسلح ، بالقاعة المستديرة ثم بالقاعات الاخرى حيث تعرض أعمال الرسامين الاسبان فى القرن السادس عشر ... وفى ختام زيارة هذا الجناح العلوى قال كريستيان ماخادا للامير مفاخرا :
والآن اذا سمح لى سمو الامير ، ساهبط معه الى معرض جويا ...
فى خلال ذلك كانت تريسى واقفة فى القاعة المجاورة للصالون الذى كانت لوحة « الميناء » معروضة به ... ومن خلال الباب المفتوح كانت تبصر الاحدب سيزار بوريتا جالسا أمام مرسم ينسخ لوحة لجويا معلقة بجانب لوحة « الميناء » ، وعن كثب منه بما لا يزيد على ثلاثة أقدام وقف احد الحراس ... وفى القاعة التى وقفت بها تريسى كانت رسامة منهمكة فى رسم لوحة أخرى باذلة اقصى جهدها لنقل الالوان الوضاءة التى ضمتها لوحة جويا ..
ثم اقبل فوج من السياح اليابانيين تدفقوا على الصالون وهم يثرثرون مثل سرب طيور منتشية ... الآن قد وجدت تريسى اللحظة التى كانت تنتظرها ، وشعرت بقلبها يدق عنيفا حتى خيل اليها ان الحراس يسمعون دقاته .. وقد حادت عن طريق الفوج اليابانى

المقترب ، متجهة بظهرها نحو الرسامة ... فلم تلبث تريسى أن وقعت على ظهرها ، وكأنما دفعت دفعا ، مصطدمة بالرسامة ، فطوحت بها ، وبالمرسم ، والقماش ، والالوان — الى الارض .. وهتفت من فورها : أوه ! .. أنا فى شدة الاســـف !... دعينى أساعدك ! ..

وفيما همت تريسى بمساعدة الرسامة المنزعجة كانت تدوس بقدميها الوان الرسم المبعثرة فتلطخ بها الارض ... ولم يلبث دانييل كوبر الذى كان يراقب تريسى عن كثب وشهد كل شيء أن اقترب مسرعا وقد تحفز بكل أعصابه ، اذ أصبح موقنا أن تريسى هوبتنى قد بدأت خطوتها الاولى ...

أما الحارس فقد اندفع صائحا : ماذا جرى ؟.. ماذا جرى ؟..

ان هذا الحادث قد استرعى انتباه السياح ، فالتفوا حـــول الرسامة المرتمية على الارض ، مما زاد فى سحق أنابيب الالوان تحت الاقدام وتشويه الارضية الصلبة بأشكال منكرة مختلطة .. كانت ربكته شنيعة ، والامير بوشك أن يظهر فى أية لحظة !.. فارتاع الحارس ، ونادى بأعلى صوته : سرجيو ! .. سرجيو !.. تعال الى هنا ! .. بسرعة !..

وكانت تريسى تراقب عندما هرع الحارس من القاعة المجاورة لمد يد المساعدة .. وبقى سيزار بوربتا الاحدب وحده فى صالون جويا ... مع لوحة « الميناء » ..

وفى وسط هذا الهرج وقفت تريسى .. وعبثا كان الحارسان يحاولان دفع السياح بعيدا عن منطقة الارض الملطخة بالالوان ..

وصاح سرجيو : اطلب المدير ! ..

فهرول الحارس الآخر نحو السلالم وهو يردد : ياللورطة !..

وبعد دقيقتين كان كريستيان مخادا لدى مسرح الكارثة .. وماأن وقع نظره على المشهد البشع حتى صرخ : هاتوا النساء العاملات فى التنظيف الى هنا ! .. بسرعة !. مع قماش وتربنتين ! ... بسرعة ! ..

فأسرع أحد مساعديه لتلبية الامر .. ثم التفت المدير الى سرجيو ونهره قائلا : عد الى مكانك !..

— حالا ياسيدى ...

وراقبت تريسي الحارس وهو يشق طريقه خلال التجمهر الى القاعة التى كان الاحدب سيزار بوريتا يعمل فيها ..

ان دانييل كوبر المترصد لتريسي والملازم لها كظلها لم يرفع عينيه عنها لحظة انتظارا لحركتها التالية ... لكنها لم تأت ... فهى لم تقترب من اية لوحة ، ولا اتصلت بأى شريك ... وكل مافعلته هو انها أوقعت مرسما على الارض وأراقت بعض الالوان الزيتيــة : بيد انه كان مقتنعا بانها فعلت هذا عامدة .. لكن لاى غرض ؟... لقد شعر كوبر على نحو ما بأن أيا ماكان مدبرا قد وقع فعلا ... واجال نظره فيما حول جدران الصالون ، غير انه لم يبصر واحدة مفقودة ...

اسرع كوبر الى القاعة المجاورة ... فلم يكن بها احد ســوى الحارس واحدب مســن جالس أمام مرسمه ينقل لوحة لجويا ... وكانت جميع اللوحات فى مواضعها ... لكن هناك خلل ما ... كان واثقا من هذا ..

هرول كوبر عائدا الى مدير المتحف المنزعج وكان قد التقى به من قبل ، واندفع يقول له : عندى من الاسباب مايجعلنى أعتقــد ان احدى اللوحات قد سرقت من هنا فى الدقائق القليلة الماضية .

حدق كريستيان ماخادا فى الامريكى المضطرب قائلا : ما الذى تقوله ؟ .. لو صح هذا ، لاطلق رجال الحرس الانذار ...

ــ فى ظنى أن لوحة زائفة قد أبدلت بأخرى حقيقية ..

نظر اليه المدير متسامحا وقال له باسما : هناك نقطة صــغيرة خاطئة فى نظريتك ياسنيور ... ان هذا ليس معروفا للجمهور عامة ، لكن توجد اجهزة استشعار خلف كل لوحة .. فاذا حاول اى شخص رفع لوحة عن الحائط ، وهو مالابد أن يفعله لاستبدال لوحة باخرى ، فان الانذار ينطلق فى الحال ...

فقال دانييل كوبر دون أن يقتنع بعد : هل يمكن ابطال عمـل الانذار ؟ ...

ــ كلا .. واذا قطع احد السلك لفصله عن التيار ، فان هذا ايضا يؤدى الى انطلاق الانذار .. من المستحيل ياسنيور على اى احد ان يسرق لوحة من هذا المتحف ... فان اجراءات الامن عنــدنا محكمة كل الاحكام ...

لقد وقف كوبر مكانه يرتجف احباطا ... ان كل ماقاله المــدير

مقنع .. وسرقة اية لوحة تبدو مستحيلة ... لكن لماذا اذن أراقت تريسي تلك الالوان عمدا ؟ ...

لم يكن في مقدور كوبر ان يفعل شيئا ، غير انه قال للمدير اخيرا : أرجو ان تحتملني ... فهلا طلبت الي معاونيك أن يتفقدوا المتحف للتأكد من عدم نقص اى لوحة ؟.. سأكون بانتظار الرد في فندقي ...

وفي الساعة السابعة من مساء هذا اليوم اتصل كريستيان مخادا تليفونيا بكوبر وقال له : انني قمت شخصيا ياسنيور بعملية التفتيش ... ان كل لوحة موجودة في مكانها المحدد ... ولم يفقد اى شيء من المتحف ...

هذا هو الحال اذن !... ان مسألة سكب الالوان بدت حادثا عرضيا في الظاهر .. بيد أن دانييل كوبر أحس بغريزة الصياد ان الطريدة قد أفلتت .

***

دعا جيف ستيفنز ـ تريسي لتناول العشاء في القاعة الرئيسية بفندق ريتز ... وفي جلستهما قال لها عرضا : أراك تبدين مشرقة بصفة خاصة هذه الليلة ...

ـ أشكرك ... انني أشعر بالانشراح فعلا ..

ـ هذا بسبب صحبتنا ... تعالي معي الي برشلونة في الاسبوع القادم .. انها مدينة مبهجة .. وسيعجبك .

ـ انا آسفة ياجيف .. ليس هذا بامكاني .. سأغادر أسبانيا .

فقال بصوت ملؤه الاسف : أحقا ؟ .. ومتى ؟..

ـ في خلال أيام قلائل ..

ـ آه ! .. بالخيبة املي !..

قالت تريسي لنفسها : ستزيد خيبة املك عندما تعرف أنني سرقت لوحة « الميناء » .

ولم تتمالك أن تساءلت في نفسها كيف رسم خطة لسرقة اللوحة ... بيد أن هذا لم يعد يهم ، بعد أن تفوقت على جيم ستيفنز الداهية ، كما فكرت في نفسها ...

ومع هذا ، ولغير سبب مفهوم ، فقد خامرتها مشاعر الاسف ...

الفصل الثامن والعشرون

جلس كريستيان مخادا فى مكتبه بالمتحف يستمتع بفنجان القهوة السوداء القوية ، مهنئا نفسه على النجاح الذى حظيت به زيارة الامير ... فان كل شيء ، فيما عدا حادث اراقة الالوان الزيتية قد سار كما كان مخططا له على احسن مايرام ... والواقع انه حمد الله لان الامير وحاشيته قد أمكن تحويل انتباههم الى أن تمت ازالة آثار تلك الربكة ... ولم يتمالك المدير أن ابتسم عندما فكر فى أمر محقق التامين الامريكى الأفون الذى حاول اقناعه بأن أحدا ماقد سرق لوحة من متحف برادو ، حتى ناجى نفسه مزهوا معتزا : لا الامس ولا اليوم ، ولا غدا ...

ومهما يكن فقد جاءته سكرتيرته بعد فترة وقدمت اليه رسالة حملها زائر ينتظر ... وعندما فضها وجد فى أعلاها اسم متحف كونثاوس فى مدينة زيورخ ، وقد تضمنت ما يأتى : زميلى الاجل ـ اقدم اليك بهذه الرسالة مسيو هنرى رندال ، كبير خبرائنا الفنى . ان السيد رندال قائم برحلة الى متاحف العالم ، وهو مشتاق بصفة خاصة لمشاهدة مجموعتكم التى لا نظير لها . وسيكون من بواعث تقديرى العظيم أن تشدوا اليه عونكم » .. وكانت الرسالة مذيلة بتوقيع مدير المتحف السويسرى ...

قال كريستيان مخادا لنفسه سعيدا مغتبطا : عاجلا أو آجلا سوف يفد الى كل انسان !..

ودخل هنرى راندل ... كان فارعا بادى المهابة يميل الى الصلع ، ولهجته السويسرية واضحة ... وعندما تصافحا لاحظ مخادا ان الاصبع السبابة فى يده اليمنى مفقود ... وقال هنرى راندل : اننى أقدر هذه المناسبة ... هذه اول مرة يتاح لى فيها أن ازور مدريد ، واننى لاتطلع الى مشاهدة اعمالكم الفنية الذائعة الصيت ...

فقال كريستيان مخادا متواضعا : لا أظن انك سيخيب ظنك يامسيو رندال ... تفضل معى ... سأصحبك شخصيا :

وبدأ طوافهما بالقاعة المستديرة ، وانتقلا منه الى القاعة الوسطى ،

فكان هنرى رندال يتفحص كل لوحة بعنـاية .. وكانا يتبـادلان الحديث بأسلوب الثقات المتمكنين ، فى تقييم لاسلوب كل فنـان واتجاهاته وأحاسيسه اللونية ... ثم هبط المدير بزائره فى النهاية الى معرض لوحات جويا ، قائلا فى زهو بالغ : والآن ، الى فخر اسبانيا ...

فلم يتمالك رندال أن هتف مبهورا : هذا قرة للأعين !.. دعنى بالله أتوقف واملأ النظر والحس من هذه الافانين !..

فمهل كريستيان سخادا وقد طاب له أن يرى مثل هذا الخشوع فى محراب الفن ... وهتف رندال : اننى لم أشهد فى حياتى مثل هذه الروعة ! ...

وعلى هذه مضى يخطو وئيدا فى الصالون متفحصا كل لوحة ، مبديا مزيد اعجابه وانبهاره بكل مايرى ، الى أن توقف امام لوحة « الميناء » ، وقال : تقليد لطيف !...

وهم ان يتابع طوافه ، فجذبه المدير من ذراعه قائلا : ماذا ؟.. ماذا قلت ياسنيور ؟..

ــ قلت ان اللوحة تقليد لطيف ...

فقال المدير وقد امتلأ بأشد الغضب : انت مخطىء كل الخطأ !

ــ لا اظن هذا ...

فقال مخادا بخشونة : لابد أن تكون هكذا !.. أؤكد لك أن اللوحة صحيحة ! ... عندى ثبتها ! ...

فتقدم هنرى رندال من اللوحة واخذ يتفحص الرسم مدققا ، ثم قال : اذن فان ثبت هذه اللوحة زائف أيضا ... ان الذى رسمها هو تلميذ جويا ــ أوجينيو لوكاس باديلا ... لابد أنك تعرف بالطبع أن لوكاس قد رسم مئات من لوحات جويا بالتقليد ...

فقال مخادا بحدة : مؤكد اننى أعرف هذا ... لكن هذه اللوحة ليست واحدة منها ...

فهز رندال منكبيه قائلا : اننى انحنى لحكمك ...

وبدأ يواصل طوافه ، فقال مدير المتحف : اننى شخصيا قد اشتريت هذه اللوحة .. وقد ثبتت صحتها بمختلف الاختبارات الفنية المقررة ! ...

ــ انا لا اشك فى هذا ... ان لوكاس رسم فى نفس عهد جويا ، واستخدم نفس المواد والخلطات ...

وانحنى رندال لفحص التوقيع عند اسفل الرسم ، ثم أردف

قائلا : بامكانك أن تستوثق بنفسك اذا أردت .. خذ اللوحة الى غرفة الترميم واختبر التوقيع ...

وضحك متفكها وهو يقول : ان اعتزاز لوكاس بنفسه جعله يوقع رسومه باسمه ... ولكن الرغبة في ملء حافظته اضطرته الى تزوير اسم جويا فوق اسمه ، وبهذا كان يضاعف ثمن الرسوم الى حد فاحش ...

ثم نظر هنرى رندال الى ساعته وقال : لابد أن تسامحنى .. اننى تأخرت عن موعد هام ... شكرى عظيم اذ أشركتنى فى الاستمتاع بكنوزك ...

فقال المدير ببرود : العفو ...

أما فى سره فقال لابد ان الرجل أحمق مأفون ..

وقال رندال وهو ينصرف : أنا فى فندق مانيا ، اذا كان ثمة خدمة أقوم بها ... وشكرا مرة أخرى ياسيدى المدير ...

وراقبه المدير وهو يبتعد ، ساخطا من جرأته للزعم بأن لوحة جويا الثمينة هى مجرد تقليد ...

وانثنى المدير ينظر الى الرسم من جديد ... كان جميلا ... رائعة من روائع جويا .. ثم انحنى يفحص التوقيع ... طبيعى تماما ... ومع ذلك ، هل هذا ممكن ؟.. أن بذرة الشك الضئيلة لم تبرح فكره ... كل انسان كان يعرف أن لوكاس ، معاصر جويا ، قد رسم مئات من لوحات جويا بالتقليد وتزوير توقيع استاذه العظيم لملء جيوبه بالمال ... وكريستيان مخادا نفسه قد دفع ثلاثة ملايين ونصفا من الدولارات ثمنا للوحة « الميناء » هذه .. فلو كان قد خدع حقا لكانت لطخة سوداء فى حقه ، وهو شىء لا يطيق مجرد التفكير فيه ! ...

أن هنرى راندل قال شيئا واحدا معقولا للتحقق من صحة الرسم ... فليقم اذن بفحص التوقيع ، ثم يتصل به تليفونيا لكى يقول له بكل ادب ان من الخير له أن يبحث له عن مهنة أكثر ملاءمة له ! ..

وهكذا استدعى المدير مساعده وأمر بنقل لوحة « الميناء » الى قاعة الترميم ...

***

ان اختبار الروائع الفنية هى عملية بالغة الدقة لا يتولاها الا فنانون متخصصون ... وقد وضع جوان ديلجادو رئيس قسم الترميم الفنى

بمتحف برادو لوحة « الميناء » فوق حمالة خشبية خاصة وعن كثب منه كريستيان مخادا يراقب ... وقد قال له : اريد منـــك ان تختبر التوقيع ...

فأخفى ديلجادو دهشته في نفسه قائلا : حاضر ياسيدى المدير .

وصب قدرا من كحول « ايزو بروبيل » على كرة قطنية ووضعها فوق المنضدة الى جانب اللوحة ... ثم صب على كرة قطنية اخرى قدرا من البترول المقطر وهو العامل المحيد ... بينما قال المدير : ابدأ اذن ... لكن بكل احتراس ...

شعر مخادا فجأة بأنه يصعب عليه أن يتنفس .. وجعـل يراقب ديلجادو وهو يرفع كرة القطن الاولى ويلمس بها برفق حرف الجيم في توقيع جويا ... وفي الحال التقط ديلجادو كرة القطن الثانية وقام بتحييد البقعة ، لئلا ينفذ الكحول الى عمق أبعد .. ووقف الرجلان يفحصان قماش الرسم ...

لم يلبث ديلجادو ان قطب قائلا : انا آسف .. لكن ليس بامكاني ان اقول حتى الآن .. لابد من مذيب اقوى ...

فأمره المدير أن يفعل .. ففتح ديلجادو زجاجة اخرى وصـب قدرا من سائل « ديمنتيل بيتون » على كرة قطنية أخرى ثم لمس بها المرة الاولى من التوقيع مرة جديدة ، مستخدما في الحال كرة القطن الثانية .. لقد امتلأت القاعة برائحة حادة نفـاذة بسبب المواد الكيماوية ... ووقف كريستيان مخادا مكانه يحدق في الرسم وقد عجز عن تصديق مايراه ... فان حرف الجيم في توقيع جويا بدأ يختفي ، وحل مكانه حرف اللام واضحا ..

التفت اليه ديلجادو شاحب الوجه قائلا : هل .. هل استمر ؟..

فقال مخادا بصوت اجش : نعم ...

وشيئا فشيئا ، وحرفا حرفا ، تلاشى توقيع جويا باستعمال المذيب ، وتجسد توقيع لوكاس مكانه ... ان كل حرف كان لطمـة في احشاء مخادا .. فهاهو ذا ، مدير واحد من اهم متـاحف العالم قد خدع ... ولسوف يسمع مجلس المديرين بهذا ..ولسوف يسمع به ملك اسبانيا .. ولسوف تسمع به الدنيا كلها !.

لقد قضى عليه قضاء مبرما .

وعاد الى مكتبه متعثرا .. واتصل تليفونيا بهنرى رندال ...

***

جلس الرجلان في مكتب مخادا ، وقال المدير مخذولا : كنت على

حق ... انها لوحة من رسم لوكاس ... اذا تسربت كلمة واحدة عن هذا ، اصبحت اضحوكة ...

فقال هنري رندال مواسيا : ان لوكاس خدع خبراء كثيرين .. وبالصدفة فانا من هواة لوحاته المقلدة ...

ـ انني دفعت ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار ثمنـــا لهـذه اللوحة ...

فهز رندال كتفيه قائلا : وهل بامكانك أن تسترد نقودك ؟..

فهز المدير راسه يائسا وقال : انني اشتريتها مباشرة من ارملة اكدت انها ظلت في حيازة اسرة زوجها لاكثر من ثلاثة اجيال .. واذا سعيت الى مقاضاتها فسوف يطول نظر القضية في المحاكم وتـكون مادة للتشهير .. وفي هذا سيكون كل شيء في هذا المتحف عرضة للشك وسوء الظن ...

راح هنري راندل يقدح زناد فكره ، ثم قال : لا موجب حقيقة لاى تشهير ... لماذا لا تشرح لرؤسائك ماحدث ، ثم تعمـل على التخلص من لوحة لوكاس بهدوء ؟ .. بامكانك ارسال اللوحة الى مزادات سوثبي أوكريستي الشهيرة في لندن لبيعها في المزاد ؟..

فهز مخادا راسه قائلا : كلا ... بهذا تعرف الدنيا كلها القصة ..

وهنا تهلل وجه رندال وقال : ربما كنت محظوظا ... عندى زبون قد يكون راغبا في شراء لوحة لوكاس ... انه يجمع لوحاته وهو رجل ذو حرص وحكمة ..

ـ سأكون مسرورا للتخلص منها ! .. لا اريد ان اراها مـرة اخرى ، الى الابد !.. لوحة زائفة بين كنوزى الثمينة !! انا على استعداد لكي اهبها ...

ـ لا لزوم لهذا ... ان زبوني هذا ربما يكون مستعدا لكي يدفع لك ، لنقل خمسين الف دولار عنها ... هل اتصل به تليفونيا ؟..

ـ ان هذا لمكرمة منك ياسنيور رندال .

وفي اجتماع عقد على عجل ، قرر مجلس الادارة المنذهل ان الاعلان عن وجود لوحة زائفة بين مقتنيات متحف برادو الثمينـة هو كارثة لابد من تفاديها باى ثمن .. وتم الاتفاق على ان افضـل اسلوب للتصرف هو التخلص من اللوحة باهدا واسرع ما يمكن ...

وغادر الاعضاء قاعة الاجتماع صامتين دون ان يوجه احد منهـم كلمة واحدة الى كريستيان مخـــادا الذى وقف مكانه غارقا في تعاسته ...

وعصر هذا اليوم عقدت الصفقة ... فذهب هنري رندال الى بنك اسبانيا ثم عاد بشيك معتمد بمبلغ خمسين الف دولار ، وسلمت لوحة لوكاس اليه ملفوفة في ورق عادي ... وقال له مخادا متأثرا : ان مجلس الادارة سوف ينزعج اذا شاع هذا الحادث ... لكنني أكدت لهم أن زبونك رجل حكمة وحرص ..

فطمأن رندال خاطره ...

وما ان غادر هنري رندال المتحف حتى استقل سيارة أجرة الى المنطقة السكنية في الطرف الشمالي لمدريد وحمل اللوحة الى شقة في الدور الثالث وطرق الباب ... ففتحت له تريسي .. ووقف من خلفها سيزار بوريتا الرسام الاحدب ... ولما نظرت تريسي الى القادم مستطلعة قال هنري رندال بشماتة : انهم لم يطيقوا ابقاء اللوحة عندهم ! ...

فعانقته تريسي قائلة : ادخل ...

واخذ بوريتا اللوحة ووضعها فوق منضدة ، وقال : والآن .. سوف تشهدون معجزة ... لوحة جويا الحقيقية تبعث حية !..

وتناول زجاجة بها كحول مثيلي وفتحها ، وسرعان امتلأت الغرفة رائحة نفاذة ... وبينما وقفت تريسي وهنري رندال ينظران ، سكب بوريتا قدرا من السائل فوق قطعة قطن وراح يلمس بها خفيفا جدا توقيع لوكاس ، حرفا بعد حرف ... وشيئا فشيئا بدأ توقيع لوكاس يتلاشى .. وظهر من تحته توقيع جويا ..

لم يتمالك هنري رندال ان حدق في رهبة وهتف : رائع !..

فقال الرسام الاحدب : انها فكرة مس هويتني ... فقد استفهمت عما اذا كان يمكن حجب توقيع الفنان الاصلي بتوقيع زائف ، ثم تغطية هذا بالاسم الاصلي ...

فابتسمت تريسي قائلة : انه صور لي كيف اتمام هذا العمل ..

فراح بوريتا يقول بلهجة التواضع : كانت المسألة في غاية البساطة ... ولم تستغرق الا اقل من دقيقتين ... كانت الخدعة كلها في الالوان التي استخدمتها ... عملت أولا على تغطية توقيع جويا بطبقة نقية جدا من دهان أبيض فرنسي لوقاية التوقيع ... وفوق هذه الطبقة كتبت اسم لوكاس بدهان « اكريليكي » القاعدة سريع الجفاف ... ومن فوق هذا رسمت اسم جويا بدهان زيتي القاعدة مع دهان تصويري خفيف ... وعندما أزيل التوقيع العلوي ظهر اسم لوكاس ... ولو انهم تعمقوا لاكتشفوا أن توقيع جويا

الاصلي كان محجوبا أسفله .. ولكنهم بالطبع لم يفعلوا ...
عندئذ قدمت لكل من الرجلين مظروفا مليئا وقالت : أريد ان اقدم شكرى لكليكما ..
فقال هنرى رندال غامزا بعينه : مستعد فى أى وقت تحتاجين فيه الى خبير ..
وقال بوريتا : كيف تدبرين نقل اللوحة الى خارج البلاد ؟..
ـ هناك رسول سوف يأتى لاخذها من هنا .. فانتظره ..
وصافحت الرجلين ، ثم انصرفت ..
كانت تريسى وهى فى طريق عودتها الى فندق ريتز مفعمة النفس ابتهاجا ... وكانت تناجى النفس بقولها : « كل شيء مسألة نفسانية » ... فقد رأت عند البداية أن من المحال سرقة اللوحة العالمية من متحف برادو ... وهكذا كان لابد لها من التوسل بالخداع ، فتجعلهم فى حالة نفسانية وفكرية يتجهون فيها الى التخلص من اللوحة ...
وفى الطريق تصورت ملامح جيف ستيفنز عندما يعلم كيف خادعته وتفوقت عليه ، فلم تتمالك أن غلبها الضحك ...
وقد انتظرت فى فندقها حضور الرسول ، وعندما وصل طلبت تليفونيا سيزار بوريتا ، وقالت له : ان الرسول عندى الآن ... وسارسله اليك لاخذ اللوحة ... احرص على أن ...
فقال بوريتا صارخا : ماذا ؟ .. ماذا تقولين ؟ . ان رسولك جاء واخذ اللوحة منذ نصف ساعة !!! ..

الفصل التاسع والعشرون

باريس ـ الاربعاء ٩ يوليو ـ الظهر .
فى مكتب خاص قرب شارع ماتينيون بباريس ، قال جانتر هارتوج : اننى افهم ياتريسى مدى شعورك بشأن ماحدث فى مدريد، ولكن جيف ستيفنز كان أسبق منك هناك ...
فبادرت تريسى الى تصحيح كلامه قائلة بمرارة : كلا ... اننى سبقته هناك ! ... وجاء هو متأخرا ..
ـ لكن جيف سلم اللوحة . ان لوحة الميناء ، فى طريقها الآن الى زبونى ..

فبعد كل ما خططت تريسي ورسمت وتحايلت ، تفوق جيف ستيفنز عليها ! ..
انه جلس مرتاحا وتركها تقوم بالعمل وتتعرض لكل المجازفات ؛ ثم في اللحظة الاخيرة اقتنص هو الغنيمة وسار بها ناعما !.. ولابد انه كان يضحك منها طوال الوقت !..
وقالت تريسي أخيرا : اننى لم افكر قط فى قتل اى انسان ... لكننى لا اتردد الآن فى قتل جيف ستيفنز وأنا سعيدة !.
فقال جانتر بدعة : آه ياعزيزتى ... ليس فى هذه الغرفة ... لعله الآن فى طريقه الى هنا ..
فوثبت تريسى قائمة وهى تقول : هو ماذا ؟!..
ــ قلت لك أن عندى مهمة لك ... وهى تتطلب شريكا معك .. فى رايى انه هو الوحيد الذى ...
فاندفعت تريسى تقول بحدة : الموت جوعا أهون عندى ! .. ان جيف ستيفنز هو احط ...
ــ آه ! ... هل سمعت اسمى يذكر ؟ .
وشخص جيف فى مدخل الغرفة متهلل الاسارير ، واردف : تريسى أيتها العزيزة .. انك تبدين فى أروع صـــورة ... وانت ياصديقى جانتر .. كيف حالك ؟.
وتصافح الرجلان ، ووقفت تريسى مكانها مفعمة النفس غضبا وحنقا ..
فتطلع اليها جيف وتنهد قائلا : لعلك ساخطة على ؟..
ــ ساخطة ؟ .. أنا ...
واعجزتها الكلمات كمدا ، فراح يقول لها : فى الحقيقة ياتريسى ان خطتك كانت فى رايى ذكية باهرة ، لولا انه كان فيها غلطة صغيرة فيجب الا تثقى بسويسرى مفقود سبابة اليد اليسرى !..
جعلت تريسى تتنفس من اعماق صدرها ، محـــاولة تمـــالك اعصابها ... ثم التفتت الى جانتر قائلة : سأتكلم معك فيمـــا بعد ياجانتر ...
ــ تريسى ! .
ــ كلا .. مهما تكن المهمة ، فلا أريد المشاركة فيها . لا وهو مشارك فيها ...
فقال جانتر مصابرا : هل يمكن على الاقل أن تنصتى ؟..

ـ لا فائدة ... سأسافر الى خارج باريس الى حيث أتنقل فى بلاد كثيرة لأنال ما استحقه من راحة وترفيه ...

وانسحبت من الغرفة على الاثر ... ونظر جانتر خلفها قائلا : انها غاضبة عليك فعلا ياجيف بسبب عملية مدريد .. وأنا إخشى الا تقوم بالعملية الجديدة ..

فقال جيف بمرح : انت مخطىء ... أنا اعرف تريسى .. لن تستطيع مقاومة الاغراء .. دعها لى مؤقتا ..

***

فى قرية سياحية تدعى القمر عند الطرف الشمالى الغربى من ساحل هولندا مواجهة لبحر الشمال ، استطاع جيف ستيفنز اخيرا أن بعثر على تريسى هويتنى بعد طول طواف واقتفاء لاثرها بين شتى البلدان التى تنقلت فيها طلبا للراحة والاستجمام .. ولـــكنه وجدها هذه المرة مريضة منهكة بتاثير حمى الت بها ، فعـكف على تمريضها ورعايتها بحنان غريب فى فندق صغير نقلها اليـه زاعمـــا لصاحب الفندق وزوجته أنهما عروسان فى شهر العسل ، الى أن زالت عنها الحمى بفضل رعايته ولم تجد بعد الآن سبيلا لمجـافاته وصده عنها ..

وعلى الرغم من ذلك فان تريسى لم تتجرد من تحفظها حياله ، حتى كانت تسائل نفسها بين فينة واخرى ماالذى يدعوه الى ملازمتها على هذه الصورة ؟ .. لقد وجدته فى الواقع لغزا يحيرها امـره وتعييها تصرفاته ...

ثم الفت نفسها تحدثه عن اشياء كانت ترى أنه لا يجدر بها أن تناقشها مع احد ... فقد حدثته عن جو رومانو وتونى أورساتى ، وعن أرنستين الزنجية رفيقتها فى سجن النسـاء وايمى برانيجـان ابنة مدير السجن ... فكان يستمع اليها ماخوذا بين الســخط حينا والتفجع والرثاء حينا آخر ... كما حدثها هو ايضـــا عن زوجة أبيه الخائنة لعهود الزوجية ، وعن عمه ديلى صاحب السيرك وعن زواجه من لويز الغنية الفاجرة ... فلم تشعر تريسى فى خلال ذلك بانها كانت فقط أقرب الى اى رجل مما الفت عليه نفسها الآن وهى فى صحبته ...

وقال لها مرة وقد توثقت صحبتهما : اسمعى ياتريسى ... ان ما فعلته فى مدريد لم يكن بسبب المال ... كان من أجـــل لذة

المغامرة والتحدي ... والحقيقة أن هذا هو السبب فى قيامنا بهذه العمليات ، اليس كذلك ؟ ..

فأومأت تريسى ايجابا ، وقالت : صدقت ... كان السبب أول الامر هو في حاجتى الى المال ... وبعد ذلك تطور الى شيء آخر .. كم من أموال انفقتها وبددتها !.. انني أهوى قياس ذكائي بذكاء الآخرين الذين هم ناجحون ولامعون ولا ضمير لهم .. انني أهوى الحياة على حافة الخطر ...

خيم بينهما صمت طال فترة ، واخيرا قطعه جيف قائلا : تريسى ما رايك فى ان ننفض ايدينا من هذه الحياة ؟..

فنظرت بدهشة ، مرددة : ننفض ايدينا ؟.. لماذا ؟.

ـ كان كل منا قبل الآن يعيش لنفسه .. اما الان فاشعر ان كل شيء تغير .. لا يمكن أن أحتمل أن يصيبك اى شيء ... لماذا نواجه مخاطر اخرى ؟ .. عندنا كل الاموال التى نحتاج اليها . لماذا لا نعتبر أننا اعتزلنا العمل ؟..

ـ وماذا نفعل ياجيف ؟..

فأجاب باسما : سنفكر فى شيء ... سنفعل كل مانحب ... سنرتحل الى كل مكان ... سنمارس هوايات كثيرة ـ انى كنت دائما اعشق الحفريات الاثرية ، ويمكننا أن نتولى تمويل أعمالنا الخاصة فى هذا المجال .. وسنطوف فى كل أرجاء الدنيا ..

ـ هذا شيء مثير ! ..

ـ اذن فما رايك ؟.

فنظرت اليه طويلا ، ثم اجابت برقة : اذا كان هذا ماتريد ..

فعانقها ، وقال ضاحكا : ترى ايمكن ان نرسل اخطارا بهذا للبوليس ؟ ..

فلم تتمالك أن شاركته ضحكته ..

***

جاءت مكالمة جانتر هارتوج فى اليوم التالى ، حينما كان جيف خارج الفندق ، وقال لها : كيف حالك اليوم ياتريسى ؟..

فطمأنته قائلة : انني بكل خير ..

كان جانتر يسأل عنها تليفونيا كل يوم بعد ان علم من جيف ستيفنز ما ألم بها ... ولقد قررت تريسى الا تخبره بما أستقر عليه عزمهما ، هى وجيف ـ أو على الاقل مؤقتا ...

ـ هل انت وجيف على وئام !؟ ..

فاجابت باسمة : اننا على أحسن مايرام ...

ـ هلا فكرت في العمل معا من جديد ؟ ...

الآن لم تجد مفرا من مكاشفته ، فقالت : جانتر .. اننا .. سنعتزل ...

ساد الصمت برهة ، ثم قال : لست افهم ..

ـ ان جيف وانا ، كما يقولون في بعض المواقف السينمائية ، عزمنا على الاستقامة ..

ـ ماذا ؟ ... لكن .. لماذا ؟.

ـ كانت فكرة جيف . وقد وافقت عليها .. لا مغامرات بعد الآن ...

ـ لنفرض انني أخبرتك أن العملية التي أفكر فيها تساوي مليوني دولار لكما وليس بها مخاطرات ؟..

ـ في هذه الحالة ساضحك كثيرا ياجانتر ...

ـ انا جاد يا عزيزتي ... ستسافرين الى امستردام ، وهي على بعد ساعة واحدة من مكانها الحالي ، و ...

ـ لابد لك أن تبحث عن شخص آخر ..

فتنهد ، ثم قال : يؤسفني ان أقول انه لا يوجد اي شخص آخر يليق لهذا العمل ... هلا ناقشت هذه المسالة على الاقل مع جيف؟.

ـ لا باس .. لكن لن تكون هناك فائدة ....

وعندما رجع جيف اخبرته بما كان ... فقال لها : الم تخبريه اننا اصبحنا مواطنين مطيعين للقانون ؟ ...

ـ طبعا .. قلت له أن يبحث عن شخص آخر ... لكنه أصر على انه يحتاج الينا ... قال ان العملية خالية من المخاطرة وانه بالامكان أن نفوز بمليوني دولار نظير مجهود بسيط ...

ـ وهو مايعني أنه مهما يكن هذا العمل الذي يفكر فلابد ان يكون تحت حراسة مشددة مثل قلعة « فورت نوكس » ...

فقالت تريسي بخبث : أو متحف برادو ...

فابتسم جيف قائلا : كانت تلك خطة بارعة ياتريسي .. الحقيقة انها كانت بداية وقوعي في حبك ...

ـ وفي ظني انك عندما سرقت لوحة جويا كان ذلك بداية وقوعي في كراهيتك ...

ـ كونى منصفة ياتريسى ... انك بدات فى كـــراهيتى مــن قبلها ...

ـ صدقت ـ ماذا نقول لجانتر ؟ ...

ـ انك اخبرته فعلا .. اننا لم نعد نمارس هذا العمــل بعـد الآن ...

ـ الا يجدر بنا على الاقل أن نعرف ماذا يفكر فيه ؟..

ـ تريسى ... اننا اتفقنا على ..

ـ اننا ذاهبان الى امستردام على اى حال ، وربما لا يكون هناك ضرر من مجرد الاستماع اليه ومعرفة مايريد ..

فتفرس فيها بارتياب ، قائلا : انت تريدين القيام بالعملية ، اليس كذلك ؟ ..

ـ لا بالتاكيد .. لكن لن نخسر شيئا من سماع ماعنده ...

وانتقلا الى امستردام فى اليوم التالى ونزلا فى فندق امستيل .. وطار جانتر هارتوج من لندن للقائهما ...

وسعى الثلاثة الى الظهور بمظهر سياح عابرين فى رحلة نهـرية فى نهر امستيل ... وقال لها جانتر : يسرنى أن أعرف ما سمعته الآن من انكما اتفقتما على الزواج .. تهانيا الحارة ..

فشكرته تريسى ، بينما مضى جانتر يقول : اننى احترم رغبتكما فى الاعتزال ، لكننى اواجه الآن موقفا فريدا اشعر معه بانه لابد لى من وضعه تحت نظركما ... ثم أنه قد يكون مثمرا جداً لكما ..

فقالت تريسى : نحن آذان صاغية ...

فمال جانتر الى الامام واخذ يتحدث بصوت خفيض .. وعندما فرغ قال لهما : مليونا دولار لكما أذا امكنكما اتمام العملية ..

فقال جيف دون تردد : هذا مستحيل ... ياتريسى ..

غير ان تريسى لم تكن منصتة اليه ... كان عقلها منهمكا فى تصور كيف يمكن القيام بالعملية التى عرضها جانتر ...

الفصل الثلاثون

فى مقر الادارة العامة لبوليس مدينة امستردام عقد اجتمـاع هام حضره ستة من المخبرين الهولنديين كان الحاضر الوحيد الغريب بينهم هو دانييل كوبر محقق اتحاد شركات التامين الامريكية .

وراح المفتش فان دورين الضخم الجهير الصوت يخاطب مدير البوليس تون ويليمز المعروف بكفاءته الفذة قائلا : ان تريسى هويتنى قد وصلت الى امستردام صباح اليوم ياسيدى المدير .. وبوليس « الانتربول » الدولى واثق انها ماجاءت الى هولندا الا لارتكاب جريمة جديدة ..

فالتفت مدير البوليس الى دانييل كوبر قائلا : هل لديك اى دليل على هذا يامستر كوبر ؟..

ـ لا دليل ... ولهذا لابد من القبض عليها متلبسة فعلا ...

ـ وما الذى تقترح ان نقوم به لهذا الغرض ؟..

ـ بالا ندع هذه المراة تغيب عن انظارنا ...

فقال ويليمز بعد الذى علمه من المفتش ترينيان فى « الانتربول » عن صلابة هذا الرجل : لا باس ... اذا كانت هذه السيدة قد جاءت الى هولندا لاختبار كفاءة نظامنا البوليسى ، فسوف نضيفها ونعمل على راحتها ...

ثم التفت الى المفتش فان دورين واردف : اتخذ كافة التدابير التى تراها ضرورية ...

وهكذا اصدر المفتش اوامر مشددة لرجاله بمراقبتها على مدار الاربع وعشرين ساعة ، بحيث لا تغيب عن انظارهم لحظة ...

ولكن تريسى وجيف انهمكا فى ارتياد الاماكن السياحية والنزهة الى حد لم يجد معه المخبرون السريون الذين كانوا لهما اتبع من ظلهما سبيلا للشك فى امرهما ، وكانوا موقنين ان الاثنين هما مجرد سائحين يمضيان اجازة للترويح واللهو .. وعلى الرغم من ذلك ومن التقارير المقدمة من المخبرين بانتفاء اى شك فى امرهما ، فان دانييل كوبر لم ينزل عن اصراره وعناده ، وراح يشترك بنفسه مع المخبرين فى عملية المراقبة الدائبة ...

بل ان كوبر تمادى فى اصراره وعناده الى حد ان المفتش فان دورين ذهب الى مدير ادارة البوليس ويليمز يطالب منه ، بناء على الحاح كوبر ، الاذن بوضع اجهزة تصنت الكترونية فى حجرتى المشتبه فيهما بالفندق ، غير ان مدير البوليس ابى قائلا : عندما تتوافر لكم ادلة مادية على هذا الاشتباه ، يمكن النظر فى الامر .. والى ان يتم

هذا ، فلا يمكن أن أسمح بالتصنت على أناس كل جريمتهم انهم يطوفون بهولندا سائحين ! ...

دار هذا الحوار البوليسي يوم الجمعة ... وفي يوم الاثنين ذهبت تريسي وجيف لزيارة مصنع تقطيع الماس في حي كوستر بوسط امستردام ... وكان دانييل كوبر في عداد فريق المراقبة .. وكان المصنع مكتظا بالسياح الوافدين .. وقد صحبهم مرشد يتحدث بالانجليزية في الطواف بالمصنع ... وفي نهاية الجولة قادهم الى قاعة كبيرة للعرض حيث صفت حولها « فترينات » مليئة بمختلف انواع الماس المعد للبيع .. وفي وسط القاعة قامت «فترينة» زجاجية خاصة منصوبة فوق قاعدة سوداء ، وبداخلها ابدع ماسة راتها عينا تريسي ... وقال المرشد مفاخرا : وهذه ، سيداتي وسادتي ، ماسة « لوكولان » الشهيرة التي قرأتم عنها ... كان قد اشتراها مرة ممثل مسرحي لزوجته النجمة السينمائية ، وقيمتها تقدر بعشرة ملايين دولار ... انها حجر مكتمل ، وهي من انفس احجار الماس في العالم ...

فقال جيف بصوت مسموع : لابد انها هدف متميز للصوص ..

فاقترب دانييل كوبر اكثر لكي يستطيع الاستماع بصورة افضل ، وسمع المرشد يقول مبتسما في سماحة وهو يومىء الى الحارس المسلح الواقف قرب « فترينة » العرض : لا ياسيدي ... ان هذا الحجر تحت حراسة مشددة اقوى من حراسة مجوهرات برج لندن ولا خطر بالمرة ... فلو قام احد بلمس « الفترينة » الزجاجية لانطلق نظام الانذار فورا واغلقت كل نافذة وباب في القاعة اغلاقا محكما ... وفي الليل يبدأ تشغيل الاشعة الالكترونية ، واذا تسلل احد الى القاعة ، ينطلق الانذار في ادارة البوليس ..

فالتفت جيف الى تريسي قائلا : اظن انه لن يتمكن احد من سرقة هذه الماسة ابدا ...

فتبادل دانييل كوبر نظرة مع المخبر السري ... وفي نفس اليوم ابلغ تقرير بهذا الى المفتش فان دورين ...

وفي اليوم التالي قام جيف وتريسي بزيارة متحف ريجكس بعد شراء دليل للمتحف في مدخله ، وتقدما في الصالة الكبرى الى قاعة « معرض الشرف » التي امتلأت جدرانها بشتى الرسوم الزيتية الرائعة لمشاهير الفنانين الهولنديين ، متمهلين فترة امام كل لوحة ،

الى أن وصلا الى الحجرة المسماة « بقاعة الحراسة الليلية » ، التى ازدانت جدرانها بلوحة الرسام رمبراندت الاشهر ، حتى لم يتمالك المخبر المتابع لهما أن هتف لنفسه : « وهنا فى هذه القاعة ! ... رباه ! ... »

كانت اللوحة آية فى الروعة الفنية ، وقد أحيطت المنطقة التى قامت فيها بحبال من المخمل ، تحت حراسة حارس عن كثب ... وبعد فحص ودراسة واعجاب اتجه جيف الى الحارس قائلا : اظن ان هذه اللوحة تحت حماية كافية ...

ـ نعم ياسيدى .. ان اى شخص يحاول سرقة أى شيء من هذا المتحف لابد أن يواجه بأشعة الكترونية ، وكاميرات سرية ، وحراس فى الليل معهم كلاب بوليسية ...

فقال جيف باسما فى يسر : اظن أن هذه اللوحة سوف تبقى هنا الى الابد ! ..

وعندما ابلغ تقرير بهذا الى المفتش فان دورين لم يتمالك أن هتف : لوحة « الحراسة الليلية » !؟ .. هذا مستحيل !..

فلم يعد دانييل كوبر أن رمقه بعينين زائغتين ، دون أن يغضب ..

***

فى مقر قاعة المؤتمرات بالعاصمة امستردام عقد مؤتمر لهواة طوابع البريد ، وكانت تريسى وجيف فى أوائل الحاضرين .. وقد وضعت القاعة تحت حراسة مشددة ، اذ كان كثير من الطوابع المعروضة لا يقدر بثمن ... وكان كوبر واحد المخبرين الهولنديين لا يكفان عن مراقبة هذين الاثنين أثناء جولتهما بين مجموعة الطوابع النادرة .. وتوقفا امام طابع غريب الشكل لغيانا البريطانية ، فقالت تريسى : ياله من طابع أقرب الى القبح ...

فقال جيف : انه الطابع الوحيد من نوعه فى العالم .

ـ وكم يساوى ؟..

ـ مليون دولار

وعندئذ أومأ الموظف المشرف برايه مؤمنا وقال : صدقت ياسيدى معظم الناس ليست عندهم فكرة وهم يلقون عليه مجرد نظرة ... لكننى أرى ياسيدى انك تحب هذه الطوابع ، مثلى .. ان تاريخ العالم ماثل فيها ..

ومضى الاثنان فى جولتهما بين مجموعات الطوابع النادرة حتى وصلا

الى طابع من جزر هاواى ثمنه ثلاث سنتات ، فقال جيف لصاحبته: وهذا الطابع يساوى ثلاثة ارباع المليون دولار ...

وكان دانييل كوبر دائما فى اثرهما لا يغفل عن مراقبتهما لحظة ، مختلطا بالجمهور .. وقالت تريسى فى معرض الطواف والفرجة : ان كل هذه الطوابع النادرة صغيرة الحجم يسهل سرقتها ...

فابتسم الحارس القائم عن كثب قائلا : ان اللص لن يذهب بعيدا يا آنسة ... فالفترينات كلها مكهربة الكترونيا ، والحراس المسلحون يطوفون بالمتحف نهارا وليلا ...

فقال جيف بجدية : هذا مما يريح الانسان ، فقد اصبحت الثقة نادرة هذه الايام ...

وفى آخر النهار قدم دانييل كوبر مع المفتش فان دورين تقريرا بحصيلة المراقبة الى مدير ادارة البوليس ... وبعد اطلاعه عليه قال فى النهاية : ليس امامى هنا شىء محدد ، لكننى سأسلم بأن المشتبه فيهما يتشمما اهدافا قيمة ... لا باس ايها المفتش ... عندك اذن رسمى بوضع اجهزة تصنت فى غرفتيهما بالفندق ...

لم يكن فى الدنيا من هو اسعد من دانييل كوبر بهذا القرار ... فمنذ هذه اللحظة سوف يستطيع أن يطلع على كافة حـركات تريسى وسكناتها وخوالج افكارها وكل أحاديثها ، حتى فى غرفة النوم ... وعندما خرجت تريسى مع جيف هذا المساء لتنـاول العشاء خارج الفندق ، بدأ العمل فريق من الفنيين التابعين للبوليس فوضعوا « ترانزستورات » لاسلكية صغيرة جدا فى غرفتى تريسى وجيف ، اخفيت عن العيان خلف الصور وفى المصابيح وتحت المناضد المجاورة للأسرة ... واشرف المفتش فان دورين فى الجناح الذى يعلو الغرفتين مباشرة على تركيب جهاز استقبال به ايريال وملحق بجهاز تسجيل ، ولم يكن الجهاز فى حاجة الى من يديره ، فعند الكلام يقوم الجهاز بالتسجيل أوتوماتيكيا ..

الفصل الواحد والثلاثون

فى وقت مبكر صباح اليوم التالى كان المفتش فان دورين ودانييل كوبر مع احد المخبرين فى الجناح العلوى يتصنتون على الحديث الدائر من تحتهم ... وقد مضى الحديث عاديا فترة كما يحدث بين

اثنين من المحبين ، تتخلله الضحكات الناعمة التى كانت تثير سخط دانييل كوبر ـ الى أن سمع صوت جيف وهو يقول : خمنى من يقيم فى هذا الفندق ؟ ... هو مكسميليان بيير بونت ، المليونير الذى افلت منا ونحن على ظهر الباخرة الملكة اليزابيث الثانية ...

ـ شد ما افتقدته فى تلك المناسبة ! ..

ـ الاغلب انه جاء الى هنا للعمل على افلاس أحدى الشركات ، كما هى عادته ...

والآن وقد وجدناه ياتريسى مرة اخرى ، فعلينا أن نفعل شيئا حياله ، أعنى طالما هو موجود فى المنطقة ...

فردت تريسى ضاحكة : ليس أحب الى من هذا ياعزيزى ...

ـ المفهوم أن صاحبنا المليونير هذا معتاد أن يحمل معه أشياء مما خف حمله وغلا ثمنه .. عندى فكرة أن .

وفى هذه اللحظة سمع صوت الخادمة وهى تستأذنهما فى ترتيب الغرفة ... فالتفت المفتش دورين الى المخبر قائلا : اريد تخصيص فريق عمل لوضع مكسميليان بييربونت تحت الملاحظة ... وحالما يتضح ان هويتنى أوستيفنز يقومان باى أتصال به ، فليقدم الى تقرير فورى ..

ولم يطل الوقت حتى تقدم المفتش فان دورين بتقرير شامل الى مدير البوليس فون ويليمز ، وقال له بعد أن اطلع عليه : من المحتمل ياسيدى المدير انهما يسعيان الى عدد من الاهداف فى وقت واحد ... فهما يبديان اهتماما كبيرا بثرى أمريكى يدعى مكسميليان بيير بونت موجود الآن هنا .. وقد شهدا مؤتمر هواة طوابع البريد العالمى ... كما قاما بزيارة مصنع تقطيع الماس وتفرجا على ماسة « لوكولان » ، وامضيا ساعتين فى زيارة متحف ريجكس حيث توجد روائع فناننا الاشهر رمبرانت ...

استمع مدير البوليس الى هذا وقد مال فى مقعده الى الخلف ، ولم يتمالك ان تساءل فى نفسه : اليس الذى يفعله رجاله ضربا من تضييع الوقت والجهد دون طائل ؟.. فكل ماهناك مجموعة تخمينات لا تعززها حقائق مادية كافية ... وفى النهاية قال للمفتش : اذن حتى الآن لبست لديك فكرة عما هو هدفهما ؟..

ـ لا ياسيدى ... لست متاكدا انهما وصلا الى قرار بعينه ...

لكن فى اللحظة التى يقررن فيها شيئا ، فسوف يتكفلان هما بابلاغه لنا ...

فقطب مدير البوليس قائلا : .. ابلاغه لنا ؟!..

فتولى المفتش فان دورين التفسير قائلا : عن طريق اجهزة التصنت .. ليست عندهما اقل فكرة ان اجهزة التصنت التى وضعناها عندهما تسجل لنا كل شىء ! ...

***

لقد صدق المفتش فان دورين ... فعن طريق اجهزة التصنت هذه فى الفندق ، بالاضافة الى تعقب المخبرين السريين لحركات تريسى وجيف خارجه ، اجتمعت للبوليس الهولندى حصيلة من المعلومات القيمة عرف منها مايلى :

ـ ان بنك امرو الهولندى ينوى شحن سبائك ذهبية قيمتها خمسة ملايين دولار الى جزر الهند الغربية ، طبقا للحديث الذى دار بين جيف وتريسى ..

ـ وان جيف ستيفنز زار وحده مطبعة صغيرة وطلب من صاحبها طبع بطاقات له باسم « كورنيليوس ويلسون ـ كبير المحققين فى مكتب خدمات الامن الخصوصية فى امستردام » ...

ـ وان تريسى خرجت فى يوم آخر وحدها الى محل لبيع طيور واسماك الزينة واشترت اناء به اسماك ملونة ، واثنين من عصافير الكناريا ، وحمامة ...

ـ وان جيف ستيفنز قصد الى بنك امرو واجتمع برئيسه مدة نصف ساعة دار الحديث خلالها عن تدابير الامن المتبعة فى البنك ، بعد ان استوثق مدير البنك تليفونيا من صحة انتسابه الى مكتب خدمات الامن الخصوصية المنوه عنه ...

ـ وانه بعد ظهر نفس اليوم وقفت امام البنك سيارة نقل مدرعة، واخذت صورة فوتوغرافية لجيف وهو واقف فى المدخل .

وفى اجتماع بمكتب مدير البوليس قال بعد ان اطلع على هذه البيانات :

مامعنى هذا كله ؟..

فقال دانيل كوبر : ساقول لكم ماذا تدبره تريسى هويتنى ... انها تخطط لخطف شحنة السبائك الذهبية ..

حدق الجميع اليه ، وقال مدير البوليس : واظن انك تعرف كيف تنوى تلك المراة ان تقوم بهذه المعجزة ؟

- نعم ... باستخدام سيارة نقل امن زائفة والذهاب الى البنك قبل موعد وصول السيارة الحقيقية ثم الابتعاد بشحنة الذهب ..

- ان هذا يبدو اقرب الى الخيال يامستر كوبر !..

وعندئذ تدخل المفتش فان دورين قائلا : انا لا اعرف ماهى خطتهم ياسيدى المدير ، لكنهما يخططان لشىء ... وعندنا احاديثهما مسجلة على الشرائط .. ثم انهما عرفا تدابير الامن فى البنك ، وعرفا موعد قيام السيارة المدرعة بعملية النقل و ..

فقال المدير وهو عاكف على فحص التقارير امامه : طيور زينة .. حمامة ، كناريا !.. هل تظن ان شيئا من هذا الكلام الفارغ له اية علاقة بالسرقة المدبرة ؟..

فأجاب فان دورين : كلا ...

وقال دانييل كوبر بأسلوبه الغريب : نعم ...

***

اخذ المخبر السرى هاور يتابع خطوات تريسى فى عدة شوارع دون أن يغفل عنها لحظة حتى وصلت الى كشك تليفون عمومى وتكلمت مدى خمس دقائق وهو فى حالة غيظ واحباط لعدم قدرته على متابعة المكالمة ...

كان المتكلم هو جانتر هارتوج من لندن ، وقد قال لها : يمكننا الاعتماد على « مارجو » ، لكنها ستحتاج الى بعض الوقت - أسبوعين على الاقل ...

وأصغى اليها فترة ثم عاد يقول : مفهوم ... وعندما يتم الاستعداد لكل شىء ، سأتصل بكم ... التزموا الحذر .. وابلغى تحياتى الى جيف ...

ووضعت تريسى السماعة وخرجت من الكشك وهى تبتسم للمراة التى كانت واقفة تنتظر دورها فى التكلم ..

وبعد ايام اخرى من المراقبة والمتابعة والتصنت على المكالمات التليفونية لتريسى وجيف فى الفندق اجتمعت للبوليس حصيلة اخرى من المعلومات تضمنتها التقارير الآتية :

- ان جيف استاجر من شركة فولترز للنقل بالسيارات سيارة نقل زرقاء بطول عشرين قدما وعرض سبعة اقدام وارتفاع ستة ،

وانه نقلها الى جراج لدهان السيارات حيث دهنت بلون معـــدنى رمادى ... وفى اليوم التالى نقل السيارة الى جراج آخـــر فى جهة نائية حيث اتفق مع صاحبه على تقوية أرضية السيارة لـكى تتحمل شحنة من « الحديد الخردة » على حد زعمه لصاحب الجراج على أن يتسلم السيارة بأقرب وقت ... وعندما اعترض صاحب الجراج لقصر المدة التى أمهله جيف لاتمامها فى موعد غايتــه يوم الخميس ، لم يقبل الرجل الا بعد أن وعده جيف بمضاعفة الأجر ...

— وأن تريسى قصدت الى قناة « أودشانز » الملاحية حيث أمضت نصف ساعة فى حديث مع صاحب أحد الصــــنادل ، حيث اتفقت معه على استئجار الصندل لمدة اسبوع اعتبارا من يوم الجمعة للقيام برحلة عائلية مع زوجها للنزهة ...

— وأن الحمامة التى كانت تريسى قد اتفقت على شرائها من محل بيع طيور الزينة والاسماك الملونة قد ارسلت اليها على الفندق فى قفص ، ولما سئل .. صاحب المحل عن نوع الحمامة هل هى من النوع العادى أو من الحمام الزاجل قرر البائع أنها من النوع الاول ، مؤكدا انه اصطادها بنفسه قبل يوم واحد من منطقة فوندلبارك ، محط نزول اسراب الحمام ...

— وانه فى اليوم الذى عهد فيه جيف بالسيارة الى جراج الدوكو استأجر فى حى « أودكفلك » النائى جراجا صغيرا نقل اليه ستة صناديق خشبية كبيرة فارغة مكتوبا عليها « آلات » ...

وبعد أن اتضحت معالم المؤامرة على هذا النحو قال المفتش فان دورين فى الاجتماع الحاسم الذى عقده مع مساعديه بحضـــور دانييل كوبر : أن كل الاجزاء قد اكتملت فى الصورة ... فالمتهمان اصبحا يعرفان موعد وصول السيارة المؤمنة الحقيقية الى بنـــك آمرو ، وقد خططا لوصولهما الى البنك قبل هذا الموعد بنصـــف ساعة ، وعندما تصل تلك السيارة الحقيقية يكونان قد اســتوليا على الشحنة وانطلقا بها ... وبعد ابتعادهما عن البنك بمســـافة محدودة ينزويان بالسيارة فى شارع جانبى لتغطيتها أتوماتيــكيا بغطاء قماش مكتوب عليه « بيرة هنيكن » ، كمـا يتضح من هـــذه الصورة الفوتوغرافية التى حصل عليهـا رجالنـا فى تحرياتهــــم المتواصلة ...

وعندئذ سأل احد المخبرين : وهل عرفنا ياسيدى المفتش كيف

خطط المشتبه فيهما لنقل شحنة الذهب الخام الى خارج هولندا !.
فاشار فان دورين الى الصورة التى تبدو فيها تريسى على الصندل قائلا : أولا ، بواسطة الصندل ... ان هولندا تغطيها شبكة متقاطعة من القنوات والممرات المائية حيث يندمج الصندل فى عداد العشرات من الصنادل الغادية والرائحة ... ثم ان هذه الصورة الاخرى تبين الرحلة التجريبية التى قاما فيها بالسيارة على طول القناة لقياس المدة التى تستغرقها الرحلة من البنك الى الصندل مع حساب مدة شحن الذهب الى سطح الصندل ...
وقام المفتش الى الصورة الاخيرة المكبرة والمعلقة على الحائط الى جانب عشرات الصور التى التقطها المخبرون طوال المراقبة والمتابعة ، واردف قائلا : ومنذ يومين فقط قام جيف ستيفنز بحجز مكان للشحن على ظهر السفينة اوريستا التى ستبحر من ميناء روتردام فى الاسبوع القادم ... وقد عرفت الشحنة بأنها صناديق آلات ، ووجهتها ميناء هونج كوج ..
ثم التفت المفتش فان دورين الى رجاله قائلا : لا باس أيها السادة ... سنقوم نحن باجراء تغيير بسيط فى خططهما .. سوف نتركهما يقومان بنقل شحنة السبائك الذهبية من البنك الى السيارة ...
والتفت على الاثر الى دانييل كوبر واختتم باسما : لقد قررنا ان نقبض على صاحبينا الماكرين متلبسين ، على حد تعبيرك المفضل يامستر كوبر ...

***

تبع مخبر سرى تريسى الى مكتب امريكان اكسبريس حيث راقبها وهى تتسلم طردا متوسط الحجم ، ثم عادت الى الفندق مباشرة ...
وفى مساء يوم الخميس اجتمع المفتش فان دورين وكوبر واحد المخبرين فى غرفة التصنت فوق غرفة تريسى بالفندق ، واستمعا الى الحوار التالى :
صوت تريسى : انني اتصلت بالجراج وتم فحص سيارة النقل نهائيا وملئها بالبنزين ... قل لى ياجيف .. عندما تنتهى عمليتنا هذه على خير ، ما رأيك فى القيام برحلة التنقيب عن الآثار التى حدثتنى عنها ؟..

صوت جيف : ساتخذ التدابير اللازمة فعلا ... من الآن فصاعدا لن نفعل شيئا سوى الراحة والتمتع بالحياة .

فمغمم المفتش دورين قائلا ، فى اعتقادى أن العشرين سنة القادمة سوف تكون مكفولة لهما فى ضيافتنا ، ونعم الضيافة !..

ونهض المفتش وتمضي قائلا : والآن يمكننا أن نذهب للنوم .. ان كل شيء قد تم اعداده لغد صباحا ، ومن حقنا ان ننام هذه الليلة ملء الجفون !..

لكن دانييل كوبر عجز عن النوم فى ليلته ... فقد راح يتصور تريسي وقد اعتقلها البوليس وقادها الى التحقيق بغلظة ، وتخيل الفزع الذى تجلى فى وجهها ... فكانت هذه الصورة مدعاة الى مزيد انفعاله وطرد النوم من عينيه ... فقام الى الحمام واستلقى فى المياه الساخنة الباخرة ... لقد باتت النهاية قريبة ، ولسوف تدفع تلك الفتاة ثمن فسادها وفجورها ، كما عمل هو من قبل على أن تدفع غيرها من الفاسدات الفاجرات الثمن !. ولن يحل مساء الغد حتى يكون هو فى طريقه الى موطنه ... كلا ليس موطنه ... بل شقته الخاصة ... ان موطنه كان ملاذا أمينا دافئا حيث أحبته أمه حبا عظيما كما لم تحب أحد آخر فى الدنيا كلها !

واخيرا نهض دانييل كوبر من الحمام فى فندق أمستردام وتأهب للنوم وهو يناجي نفسه : غدا سيكون يوم القصاص من تريسي الفاسدة الفاجرة ! ..

الفصل الثانى والثلاثون

أمستردام ـ الجمعة ٢٢ اغسطس ـ الساعة ٨ صباحا

جلس دانييل كوبر واثنان من المخبرين فى غرفة التصنت بالفندق يتسمعون الحديث الدائر بين تريسي وجيف أثناء الافطار ..

ـ كعك للديك ياجيف ؟.. قهوة ؟..

ـ لا .. أشكرك ..

فقال دانييل كوبر لنفسه : سيكون آخر افطار يأكلانه معا ..

ـ هل تعرف ماهو مصدر سروري ؟ .. هو رحلتنا فى الصندل

ـ أمامنا يوم حافل ، وتفرحين برحلة فى صندل !.. لماذا ؟.

ـ لاننا سنكون معا وحدنا .. هل تظنني مهووسة ؟..

ـ جدأ .. قبلة .. « ورن صوت قبلة » ..
ـ الحقيقة انني ساكون آسفة ياجيف لمفارقة هذا المكان ..
ـ انها حقا كانت اياما سعيدة .. « وضحكت تريسى مغتبطة »..
وحلت الساعة التاسعة صباحا والحديث مازال دائرا ، حتى قال كوبر لنفسه : يجب ان يستعدا ! ... يجب أن يضعا خطة آخر دقيقة ! ،
وعاد جيف يقول : عليكِ ياحبيبتى أن تلزمى الحذر مع صاحبة الفندق وأنت تسددين حساب اقامتنا هنا .. فاننى ساكون مشغولا ...
ـ لا تشغل بالكَ من هذه الناحية ..
ومرة اخرى قال كوبر لنفسه بعد ان أستمر الحديث فترة على هذا النحو : ما هذا الذى يثرثران به بحق الشيطان ؟.. الساعة التاسعة والنصف .. والوقت حان لخروجهما ..
وعندئذ سمع صوت نسائى غريب يتكلم بالهولندية مختلطا بالحديث الدائر بين تريسى وجيف ، فلم يتمالك كوبر أن سأل رفيقه : ما الذى يجرى من تحتنا بحق الشيطان ؟..
فأجاب أحد المخبرين متحيرا كزميله : لا اعرف .. جاءت خادمة الفندق الى الغرفة ، ثم اتصلت تليفونيا بصاحب الفندق وقالت انها لا تفهم ، فهى تسمع كلاما فى الغرفة ، لكنها لاتشاهد أحدا فيها ..
وسرعان ماانتفض كوبر قائما وهو يقول : ماذا ؟! .
وهبط على السلالم طائرا يتبعه المخبران ، واندفع معهما الى غرفة تريسى ... فاذا هى خالية ، باستثناء الخادمة .. ووقعت انظارهم فوق المنضدة الصغيرة على مسجل كان لايزال دائرا ... وانبعث منه صوت جيف قائلا : هل لا تزال القهوة ساخنة ؟ .. فردت تريسى : هى فاترة فعلا ...
راح كوبر والمخبران يحملقان غير مصدقين .. وقال احد المخبرين متلعثما :
ـ انا ... انا لا افهم !..
فهتف كوبر بحدة : ماهو رقم البوليس للطوارىء ؟..
وبعد ان ذكر له الرقم اندفع الى التليفون وقال صارخا والمسجل لا يزالَ مستمرا :
انا دانييل كوبر ! ... ابحث عن المفتش فان دورين حالا وابلغه

أن جيف وتريسي اختفيا ! .. اطلب منه تفتيش الجـــراج ليرى ان كانت سيارة النقل قد خرجت !.. انا فى طريقى الى بنـك آمرو ! ..

والقى بالسماعة في عنف وهرع الى الخارج ..

***

قال المفتش فان دورين :

ـ كل شيء تمام .. ان سيارة النقل خرجت من جراجهما .. وهما الآن فى الطريق الى هنا ..

كان فان دورين وكوبر واثنان من المخبرين مرابطين فى نقطـــة مراقبة بوليسية فوق سطح مبنى مواجه لبنك آمرو .. وما لبث فان دورين أن مضى يقول :

ـ ربما قررا تقديم موعد خطتهما بعد أن شعرا بأنهما محـــل التصنت ... لكن اطمئن ياصديقى ... انظر !..

ودفع كوبر الى مكان منظار مكبر فوق السطح ... فشوهد رجل في زى السعاة منهمكا فى تلميع لافتة البنك النحاســية ، وكناس يقوم بتنظيف الشوارع ، وبائع جرائد على الناصية ، وثلاثة عمال يتولون اصلاح احد المرافق ... وكانوا جميعا مزودين باجهــزة لاسلكى من نوع « ووكى توكى » .. وبعد أن قال فان دورين أن هؤلاء جميعا من رجال البوليس ، استطرد :

ـ لا تقلق يامستر كوبر ... ان السبائك الذهبية لاتزال موجودة فى البنك فى أتم أمان ... ان الطريقة الوحيدة لوضع أيديهمـا على السبائك هي الحضور لاخذها .. وعند لحظة دخولهما الى البنك سيكون منفذا الشارع تحت الحصار المشدد ... ولا سبيل امامهما للهروب ...

ونظر المفتش فى ساعته ، ثم أردف :

ـ ان سيارة النقل ستظهر للعيان فى أية لحظة الآن ..

***

وفى داخل البنك كان التوتر يتزايد ... لقد اخطر موظفـــو البنك بالموقف ، وصدر الامر للحراس بالمساعدة فى نقل السـبائك الذهبية الى السيارة المصفحة عند وصولها ... وكان على كل فرد ان يبذل تعاونه كاملا ...

وفوق السطح كان المفتش دورين يسال للمرة العاشرة :

ـ هل من اشارة عن السيارة الملعونة ؟..
ـ لا شيء ...
ونظر مخبر سرى فى ساعته ثم قال :
ـ هناك تأخير لمدة ١٣ دقيقة عن الموعد .. واذا ...
وعندئذ دبت الحياة فى جهاز اللاسلكى « ووكى توكى » :
ـ أيها المفتش ... ان سيارة النقل ظهرت توا !.. وهى متجهة الى البنك ! .. ويمكنكم رؤيتها من السطح فى خلال دقيقة !..
وفجأة تكهرب الجو ..
وتكلم المفتش فان دورين بسرعة فى الجهاز :
ـ جميع الوحدات انتباه ! .. السمك الآن فى الشبكة ! .. دعوه يسبح فى داخلها !..
وتقدمت سيارة نقل رمادية مصفحة الى مدخل البنك ثم توقفت وفيما كان دانييل كوبر وفان دورين يراقبان ، ترجل من السيارة اثنان من حرس الامن فى الزى الرسمى واتجها الى البنك.
وقال دانييل كوبر بصوت عال :
ـ أين هى ؟ .. أين تريسى هويتنى ؟..
فرد المفتش فان دورين مؤكدا :
ـ هذا لا يهم ... انها لن تكون بعيدة عن سبائك الذهب ..
وحتى لو كانت بعيدة ، كما فكر كوبر ، فليس لهذا أهمية .. ان التسجيلات الصوتية ستكفى لادانتها !..
وراح كوبر وفان دورين يراقبان من مرصدهما فوق سطح المبنى موظفى البنك وهم يساعدون الحارسين الرسميين فى نقل السبائك الذهبية الى السيارة المصفحة ... لقد استغرقت هذه العملية ثمانى دقائق ... وعندما اغلق باب السيارة من الخلف وهم الحارسان بالركوب فى المقعد الامامى ، صاح المفتش فان دورين فى جهاز اللاسلكى :
ـ كل الوحدات تحاصر !...
وسرعان ما اشتد الهرج ... واندفع ساعى البنك ، وبائع الجرائد ، وعمال الاصلاح ، وحشد من المخبرين الآخرين ـ اندفعوا يطوقون السيارة شاهرين أسلحتهم ... وحوصر الشارع من الناحيتين ...
والتفت المفتش فان دورين الى دانييل كوبر باسما وقال :

ـ هل هذا التلبس الذى طالما طلبته يكفيك ؟.. هيا بنا نختتم العملية ....

وقال كوبر لنفسه :

ـ انتهى اخيرا كل شىء ! ..

واسرعا بالهبوط الى الشارع ... وكان الحارسان الرسميان واقفين فى مواجهة الحائط رافعى الايدى وقد طوقتهما دائرة من المخبرين ... وشق دانييل كوبر المفتش فان دورين طريقهما الى قلب المعمعة ... وقال فان دورين :

ـ يمكنكما أن تستديرا الآن ... انتما مقبوض عليكما !

فاستدار الحارسان لمواجهة الجمع ممتقعى الوجوه ... وسرعان ما حملق دانييل كوبر والمفتش فان دورين فيهما مصعوقين .. فقد كانا غريبين تماما ...

وسأل المفتش فان دورين :

ـ من .. من انتما ؟ ..

فعالج احدهما الكلام متلعثما :

ـ انتا حارسا الامن من قبل الشركة .. لا تطلقوا النار !.. بالله لا تطلقوا النار ..

التفت المفتش فان دورين الى كوبر وقال فى نبرات هستيرية :

ـ ان خطتهما فشلت ... فقاما بالغائها ...

أما دانييل كوبر فقد شعر بغصة فى حلقه وغثيان فى معدته ، وعندما استطاع الكلام قال بصوت مختنق :

ـ كلا ... لم يفشل شىء ...

ـ ما الذى تقوله ؟!

ـ ان السبائك الذهبية لم تكن ابدأ هدفهما .. ان هذه اللعبة كانت خداعا وتمويها وتحويلا للأنظار عن شىء آخر !..

ـ هذا مستحيل !.. أعنى سيارة النقل المستاجرة بكل اجراءاتها ، والصندل ، والصور الفوتوغرافية لباقى المراحل ؟!..

ـ الا تفهم ؟ .. انهما كانا يعرفان ... كانا يعرفان طول الوقت اننا نراقبهما ! ..

فقال المفتش فان دورين وقد غاض الدم من وجهه :

ـ أواه يا الهى !.. وأين هما ؟..

الفصل الثالث والثلاثون

وصلت تريسى وجيف الى مصنع تقطيع الماس فى حى كوستر ..
كان جيف يضع على وجهه لحية وشاربا وقد غير شكل خديه وأنفه بنوع خاص من الاسفنج وارتدى ملابس رياضية وحمل كيسا مثنيا ... وكانت تريسى تلبس « باروكة » سوداء وملابس امرأة حامل وتضع نوعا من « الماكياج » الثقيل ونظارة شمسية قاتمة .. وكانت تحمل حقيبة « سمسونايت » كبيرة ولفافة مستديرة مكسوة بورق بنى ... وقد دخل الاثنان الى حجرة الاستقبال وانضما الى فوج من السياح القادمين بأتوبيس كانوا ينصتون الى مرشد يقول لهم :

ـ ... والآن سيداتى وسادتى ، ارجو أن تتبعونى لكى أفرجكم على عملية تقطيع الماس وحيث تجدون الفرصة لشراء بعض ماسنا الجميل ! ...

وفى اثر المرشد دلف الفوج الى الابواب المؤدية الى داخل المصنع .. فتقدمت تريسى معهم ، فى حين تخلف جيف عنهم ... وعندما ابتعد الفوج أسرع جيف يهبط درجات سلالم مؤدية الى « البدروم » ... ثم فتح الكيس المثنى واخرج « اوفراول » مبقعا بالزيت وعلبة صغيرة بها ادوات ... وبعد أن لبس« الافراول» تقدم الى صندوق المصهر الكهربائى ونظر فى ساعته ..

اما تريسى فقد تلبثت مع الفوج وهو يتنقل من حجرة الى حجرة بينما كان المرشد يفرجهم على المراحل المختلفة التى يمر بها تشكيل احجار كريمة مصقولة من الماس الخام ... وبين فينة واخرى كانت تريسى تنظر الى ساعتها ... كان الطواف قد استغرق خمس دقائق زيادة عن الموعد المتفق عليه ، وتمنت لو مضى المرشد فى طوافه بأسرع من هذا ..

وبعد انتهاء الطواف أخيرا ، وصل الفوج الى قاعة العرض الكبرى حيث تقدم المرشد الى « الفترينة » الزجاجية القائمة فوق القاعدة يحف بها حبل دائرى على مبعدة ...

وراح المرشد يعلن للفوج متباهيا :

ـ فى هذه « الفترينة » توجد ماسة « لوكولان » ، وهى واحدة من أثمن الماسات فى العالم ... وقد اشتراها ذات مرة ممثل مسرحى مشهور لزوجته نجمة السينما ... وتقدر قيمتها بعشرة ملايين دولار ، وهى محروسة باحدث ..

وانطفات الانوار فجاة ... وفى الحال انطلق الانذار واغلقت النوافذ والابواب المعدنية اتوماتيكيا ، فسدت كافة المنافذ باحكام واخذ بعض السياح يصرخون ...

وارتفع صوت المرشد عاليا بين الصراخ :

ـ من فضلكم .. لا لزوم للانزعاج ! ... هو مجرد خلل كهربائى وبعد دقيقة سيعمل المولد الكهربائى الاحتياطى .

وعادت الانوار الكهربائية قبل أن يتم كلامه ..

فقال المرشد يطمئن السياح :

ـ هل رايتم ؟ .. لا يوجد مايزعج ..

وقال سائح المانى مشيرا الى المصاريع الفولاذية :

ـ ما هذه ؟ ...

فتولى المرشد البيان قائلا :

ـ احتياطات امنية ...

واخرج من جيبه مفتاحا غريب الشكل وادخله فى ثقب فى الحائط واداره ، وسرعان ما ارتفعت المصاريع الفولاذية عن النوافذ والابواب مرتدة الى مواضعها ...

ثم رن جرس تليفون على مكتب قريب ، فرفع المرشد السماعة وتكلم :

ـ انا هندريك ... شكرا لكَ ياكابتن .. لا .. كل شىء على مايرام .. كان مجرد انذار خاطىء ـ ربما بسبب توقف قصير للتيار الكهربائى .. وساعمل على فحصه فى الحال ... حاضر ياسيدى ..

واعاد السماعة والتفت الى الفوج السياحى قائلا :

ـ لكم اصدق اعتذارى سيداتى وسادتى ... مع وجود مثل هذه الماسة الثمينة هنا لا يمكن التهاون ازاء اى طارىء .. والآن ، لمن يريد منكم ان يشترى شيئا من ماسنا الجميل ...

وانطفات الانوار مرة ثانية ... وفى الحال رنت اجراس الانذار وانطبقت المصاريع الفولاذية من جديد .

وصرخت امراة بين الفوج :

ـ هيا بنا نخرج من هنا ياهارى !..

فانتهرها زوجها مزمجرا :

ـ هلا اقفلت فمك ياديانا .

وفى « البدروم » كان جيف واقفا امام صندوق المصهر الكهربائى يصغى الى صراخ السياح فوقه ... وقد انتظر بضع لحظات ، ثم أعاد توصيل التيار الكهربائى .. فانبعثت الانوار ساطعة ..

ولعلع صوت المرشد فوق الضجيج والهرج :

ـ سيداتى وسادتى ! .. هو مجرد خلل كهربائى ..

واخرج مفتاحه مرة اخرى ووضعه فى ثقب الحائط ، فعادت المصاريع الفولاذية سيرتها الاولى ..

ورن جرس التليفون .. فاسرع اليه المرشد ورفع السماعة قائلا :

ـ أنا هندريك .. كلا ياكابتن .. حاضر .. سنعمل على أصلاح الخلل باسرع مايمكن .. شكرا ياسيدى .

وفتح باب فى القاعة ودخل جيف حاملا علبة الادوات وقد مال « بيريه الشغل » فوق راسه الى الخلف .. وشق طريقه بين الفوج الى أن وصل الى المرشد وساله :

ـ ماهو المشكل ؟ .. ان احدهم ابلغ عن وجود خلل كهربائى ..

فتولى المرشد البيان قائلا :

ـ ان الانوار تطفأ وتضاء أكثر من مرة .. ارجوك أن تعمل على اصلاح الخلل بسرعة ..

واتجه الى السياح من جديد وهو يتكلف الابتسام قائلا :

ـ لماذا لا ننتقل الى هذه « الفترينات » هناك حيث يمكنكم انتقاء ماسات جميلة باثمان معقولة ؟ ..

وبينما أخذ السياح يتقدمون الى « الفترينات » ، عمد جيف وهم عنه غافلون فى تزاحمهم الى اخراج اداة اسطوانية صغيرة من جيبه ونزع مشبكها والقى بها خلف القاعدة التى تحمل ماسة « لوكولان » ... وفى الحال اخذ الجهاز الاسطوانى الصغير ينفث دخانا وشررا ..

وعندئذ نادى جيف المرشد :

ـ يا اخ ! .. الخلل هنا ! .. في السلك الكهربائي الممدود تحت الارضية ! ..

وصرخت امرأة :

ـ النار ! ..

وبدوره صاح المرشد :

ـ من فضلكم كلكم ! .. لا لزوم للفزع !.. الزموا الهدوء ! .

والتفت نحو جيف وقال بصوت كالفحيح :

ـ اصلحه ! .. اصلحه !..

فقال جيف في يسر :

ـ ليس مشكلة ...

وتقدم نحو الحبال المخملية التى تحف بالفترينة ذات القاعدة .. فاستوقفه المرشد قائلا :

ـ لا ... لا يمكن ان تقترب من « الفترينة » ! ..

فهز جيف كتفيه قائلا :

ـ احسن لى ! .. اصلحها انت !..

وانثنى لكي يخرج ..

في هذه الاثناء كان الدخان يتدفق متكاثفا ... وبدأ الفـــزع يستولى على السياح من جديد .. فقال المرشد لجيف مستعطفا :

ـ انتظر ! .. دقيقة واحدة !.

واسرع الى التليفون وأدار الرقم قائلا :

ـ ياكابتن .. انا هندريك !.. لابد ان ارجوك وقف تشـــغيل كل اجهزة الانذار ... عندنا مشكلة صغيرة ! .. حاضر ياسيدى .

والتفت الى جيف سائلا :

ـ ماهى المدة المطلوبة للتوقف ؟..

فأجاب جيف :

ـ خمس دقائق ..

فردد المرشد فى التليفون :

ـ خمس دقائق .. شكرا ياسيدى ..

واعاد السماعة قائلا :

ـ ستتوقف اجهزة الانذار خلال عشر ثوان .. بالله اسرع !.. اننا لا نوقف الانذار ابدا ! ..

ـ وانا ياصديقى ليس لى اكثر من يدين !..

وانتظر جيف عشر ثوان .. ثم تقدم وتخطى الحبال ويمم شطر

القاعدة ، بينما اشار هندريك الى الحارس المسلح ، فاوما هـذا براسه وركز عينيه على جيف ...
اخذ جيف يعمل خلف القاعدة ... والتفت المرشد المخذول الى الفوج السياحى قائلا :
ــ والآن سيداتى وسادتى ، كما كنت أقول لكم ، عندنا هنـا مجموعة مختارة من الماس الجميل ، باسعار مخفضة ... ونحن نقبل الشيكات السياحية ، فضلا عن الدفع نقدا بالطبع ...
كانت تريسى واقفة امام منصة البيع ، فقالت بصوت عال :
ــ هل تشترون الماس ؟..
فحدق اليها المرشد قائلا : ماذا ؟..
ــ ان زوجى منقب عن المعادن ... وقد عاد توا من جنوب افريقيا ويريد ان أبيع هذه الماسات ...
واثناء الحديث فتحت تريسى الحقيبة « السمسونيت » التى كانت تحملها ، ولكنها امسكت بها بالمقلوب ، واذا سيل من المـاس المتلألىء يتدفق الى الارض ويتناثر فوقها ، حتى صاحت تريسى :
ــ ماساتى ! .. ساعدونى !..
حدثت لحظة صمت شامل ، ثم اعقبها هرج شديد ... فقـد استحال الجمهور المهذب الى غوغاء .. وراحـوا يزحفون على ايديهم وركبهم ويدفعون بعضهم بعضا لافساح الطريق لانفسهم وهم يتصايحون :
ــ انا فزت بماسة ! ..
ــ اخطف غرفة ياجون !..
ــ دع هذه ... انا اخذتها قبلكَ !..
ووقف المرشد والحارس عاجزين عن الكلام .. بلّ لقـد قذف بهما جانبا فى بحر من هذه الكتلة البشرية المتدافعة الجشعة وهم يملأون جيوبهم وحقائب أيديهم بالماس المتناثر ..
ثم صرخ الحارس فيهم :
ــ الى الخلف ! .. كفوا عن هذا !..
وفى اللحظة التالية طوحوا به على الارض ..
وفى هذه اللحظة دخل فوج من السياح الايطاليين قـدم توا باتوبيس ملىء ، وعندما شاهدوا مايجرى ، انضموا الى الفـوج الاول المتقاتل على الغنيمة ...
وحاول الحارس ان يقوم على قدميه لاطلاق اجراس الانذار ، غير

ان هذا المد البشرى جعل هذه المهمة مستحيلة ... فقد داسوه بالاقدام ... وانقلبت الدنيا فجاة الى ساحة مجنونة ... كان كابوسا بدا ان ليس له من نهاية ..

وعندما افلح الحارس المشدوه أن يتحامل على قدميه فى النهاية ، شق طريقه فى غمار الحشد المجنون ، ووصل الى القاعدة ، ثم فقد اختفت جوهرة « لوكولان » ..

كما اختفت ايضا المرأة الحامل ، والكهربائى ...

***

ازالت تريسى تنكرها فى احدى مقاصير مغسل عمومى على مبعدة من مصنع تقطيع الماس ، حاملة معها اللفافة المحزومة بورق بنى ، واتجهت الى مقعد فى المنتزه المجاور ... لقد سار كل شىء على احسن واكمل مايرام ... وعندما فكرت فى الحشد الغوغائى الذى راح يتدافع ويتقاتل للفوز باحجار ماس زائفة لم تتمالك ان ضحكت عاليا ...

ثم لاح لها جيف يقترب ، مرتديا بدلة رمادية قاتمة وقد اختفت اللحية والشارب من وجهه ... فوثبت قائمة .. وتقدم منها جيف وهو يقول باسما :

ـ احبك ! ..

واستل ماسة « لوكولان » من جيبه واعطاها لتريسى قائلا :

ـ اطعمى هذه لصديقتك ايتها الحبيبة !.. ساراك فيما بعد ..

وجعلت تريسى تراقبه وهو يبتعد وقد لمعت عيناها ... انهما الآن قلب واحد فى جسدين .. ولسوف يستقل كل منهما طائرة منفردة ثم يتلاقيان فى البرازيل ... وبعدها سوف يبقيان معا ويتلازمان مدى حياتهما ..

وتطلعت تريسى حولها لتتأكد أن احدا لا يراقبها ، ثم فكت اللفافة التى كانت تحملها واخرجت منها قفصا صغيرا به حمامة رمادية ...

كانت عندما راقبها المخبرون السريون وهى تدخل الى مكتب « امريكان اكسبريس » منذ ثلاثة أيام قد اخذت الحمامة الواردة فى القفص الى غرفتها بالفندق واطلقت الحمامة الاخرى من النافذة .. والان وهى فى الحديقة فقد اخرجت من حقيبة يدها كيسا صغيرا من « الشاموا » ووضعت الماسة بداخله .. ثم أخرجت الحمامة الرمادية من القفص وامسكت بها ريثما ربطت بحرص كيس

« الشاموا » الى ساق الحمامة ، وقالت لها :
ـ يابنيتى الجميلة « مارجو » !.. خذيها الى موطنك من حيث جئت ! ..
وفجاة ظهر شرطى كانما انشقت عنه الارض امامهـا وبادرها قائلا :
ـ امسك ! .. ماذا تفعلين ياهذه ؟..
كاد قلبها يثب من مكانه ... وغمغمت :
ـ ماهى .. ماهى المشكلة ، ياحضرة الضابط ؟..
كانت عيناه على القفص ، ينظر فى غضب .. وقال :
ـ أنت تعرفين ماهى المشكلة ... هو شيء أن تطعمى الحمام هنا، ولكنه شيء مخالف للقانون أن تصيدى واحدة وتضـعيها فى القفص ! ... والآن ، ماعليك الا أن تطلقى هذه الحمامة قبل أن اقبض عليك ! ..
ابتلعت تريسى ريقها وتنفست عميقا ، وقالت :
ـ مادمت تقول هذا ياحضرة الضابط ..
ورفعت جناحى الحمامة « مارجو » وطوحت بها فى الهواء .. واشرق محياها بابتسامة عذبة وهى تراقب الحمامة تحلق الى اعلى واعلى .. وقد قامت بدورة مرة واحدة ، ثم اتجهت فى طريقهـا الى لندن ، على بعد ٢٣٠ ميلا غربا .. ان الحمـامة الزاجلة تطير بمعدل اربعين ميلا فى الساعة ـ كما اخبرها جانترهارتوج ـ وهكذا فان « مارجو » سوف تصل اليه فى موطنها فى غضون ست ساعات.
وقال لها الشرطى محذرا :
ـ لا تحاولى أن تفعلى هذه مرة ثانية !..
فأجابت بصدق واخلاص :
ـ لن افعل ! .. ابدا ياحضرة الضابط !..

***

فى وقت متأخر عصر هذا اليوم ، دخلت تريسى الى مطار تشيفول الهولندى واتجهت الى المدخل الذى تستقل منه الطائرة المتجهة الى البرازيل ... ووقف دانييل كوبر فى أحد الاركان يراقبها وقـد امتلأت عيناه مرارة ... ان تريسى هويتنى قد سرقت جوهـرة « لوكولان » .. لقد عرف هذا فى اللحظة التى سمع فيها التقـرير البوليسى ... كان هذا هو اسلوبها ، الجسور ، والخصب الخيال

ومع ذلك لم يكن ثمة من سبيل لاى عمل حيال هذا ..
لقد اطلع المفتش فان دورين حارس المتحف على صورتى تريسى وجيف الفوتوغرافيتين ، فنفى نفيا قاطعا انه راى اى واحد منهما ان اللص كانت له لحية وشارب ، وكان انفه وخداه ممتلئين اكثر ، وكانت السيدة التى جاءت بحجارة الماس الزائف حاملا وسوداء الشعر ...

ثم انه لم يعثر على اثر للماسة المسروقة ... فان جيف وتريسى فى هيأتهما الطبيعية قد خضعا لتفتيش دقيق مع امتعتهما فى المطار ..

وقد اقسم المفتش فان دورين امام كوبر قائلا :

ـ ان الماسة لا تزال فى امستردام ! .. ولسوف نجدها !..

ولكن كوبر قال لنفسه مغضبا : كلا ... لن تجدها .. انها ابدلت حمامة بحمامة ! .. ان الماسة تم تهريبها الى خارج هولندا بواسطة حمامة زاجلة !..

ووقف دانييل كوبر مقهورا مدحورا يراقب تريسى وهى تتجه الى مدرج الطائرة ... انها أول انسان تهيأ له ان يهزمه .. ولسوف يذهب الى جهنم بسببها ، بعد عجزه عن اقتناصها وتقديمها الى العدالة ...

وعندما وصلت تريسى الى الباب باب المدرج ترددت برهة ، ثم التفتت ونظرت الى عينى كوبر راسا ... لقد كانت تعلم طول الوقت انه ظل يتبعها فى كافة اقطار اوربا مثل كلب صيد لا يكف عن طريدته ... كان فى هيأته سمات غريبة ، مستنكرة ومروعة ، وفى نفس الوقت مؤثرة .. ولم تتمالك تريسى أن شعرت بالرثاء له على نحو غير مفهوم ... ثم اذا هى تلوح له بلفة صغيرة مودعة ... وانثنت لكى تستقل الطائرة

فما كان من دانييل كوبر الا أن وضع يده على خطاب الاستقالة فى جيبه ...

***

جلست تريسى فى مقعدها بالطائرة المجاور للممشى فى الدرجة الاولى ... وان هى الا ساعات معدودة حتى تكون مع جيف ... ولسوف يعقد زواجهما فى البرازيل ... ولن تكون هناك مغامرات اخرى ، وان ذهبت تناجى نفسها : لكننى لن اشتاق للمغامرات .. فان الحياة مع جيف فيها كل الاثارة .

ـ من اذنك ! ..

تطلعت تريسى الى المتكلم ... شاهدت رجلا متوسط السن منتعشا تبدو عليه أمارات الانحلال واقفا يشرف عليها ... ثم أشار الى المقعد المجاور للنافذة قائلا :

ـ هذا مكانى ياحلوة ! ...

فانثنت تريسى جانبا لكي يمر امامها ، وعندما انزلق طرف فستانها نظر الى ساقيها معجبا ...

وقال لها غامزا بطرف عينه :

ـ هذا يوم رائع للسفر بالطائرة ...

أشاحت تريسى بنظرها عنه ... فلم تكن لها رغبة فى التحدث مع رفيق سفر ... اذ كان لديها الكثير مما تحب أن تفكر فيه .. فأمامها حياة جديدة ممتدة .. ولسوف تختار هى وجيف مكانا ينعمان فيه بحياة الاستقرار ويصبحان مواطنين مثاليين يحظيان من الناس بأوفى الاحترام والتقدير تحت اسم مستر ومسز جيف ستيفنز ..

وما لبث رفيقها فى السفر ان وكزها قائلا :

ـ مادمنا ياسيدتى الصغيرة سنكون رفيقى سفر فى هذه الرحلة ، فلماذا لا نتعارف ؟ ... أنا مكسميليان بيير بونت ، المليونير العالمى ! ..

تمت

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٢٤١٤ / ٨٦

الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ ـ ١١٨ ـ ٢١٦ ـ ١

اشترك فى روايات الهلال

٧٥ قرشا

هذه الرواية

مؤلف هذه الرواية الجديدة التى صدرت منذ شهور معدودة والتى تترجم الى العربية لأول مرة هو أشهر مؤلفى روايات الخفاء والغموض فى العصر الحديث حتى لُقِّب بأستاذ الرواية الجنائية وأصبحت رواياته أوسع الروايات مبيعاً وانتشاراً وترجمت الى أكثر من ثلاثين لغة . وهو يقدم لنا فى هذه الرواية بطلة تفردت بالجمال والذكاء والدهاء والاعصاب الباردة البتارة ، وقعت ضحية لملوك الجريمة المنظمة من عتاة (المافيا) الذين زجوا بها فى السجن عن جريمة ملفقة ، ولكن عزيمتها الجبارة هيأت [illegible] التحرر من أغلال الأسر لكى تتصدى للانتقام من ظالميها القساة غير أنها لاتلبث ان تخوض معرك اخرى فى ساحة اوسع شملت نيويورك ولندن وباريس ومدريد وامستردام دوخت فيها دوائر البوليس المحلى والدولى (الانتربول) فى وقائع ومغامرات مذهلة مما يجعل من البطلة اسطورة فى عالم البطلات .

